



جمهورية السودان
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا
دائرة القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
شعبة التفسير وعلوم القرآن

التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي وزاد المسير لابن الجوزي (دراسة منهجية مقارنة)

بحث مقدم لنيل درجة التخصص العليا (الدكتوراه) في التفسير وعلوم القرآن

إشراف الدكتور:

الجزولي الأمير الجزولي

إعداد الباحث:

مطيع محمد علي حسن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استهلال

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ^ج

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ

﴿ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا

إهداء

إلى والديّ الكريمين أهدي جهدي سائلاً

﴿ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ الإسراء: ٢٤

وإلى المجاهدين المرابطين المدافعين عن ديننا ومقدساتنا

فإليهم أهدي جهدي مستذكراً قول الله:

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ^ط

فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ ^ط

وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ الأحزاب: ٢٣

وإلى جميع أهلي وأقاربي

وإلى كل إخواني

وكل من وقف معي في رحلتي العلمية

إليهم هذا الجهد

تقديراً وحباً.

الباحث

شكر وتقدير

أحمد الله وأشكره حق شكره وأثني عليه الخير كله لا أحصي ثناء عليه بما يسر لي من فضله ووفقتي مقراً له بكل فضل، طالباً منه المزيد.

والشكر والثناء والتقدير لكل أبناء السودان الذين عشنا معهم كأننا بين أهلينا بطيبهم وحسن أخلاقهم فقد علمونا صغاراً وعلمونا كباراً فجزاهم الله خيراً.

وأشكر جامعتي المباركة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ممثلة برئيسها وكافة العاملين فيها، اقراراً بالفضل وعرفاناً بالجميل.

وأخص بالشكر والتقدير شيخنا الفاضل الدكتور/ الجزولي الأمير الجزولي - حفظه الله - الذي تفضل بالإشراف على رسالتي العلمية وما أسداه لي من توجيهات وإرشادات فجزاه الله عني خير الجزاء، وأشكر كذلك الشيخين الجليلين الفاضلين الشيخ الدكتور قاسم بشرى حميدان والشيخ الدكتور/ الشيخ جمعة سهل - حفظهما الله - الذين تكروا بقبول مناقشة رسالتي فجزاهما الله خير الجزاء.

وأتوجه بالشكر والعرفان لجامعتي الأولى جامعة الإيمان - فك الله أسرها - والتي تعلمت فيها وأخص بالشكر أستاذ الدعوة شيخنا الفاضل: عبد المجيد الزنداني حفظه الله وكل مشايخنا الذين تعلمنا على أيديهم فجزاهم الله خيراً.

أشكر كل من وقف معي وكان لي عوناً في رحلتي العلمية، وأشكر من أعانني وساعدني في بحثي هذا مقراً للجميع بالفضل شاكراً لهم هذا المعروف.

وأخيراً: هذا جهد المقل - لا يخلو من زلل - إن أحسنت فيه فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، سائلاً ربي أن ينفع به الإسلام والمسلمين.

المستخلص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاة.. أما بعد:

فهذا بحثي الموسوم بـ "التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبى وزاد المسير لابن الجوزى" دراسة منهجية مقارنة والذي تضمن ثلاثة أبواب رئيسية اشتمل الباب الأول فيه على فصلين للتعريف بالإمامين شمالا التعريف بالإمام ونسبه وشيوخه وتلامذته ومؤلفاته وثناء العلماء عليه، كما اشتمل على التعريف بعصر الإمام والحالة السياسية والعلمية والاجتماعية، وتناول التعريف بالكتاب ومصادر الإمام فيه ومنهجه في هذا الكتاب.

وتضمن الباب الثانى فصلين وهما التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى وتعريفهما وبيان أنواعهما ومنهج الإمامين فيهما وتناول كل من الإمامين التفسير بالمأثور بأنواعه الأربعة تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة وتفسير القرآن بقول الصحابي وقول التابعى، وكذلك تناول الإمامان في التفسير بالرأى التفسير باللغة وأصول الفقه.

وتناول الباب الثالث دراسة تطبيقية في أربعة فصول وهى العقائد والعبادات والسلوك والقصاص تم فيها تناول منهج الإمامين في دراسة مقارنة ابتدأت بتفسير الإمام بن جزي ثم الإمام بن الجوزى ثم المقارنة بينهما وما ذكر غيرهما من المفسرين.

خلص البحث إلى توضيح رؤية شاملة في منهج الإمامين ببيان منهجهما في كل الفصول والمباحث وعرض الأمثلة على ذلك ثم المقارنة بينهما.

وهدف من خلال هذه الدراسة إلى إبراز المعاني القيمة لهذين السفرين العظيمين وما حملا فيه من معاني وبيان لتوضيح كتاب الله، لتدفع القارئ إلى قراءتهما والوقوف على ما كتب الإمامان فيهما مما لا يستغني عنه طالب علم.

ختمت دراستي بذكر المصادر والمراجع والفهارس العامة لموضوعات البحث.

The Abstract

Thanks God, and pray and peace upon our prophet Mohammed and his companion

This research titled by " Altasheel of science of Tanzeel of Ibn Jozi Alkalbi and Zad Almisar of Ibn Al- Jawzi, a comparative analytic study " which contained three chapters, the first chapter contains definitions of two Imams, his full name, his teachers, his students , his books , what scientist said about him. Also it contains an abstract about the Imam era, the social, scientific , political situation, and it contains a definition about the book , its resources, and its methodology.

The second chapter talks about interpretation by the proved evidence and interpreting by opinion, their definition, there types, and the curriculum of the two Imams . the two Imams talks about interpretation by its four types, the first interpreting Qur'an by Qur'an ,the second Qur'an by Sunnah, the third Qur'an by the companions and followers says, the forth by opinion and Language and fundamentals of jurisprudence.

The third chapter talks about an applied study about doctrine , worshiping, behaviors, and stories. It talks about the methods of the two Imams in a comparative study starting with interpretation of Imam bin Jozi ,then the Imam bin Al-Jowzi.

The researcher conclude the research with a clear vision of the curriculum of the two Imams with examples , the comparing them in all chapters.

The study aimed to show the value of meaning of these two greatest books and what we can find in these two great books of interpreting of Allah's book to let the reader reads and get use of these benefits.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ،وأشهد إلا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله الله بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٢

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ؕ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ الأنفال: ٢٩

فقد أراد الله لهذه البشرية أن ترقى وتسعد بوحى السماء فأرسل إليها رسولا منها قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ ؕ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ الجمعة: ٢

فما إن قرع القرآن أذان القوم حتى وصل النداء إلى قلوبهم وهم في غمرة أوهام الجاهلية سائرون وفوضى الأخلاق يتخبطون فسعدوا به وعلما صدق ربهم حين وصفه لهم بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء: ٩ .

ولقد كان هذا القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول ﷺ وصحابته وسلف الأمة فوقف المفسرون أمام اللفظ القرآني مستخدمين في ذلك مختلف المناهج وكان المبين الأول للقرآن الكريم هو النبي صلى الله عليه وسلم ،ثم برع الصحابة والتابعون من بعده في التفسير ، وبيّنوا مراد الله في كل آية من آيات الكتاب العزيز وعلموه لغيرهم ، وقد سمي هذا التفسير بالمأثور ، وقام بجانبه بعد ذلك التفسير بالرأى وهذا يعتمد على استنباط المعاني من خلال

العلوم المختلفة ، وقد وفق الله الكثير من علماء الأمة لخدمة كتاب الله تعالى ، ومنهم الإمامان الجليلان ابن جزي الكلبى وابن الجوزى رحمهما الله.

وقد يسّر الله لي الوقوف مع هذين السّفرين العظيمين وبيان منهجهما في التفسير، والمقارنة بينهما، دراسة منهجية مقارنة، عشت مع الإمامين فيما كتبا في تفسيريهما للقرآن الكريم، وما بيّنا من معانٍ، ووضّحنا من أحكام، وسطرنا من فوائد، ووجّحنا من وصايا، وحذرا من مزلق، فجزاهما الله خير الجزاء.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

إن شرف العلم بشرف المعلوم ،وعلم التفسير من أشرف العلوم لتعلقه بكتاب الله عز وجل ، ومن هنا تأتي أهمية البحث للوقوف على جهود علمين من الأعلام الذين خدموا هذا العلم ، والكشف عن جهودهما في خدمة كتاب الله عز وجل وقيمة هذين التفسيرين ، وإظهار منهجهما، والمصادر التي اعتمداها في تفسيريهما.

وقد كان من أسباب اختياري للموضوع ما يلي :

1. اعتمادي في التدريس الجامعي لمادة التفسير علي هذين التفسيرين.
2. إعجابي بمنهجهما وبيان أسلوبهما.
3. أهمية التفسير بالمأثور وتقديمه على غيره من أقسام التفاسير.
4. رغبتى الشديدة في خدمة كتاب الله تعالى من خلال هذا الموضوع.

الدراسات السابقة:

لقد كتب المفسرون السابقون كتباً كثيرة وتعددت معها مناهجهم في كتابة هذه التفاسير، لكن الكتب المعاصرة تطرق فيها الباحثون لما كتبه المفسرون السابقون من حيث التحليل

والمقارنة بين مناهج هؤلاء المفسرين رحمهم الله وبسط سيرهم في ذلك لتكتمل الصورة في المنهجية التي قام عليها المفسر في تفسيره للقرآن العظيم.

١. فقد قدم بحث في جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية في السودان بعنوان (اختيار الإمام بن جزى ومنهجه في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل) قدمه الباحث / أحمد مالك الطيب لنيل درجة الدكتوراه بإشراف الدكتور / قاسم بشرى حميدان لكن الباحث حصر منهجه في التفسير بالمأثور من تفسير بن جزى رحمه الله دون مقارنة مع غيره.

٢. كما قدم بحث في جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية في السودان كذلك بعنوان (بن جزى ومنهجه في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل) للباحثة إقبال محجوب لنيل درجة الماجستير لكنها خصت بحثها في التفسير بالمأثور مع إشارة خفيفة للتفسير بالرأي دون أي مقارنة مع غيره من المفسرين .

٣. كما قدم الباحث محمد علي الزبيري بحثه بعنوان (بن جزى ومنهجه في التفسير) في الجامعة الإسلامية في السعودية تكلم فيه المؤلف عن حياة الإمام بن جزى وعصره ومنهجه في التفسير لكن المؤلف لم يذكر مقارنة المفسر مع غيره من المفسرين.

٣. كما قدم بحث في جامعة أم القرى بعنوان (ترجيحات بن جزى في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل) للباحث طارق بن أحمد علي لنيل درجة الماجستير .

٤. كما قدمت رسالة لنيل درجة الدكتوراه للباحث /عبد الخالق محمد في جامعة الملك سعود بعنوان (منهج بن الجوزي في تفسيره زاد المسير).

٥. كما قدمت رسالة ماجستير جامعة بغداد للباحث /عامر عمران علوان بعنوان (منهج بن الجوزي في التفسير).

وعلى هذا فمن قرأت له في هذا الموضوع حصر كتابه في صورتين:

الأولى: كتب وبحوث قائمة على دراسات تحليلية لأحد المفسرين وهي محددة في سور أو أجزاء معينة دون ذكر دراسات مقارنة مع غيره من المفسرين.

الثانية: كتب وبحوث لجزئية من منهج الإمامين بن جزي وابن الجوزي كدراسة التفسير بالمأثور من تفسيريها باعتبار ما لأهمية وقيمة هذا التفسير وتقديمه على غيره وأن الإمامين من أهم من كتب وجمع في ذلك .

وعلى هذا فإن البحث سيضيف للمكتبة الإسلامية مرجعا هاما للباحثين عن تفسير الإمامين الجليلين بن جزي وابن الجوزي ومنهجهما في التفسير كمنهجية ومقارنة.

منهج البحث:

سأسلك في هذه الدراسة المنهج الوصفي المقارن الذي يقوم على الخطوات التالية:

الأولى: في بداية بعض الفصول أو المباحث أو المطالب - وعلى حسب ما أراه بحاجة إلى بيان وتوضيح لبعضها - قمت ببيان ما يتعلق بأهميته وأقسامه وفوائده..

الثانية: بيان منهج الإمامين في التفسيرين فقد قمت بالآتي:

١- بيان منهج الإمام في تفسيره في مقدمة كل مبحث أو مطلب تكلمت فيه وذلك

من خلال ما كتبه الإمامان في موضعين:

أ. المقدمة التي كتبها المؤلف في تفسيره بالكلام عن تفسيره وبيان منهجه فيه.

ب. ما كتبه الإمامان في تفسيريها ومن خلال قراءتي ودراستي للكتابين ذكرت

ما يمكن بيانه في منهجهما.

٢- أوردت أمثلة لكل مطلب لما تم ذكره من بيان المنهج تزيد وتتقص.

الثالثة: المقارنة بين تفسير الإمامين: ذكرت مطلباً مستقلاً لكل مبحث في الدراسة التطبيقية

للمقارنة بين التفسيرين، مع غيرهما من المفسرين.

الرابعة: المقارنة في المنهج وذلك ببيان منهج الإمامين والمقارنة بينهما في الجانب العقدي، والجانب الفقهي، وعلوم القرآن، والجانب اللغوي، والجانب السلوكي، والمرويات الإسرائيلية، والمقارنة بين منهجيهما وسرد الأدلة على ذلك.

الخامسة: الرجوع إلى المصادر الأصلية في ما يلي:

- ١- القرآن الكريم: فقد عزوت الآيات على مصحف المدينة إلى سورها بذكر اسم السورة ثم رقم الآية وذكرته في متن البحث مراعاة للقارئ، وتخففاً على الحاشية
- ٢- تخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها وذلك بذكر الكتاب والباب مع ذكر رقم الحديث.

السادسة: الترجمة وذلك فيما يلي:

- ١- ترجمت للصحابة الذين ورد ذكرهم ما عدا المشهورين.
 - ٢- ترجمت لكل من ورد ذكره من التابعين من علماء وأمرء وغيرهم.
 - ٣- ترجمت للكلمات الغريبة التي وردت في البحث.
 - ٣- لم أترجم للأنبياء ولا من ورد ذكرهم من الصالحين من الأمم السابقة.
 - ٤- لم أترجم للكفار ممن ورد ذكرهم من الطواغيت من السابقين واللاحقين.
- السابعة: جعلت للبحث خاتمة لأذكر فيها أهم النتائج والتوصيات .

هيكل البحث:

يشتمل البحث على مقدمة وثلاثة أبواب وفصول ومباحث ومطالب على النحو التالي:

المقدمة وتشتمل على:

أهمية البحث، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة، وخاتمة، وفهارس.

الباب الأول: التعريف بالإمامين ابن جزي الكلبي، وابن الجوزي، وفيه فصلان:

الفصل الأول: التعريف بالإمام بن جزى الكلبى، وعصره، وتفسيره، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالإمام بن جزى، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مولده ونشأته ونسبه.

المطلب الثاني: طلبه للعلم وشيوخه وتلامذته.

المطلب الثالث: مكانته العلمية ومذهبه العقدي والفقهى.

المطلب الرابع: وفاته، وثناء العلماء عليه، وآثاره العلمية.

المبحث الثاني: التعريف بعصر الإمام بن جزى الكلبى، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية لعصر الإمام بن جزى الكلبى.

المطلب الثاني: الحالة الدينية والعلمية لعصر الإمام بن جزى الكلبى.

المطلب الثالث: الحالة الاجتماعية والثقافية لعصر الإمام بن جزى الكلبى.

المبحث الثالث: التعريف بتفسير الإمام بن جزى الكلبى، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالكتاب (التسهيل لعلوم التنزيل) وقيمه العلمية.

المطلب الثاني: مصادره في التفسير.

المطلب الثالث: منهجية الإمام بن جزى الكلبى في التفسير.

الفصل الثاني: التعريف بالإمام بن الجوزى، وعصره، وتفسيره، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالإمام بن الجوزى، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مولده ونشأته ونسبه.

المطلب الثاني: طلبه للعلم وشيوخه وتلامذته.

المطلب الثالث: مكانته العلمية ومذهبه العقدي والفقي.

المطلب الرابع: وفاته، وثناء العلماء عليه، وآثاره العلمية.

المبحث الثاني: التعريف بعصر الإمام بن الجوزي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية لعصر الإمام بن الجوزي.

المطلب الثاني: الحالة الدينية والعلمية لعصر الإمام بن الجوزي.

المطلب الثالث: الحالة الاجتماعية والثقافية لعصر الإمام بن الجوزي.

المبحث الثالث: التعريف بتفسير الإمام بن الجوزي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالكتاب (زادا لمسير) وقيمه العلمية.

المطلب الثاني: مصادره في التفسير.

المطلب الثالث: منهجية الإمام بن الجوزي في التفسير.

الباب الثاني: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي وفيه فصلان:

الفصل الأول: التفسير بالمأثور وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى القرآن وأهمية تفسيره ومراتبه.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن عند الإمامين.

المطلب الثالث: تفسير القرآن بالقراءات عند الإمامين.

المطلب الرابع: تفسير القرآن بالأشباه والنظائر عند الإمامين.

المبحث الثاني: تفسير القرآن بالسنة وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى السنة وأهميتها في التفسير.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة عند الإمامين.

المبحث الثالث: تفسير القرآن بقول الصحابي وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: تعريف الصحابي وأهمية تفسير الصحابة.
- المطلب الثاني: تفسير القرآن بقول الصحابي عند الإمامين.
- المبحث الرابع:** تفسير القرآن بقول التابعي وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: تعريف التابعي وأهمية تفسيره ومراتبه.
- المطلب الثاني: تفسير القرآن بقول التابعي عند الإمامين.
- الفصل الثاني:** التفسير بالرأي وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول:** تعريفه - حكمه - مباحثه وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: تعريف التفسير بالرأي.
- المطلب الثاني: حكم التفسير بالرأي.
- المطلب الثالث: مباحث في التفسير بالرأي.
- المبحث الثاني:** تفسير القرآن بأصول الفقه وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: تعريف أصول الفقه.
- المطلب الثاني: تفسير الإمامين في أصول الفقه.
- المبحث الرابع:** تفسير القرآن باللغة وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: تفسير الإمام بن جزري في اللغة.
- المطلب الثاني: تفسير الإمام بن الحوزي في اللغة.
- الباب الثالث:** الدراسة التطبيقية وفيها أربعة فصول:
- الفصل الأول:** الدراسة التطبيقية عند الإمامين في العقائد وفيها ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول:** تفسير الإمامين في الآيات الكونية وفيها ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: تفسير الإمام بن جزري في الآيات الكونية.
- المطلب الثاني: تفسير الإمام بن الجوزي في الآيات الكونية.
- المطلب الثالث: المقارنة بين تفسير الإمامين في الآيات الكونية.
- المبحث الثاني:** تفسير الإمامين في آيات الإيمان وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: تفسير الإمام بن جزري في آيات الإيمان.
- المطلب الثاني: تفسير الإمام بن الجوزي في آيات الإيمان.
- المطلب الثالث: المقارنة بين تفسير الإمامين في آيات الإيمان.

- المبحث الثالث:** تفسير الإمامين في الأسماء والصفات وفيه أربعة مطالب:
- المطلب الأول: أهميته ومنهج السلف فيه.
- المطلب الثاني: تفسير الإمام بن جزى في الأسماء والصفات.
- المطلب الثالث: تفسير الإمام بن الجوزي في الأسماء والصفات.
- المطلب الرابع: المقارنة بين تفسير الإمامين في الأسماء والصفات.
- الفصل الثاني:** الدراسة التطبيقية عند الإمامين في العبادات وفيها مبحثان:
- المبحث الأول:** المسائل الفقهية وفيها ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: تفسير الإمام بن جزى في المسائل الفقهية.
- المطلب الثاني: تفسير الإمام بن الجوزي في المسائل الفقهية.
- المطلب الثالث: المقارنة بين تفسير الإمامين في المسائل الفقهية.
- المبحث الثاني:** الناسخ والمنسوخ وفيها أربعة مطالب:
- المطلب الأول: تعريف النسخ ومشروعيته وضوابطه وفوائده.
- المطلب الثاني: تفسير الإمام بن جزى في الناسخ والمنسوخ.
- المطلب الثالث: تفسير الإمام بن الجوزي في الناسخ والمنسوخ.
- المطلب الرابع: المقارنة بين تفسير الإمامين في الناسخ والمنسوخ.
- الفصل الثالث:** الدراسة التطبيقية عند الإمامين في السلوك وفيه مبحثان:
- المبحث الأول:** تفسير الإمام بن جزى في السلوك وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: السلوك في تفسير الإمام بن جزى.
- المطلب الثاني: مقامات التصوف عند الإمام بن جزى.
- المبحث الثاني:** تفسير الإمام بن الجوزي في السلوك وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: السلوك في تفسير الإمام بن الجوزي.
- المطلب الثاني: مقامات التصوف عند الإمام بن الجوزي.
- المطلب الثالث: المقارنة بين تفسير الإمامين في السلوك.
- الفصل الرابع:** القصص وفيه مبحثان:
- المبحث الأول:** أسباب النزول وفيه أربعة مطالب:
- المطلب الأول: تعريف أسباب النزول وأهميته وصيغها وفوائدها.
- المطلب الثاني: تفسير الإمام بن جزى في أسباب النزول.

المطلب الثالث: تفسير الإمام بن الجوزي في أسباب النزول.
المطلب الرابع: المقارنة بين تفسير الإمامين في أسباب النزول.
المبحث الثاني: الإسرائيليات وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: تعريفها وحكمها ودخولها التفسير.
المطلب الثاني: تفسير الإمام بن جزي في الإسرائيليات.
المطلب الثالث: تفسير الإمام بن الجوزي في الإسرائيليات.
المطلب الرابع: المقارنة بين تفسير الإمامين في الإسرائيليات.
الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث والتوصيات.

الفهارس: وتشتمل على :

١. فهرس الآيات القرآنية .
٢. فهرس الأحاديث النبوية.
٣. فهرس الأعلام.
٤. فهرس المصادر والمراجع.
٥. فهرس الموضوعات.

الباب الأول

الترجمة للإمامين ابن جزى، وابن الجوزي،

والتعريف بعصرهما، وكتابيهما.

وفيه فصلان

الفصل الأول: ترجمة الإمام ابن جزى الكلبى، وعصره،

وكتابه.

الفصل الثانى: ترجمة الإمام ابن الجوزى، وعصره،

وكتابه.

الفصل الأول:

ترجمة الإمام ابن جزي الكبي

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن جزي الكبي

المبحث الثاني: التعريف بعصر الإمام ابن جزي الكبي

المبحث الثالث: التعريف بتفسير الإمام ابن جزي الكبي

المبحث الأول

التعريف بالإمام ابن جزي الكلبى

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: نسبه ومولده ونشأته

المطلب الثانى: طلبه للعلم وشيوخه وتلامذته

المطلب الثالث: مكانته العلمية ومذهبه العقدي والفقهى

المطلب الرابع: وفاته، وثناء العلماء عليه، وأثاره العلمية

المطلب الأول:

نسبه ومولده ونشأته

نسبه:

هو: أبو القاسم محمد ابن أحمد ابن محمد ابن عبد الله ابن يحيى ابن عبد الرحمن ابن يوسف ابن سعيد ابن جزى الكلبي الغرناطي الأندلسي^(١).

وفيما يتعلق باسمه نوضح ما يلي:

أولاً: ابن جزى مصغراً وبدون همزة على آخره من خلال ما كتبه عن نفسه^(٢)، أو من كتب من بعد أن جزى مصغراً بدون همزة وبضم الجيم وفتح الزاي وتشديد الياء^(٣).
ثانياً: في نسب ابن جزى رحمه الله ورد ثلاثة أشخاص سموا محمد ابن جزى: الأول: إمامنا المفسر، والثاني: جده، وهو محمد ابن عبد الله ابن جزى، والثالث: ولده وهو محمد ابن محمد ابن أحمد ابن جزى. كلهم سموا بمحمد ابن جزى وكلهم أئمة، علماء، خطباء، مجتهدون، وسيأتي بيانهم وسيرهم فيما بعد.

ثالثاً: كُني بأبي القاسم^(٤)، وقد ورد النهي عن هذه الكنية لحديث أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: نادى رجل بالبقيع يا أبا القاسم فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنني لم

(١) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة أبو الفضل أحمد ابن علي ابن محمد ابن أحمد ابن حجر العسقلاني، مراقبة / محمد عبد المعيد ضان مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد- الهند ط/٢ ٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م، ٤٦٤/١، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد ابن محمد المقري التلمساني، ت: د. إحسان عباس دار صابر-بيروت- لبنان، ط/١: ١٩٠٠، ٥١٤/٥.

(٢) ذكر الإمام ابن جزى في مقدمة كتابه القوانين الفقهية: " قال عبد الله خديم الكتاب والسنة محمد ابن أحمد ابن محمد ابن جزى - بدون همز - الكلبي تاب الله عليه أمين، انظر القوانين الفقهية ٢/١.

(٣) السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد ابن محمد ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، ت: احسان عباس، دار الثقافة - بيروت- لبنان، ط/١: ١٩٦٥ م، ٢/٢٢١.

(٤) الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ٤٦٤/١، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد التلمساني ٥١٤/٥.

أعئك إنما دعوت فلانا، فقال رسول الله ﷺ: «سموا- وفي رواية تسموا - باسمي ولا تكونوا بكنيتي^(١)». وقد رد ابن جزى رحمه الله في كتابه القوانين الفقهية فقال: " ورد النهي عن بعض الأسماء فمنها التكنية بأبي القاسم وإنما منع من ذلك في حياة النبي ﷺ خاصة؛ لأن أبا بكر الصديق، وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهما قد كنى كل واحد منهما ولده أبا القاسم بعد ذلك، فعن علي ابن أبي طالب ﷺ قال: « قلت يا رسول الله إن ولد لي ولدٌ من بعدك أسميه باسمك وأكنيّه بكنيتك، قال: نعم^(٢)». وقد جاء له ولد سماه بمحمد وكناه بأبي القاسم، وهو المشهور بمحمد ابن الحنفية، وكذلك ولد لأبي بكر ولدٌ فسماه القاسم^(٣)، ما يدل على أن هذا المنع خاص بزمن النبي ﷺ، وقد انتهى هذا المنع بموت النبي ﷺ، فلما مات النبي ﷺ سمي وكنى من أراد ذلك.

تاريخ أسرة ابن جزى الكلبى:

أولاً: أصول الأسرة يعود إلى حمير ابن سبأ ابن يشجب ابن يعرب ابن قحطان^(٤)، وقد سجّل التاريخ الدولة الحميرية التي قامت في اليمن والملوك التابعة الذين توارثوا الحكم.

ثانياً: تفرع الأصل الحميري إلى كلب ابن وبرة ابن تغلب ابن حلوان ابن هوازن^(٥). ومنه قبيلة بني كلب اليمانية ونال الشرف من هذه القبيلة حبّ رسول الله ﷺ سيدنا زيد ابن حارثة الكلبى ﷺ، والحبّ ابن الحبّ سيدنا أسامة ابن زيد رضي الله عنهما،

(١) صحيح البخاري في كتاب المناقب، باب ما نكر في الأسواق، رقم ٢٠١٤، ٧٦٤/٢ .

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الرخصة في الجمع بينهما، رقم ٤٩٦٧، ٧١٠/٢.

(٣) القوانين الفقهية ٢٨٣.

(٤) الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، للأمير الحافظ ابن ماکولا، دار الكتاب الاسلامي الفارق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤٦/٧.

(٥) المحبر لمحمد ابن حبيب ابن أمية ابن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي، تحقيق: إيلزة ليختن شتير

الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، ٢٣٤/١.

وكذلك الصحابي الجليل دحية ابن خليفة الكلبي^(١) الذي كان جبريل عليه السلام يأتي في صورته، وقد نالوا شرف الصحبة مع رسول الله ﷺ وشرف الدعوة والجهاد حتى لقوا ربهم ﷻ.

ثالثاً: في ولاية جيان إحدى ولايات الأندلس وفي شهر رمضان سنة ٥٣٩ هجرية ببيع السلطان الأمير أبو بكر عبد الرحمن ابن يوسف ابن جزى الكلبي واليا عليها، وهو الجد الرابع لإمامنا المفسر ابن جزى، وكانت له بجان رئاسة وانفراد بالتدبير^(٢).

رابعاً: أبو القاسم محمد ابن عبدالله ابن جزى (الجد الأقرب) الفقيه العلامة الوزير وكان عالماً بالفقه والفرائض والعربية والنظم، وشرح الألفية وغيرها، وولي الخطابة بغرناطة والقضاء بها^(٣).

خامساً: أحمد ابن محمد ابن جزى (الوالد) كان من أهل الأصالة والذكاء واليه النظر في أمر الغنائم ببلده وكان محموداً، وله طلب وسماع توفي عام ٧١٠ هجرية^(٤)، نبت الفرع بعد هذه التلة المباركة الإمام المقرئ المفسر الفقيه الحافظ محمد ابن أحمد ابن جزى.

(١) هو دحية ابن خليفة ابن فروة الكلبي، من كلب ابن وبرة في قضاة كان من كبار الصحابة، لم يشهد بدر، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد وبقي إلى خلافة معاوية، وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ إلى قيصر رسولا في الهدنة، وذلك في سنة ست من الهجرة كان رسول الله ﷺ يشبه دحية الكلبي بجبريل عليه السلام. انظر الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٤٦١/٢.

(٢) الإحاطة لابن الخطيب ٣٥٢/١.

(٣) إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ للإمام/ شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن علي ابن حجر العسقلاني، ت. د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية - بيروت/ لا بنان، ط: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. وقد ذكر ان كنيته ابو بكر ولعله وهم لان كنية ابنه احمد ابو بكر وانما كنيته ابا القاسم كما ذكرها ابن الخطيب، ٢٨١/١.

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني ٩٣/١

مولده ونشأته:

ولد الإمام المفسر محمد ابن أحمد ابن جزي في يوم الخميس التاسع من ربيع الثاني سنة ٦٩٣ للهجرة في مدينة غرناطة عاصمة الأندلس^(١).

ونشأ وترى في حجر والده، فكان المربي الأول له حيث تعلم منه وقرأ عليه القرآن، ثم انتقل بعدها إلى المكاتب لتعليم الصغار القرآن، ثم انتقل بعدها إلى المسجد لتلقي العلوم الأخرى و بينما هو ينتقل بين حلقات العلم والعلماء في ريعان شبابه وفي كنف والده مات والده سنة ٧١٠ هجرية ليكمل حياته مع العلم، وقد أضيفت له أعباء الحياة إذ هو حينما مات والده وهو ابن سبعة عشر عاماً^(٢).

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض لشهاب الدين أحمد ابن محمد ابن أحمد ابن يحيى، أبو العباس المقري التلمساني، تحقيق: مصطفى السقا (المدرس بجامعة فؤاد الأول) - إبراهيم الإبياري (المدرس بالمدارس الأميرية) - عبد العظيم شلبي (المدرس بالمدارس الأميرية)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، ط: ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩م، ١/٢٩٧. وقيل ولد بسبته سادس ربيع الأول المبارك الذي من عام ٦٩٧ هجرية كما ذكر في تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن ابن عبد الله ابن الحسن النباهي المالقي الأندلسي ١/١٧٧ تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ط. دار الآفاق الجديدة - بيروت/ لبنان، ط: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

(٢) الإحاطة لابن الخطيب ٣١٨/٤

المطلب الثاني:

طلبه للعلم وشيوخه و تلامذته

طلبه للعلم:

كان طلبه للعلم على ثلاثة مراحل: الأولى: بداية تعلمه كان في البيت منذ الصغر، فقد تعلم على يد والده قراءة القرآن وغيره، والتعليم في المكاتب حيث كانت العادة في الأندلس توجه الصبيان لتعليم القرآن الكريم إذ كانوا أول ما يقرؤون القرآن يقرؤونه على رواية ورش^(١) عن نافع^(٢) فإذا انتهوا منها انتقلوا إلى بقية القراءات السبع، وقد قرأ الإمام ابن جزى القرآن في المكاتب على بعض مشايخه كالشيخ المقرئ أبو جعفر أحمد ابن إبراهيم ابن الزبير، وكذلك الشيخ محمد ابن أحمد ابن داود ابن الكماد وسيأتي بيانهم.

الثانية: القراءة في المسجد في حلقات العلم وفيها يتمون تعليم القراءات والدروس الأخرى في اللغة والنحو والحديث والفقه والأصول حيث يتعلمون هذه العلوم منذ الصغر، فقد درس ابن جزى كتاب الكتاب لسيبويه^(٣)، كما درس الكتب الخمسة المشهورة في الحديث

(١) هو ورش عثمان ابن سعيد ابن عبد الله ابن عمرو القبطي شيخ الإقراء بالديار المصرية ولد سنة مائة وعشرة لقبه نافع بورش لشدة بياضه كان ماهرا بالعربية انتهت اليه رئاسة الإقراء مات سنة ١٩٧هـ، انظر: سير اعلام النبلاء لشمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد الذهبي ت: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ٣٠٥/١٧.

(٢) هو أبو رويم نافع ابن بي نعيم الأصبهاني ولد في خلافة الملك عبد الملك ابن مروان سنة بضع وسبعون وجود كتاب الله على سبعين من التابعين وكان اذا تكلم توجد من فيه ريح المسك فسئل عنه قال: رأيت النبي ﷺ في النوم تفل في فيّ قال مالك: نافع إمام الناس في القراءة توفي سنة تسع وتسعون ومائة انظر: سير اعلام النبلاء للذهبي ٣٨٢/١٣.

(٣) هو عمرو ابن عثمان ابن قنبر الفارسي ثم البصري الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز، وقد طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل العصر، وقدم البصرة، فلزم الخليل ابن أحمد ففاقه. وصنف كتابه المسمى " الكتاب، لم يصنع قبله ولا بعده مثله. وعاد إلى الاهواز فتوفي بها، و " سيبويه " بالفارسية رائحة التفاح. وكان أنيقا جميلا، عاش اثنين وثلاثين سنة، ومات سنة ثمانين ومائة. انظر: سير اعلام النبلاء للذهبي، ٣٦٦/١٥، الأعلام، للزركلي، ط: دار العلم للملايين، ١٨١/٥.

التي كانت تُدرس في بلاد الأندلس وهي صحيح البخاري^(١)، ومسلم^(٢)، وسنن الترمذي^(٣)، وسنن أبي داود^(٤)، وسنن النسائي^(٥)، ثم درس الفقه وأصوله وقد كان مذهب الإمام مالك^(٦) هو السائد في تدريس الفقه، فدرس كتاب المدونة لسحنون^(١)، وكان على طريقة

(١) هو محمد ابن إسماعيل ابن إبراهيم ابن المغيرة البخاري، أبو عبد الله: حبر الاسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ، صاحب (الجامع الصحيح ولد في بخارى، ونشأ يتيماً، وقام برحلة طويلة (سنة ٢١٠) في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ست مئة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق برواته. وهو أول من وضع في الإسلام كتاباً على هذا النحو. وأقام في بخارى فمات فيها سنة ٢٥٦هـ، وكتابه في الحديث أوثق الكتب الستة المعول عليها، انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٣٨٣/٢٣، والاعلام الزركلي. ٣٤/٦.

(٢) هو مسلم ابن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري، هو الإمام الكبير، الحافظ، المجود، الحجة، الصادق، أبو الحسين مسلم ابن الحجاج ابن مسلم ابن ورد ابن كوشاذ القشيري، النيسابوري، صاحب (الصحيح)، فلعله من موالى قشير. ولد سنة أربع ومائتين وحج في سنة عشرين وهو أمرد، فسمع بمكة من: القعني - فهو أكبر شيخ له - وسمع بالكوفة ولد بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور سنة ٢٦١هـ. أشهر كتبه (صحيح مسلم) جمع فيه اثني عشر ألف حديث، كتبها في خمسة عشر سنة انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٦٤/٢٤ والاعلام للزركلي ٢٢١/٧.

(٣) هو أبو عيسى محمد ابن عيسى ابن سورة ابن موسى السلمى البوغي الترمذي، الحافظ العلم الإمام البارع من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ (على نهر جيحون) ولد سنة: ٢١٠هـ، وتلمذ للبخاري، وشاركه في بعض شيوخه. وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وعمي في آخر عمره. وكان يضرب به المثل في الحفظ مات بترمذ. من تصانيفه (صحيح الترمذي) في الحديث، مجلدان، انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٢٧١/٢٥، والاعلام للزركلي ٣٢٢/٦.

(٤) أبو داود هو الحافظ الإمام شيخ السنة مقدم الحفاظ أبو داود سليمان ابن الأشعث ابن اسحاق ابن بشير ابن شداد ابن عمر ابن عمران الأزدي السجستاني أحد حفاظ الحديث وعلومه وعلمه صاحب كتاب السنن قال: - كتبت عن رسول الله ﷺ خمس مائة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب - يعني: كتاب (السنن) - جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثمان مائة حديث، ذكرت الصحيح، وما يشبهه ويقاربه، ولد سنة ٢٠٢هـ وتوفي سنة ٢٧٥هـ، انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٢٠٨/٢٥، ووفيات الأعيان لابن خلكان، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٣٣٧/٢ .

(٥) أحمد ابن علي ابن شعيب ابن علي ابن سنان ابن بحر ابن دينار، أبو عبد الرحمن النسائي الإمام الحافظ الثبت شيخ الاسلام ناقد الحديث ولد بنسا بخراسان سنة ٢١٥ وطلب العلم في صغره صاحب السنن، جال في طلب العلم في خراسان، والحجاز، ومصر، والعراق، والجزيرة، والشام، والثغور، واستوطن مصر، ودفن ببيت المقدس، سير اعلام النبلاء للذهبي ١٣٤/٢٧ والاعلام للزركلي ١٧١/١.

(٦) هو ابو عبد الله مالك ابن انس ابن مالك الحميري الاصبحي المدني شيخ الاسلام وإمام دار الهجرة ولد سنة ثلاث وتسعين طلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة وتأهل للفتيا وله احدى وعشرون سنة وقصده طلبه العلم من الافاق

مثلى من العكوف على العلم والاشتغال بالنظر والتقيد مشاركا في فنون من عربية وفقه وأصول وأدب وحديث تقدم خطيبا ببلده على حداثة سنّه فاتفقوا على فضله^(٢)، وقرأ على الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير وأخذ عنه العربية والفقه والحديث والقرآن ولازم الخطيب الفاضل أبا عبد الله ابن رشيد^(٣).

الثالثة: مدارسته للعلم في المسجد وجمعه للكتب ومطالعه لها مع مدارس العلماء استطاع جمع العلوم المتعددة وتدرسه لها ثم قام بعد ذلك بتأليف الكتب، فكان فقيها حافظا، قائما على التدريس، مشاركا في فنون من العربية والفقه والأصول والقراءات الحديث والأدب، حافظا للتفسير للأقوال لجماعة للكتب، موكل بالخرانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة^(٤).

شيوخه:

لا شك أن الإمام ابن جزى تعلم عند علماء كثر، ولا شك أن هؤلاء العلماء كانوا جهابذة كبار، حتى كان من ثمرتهم وأثرهم الإمام ابن جزى، ومن هؤلاء:

-
- الى ان مات ولم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكا في العلم والفقه والجلالة والحفظ عاش تسع وثمانون سنة ومات لعشر مضت من ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة نقل القاضي عياض ان اسد ابن موسى قال: رأيت مالكا بعد موته وعليه طويلة وثياب خضر وهو على ناقة يطير بين السماء والارض فقلت يا أبا عبد الله اليس قد مات قال بلى فقلت الام صرت فقال: قدمت على ربي وكلمني كفاحا وقال سلني اعطك وتمن علي أرضك. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ١٢٣/١٥.
- (١) عبد السلام ابن سعيد ابن حبيب ابن حسان ابن هلال ابن بكار التنوخي، ابو سعيد الملقب بسحنون: الإمام العلامة فقيه المغرب، انتهت إليه رئاسة العلم في المغرب أصله من حمص، ومولده في القيروان، ولي القضاء بها سنة ٢٣٤ هـ، واستمر إلى أن مات سنة ٢٤٠ هـ وكان زاهدا رفيع القدر، عفيفا، أبي النفس صاحب المدونة في فروع المالكية انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٥٨/٢٣، الاعلام للزركلي ٥/٤.
- (٢) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني ٤٦٤/١، وغاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد ابن محمد ابن يوسف، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١ هـ ج. برجستراسر، ٣١٥/١.
- (٣) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم ابن علي ابن محمد ابن فرحون، برهان الدين اليعمرى، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ١٥٤/١، وسيأتي ترجمة ابن رشيد عند ذكر شيوخ الإمام ابن جزى.
- (٤) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للمقري ٢٩٨/١.

١- أبو جعفر أحمد ابن إبراهيم ابن الزبير ابن الحسن ابن الحسين النثقي محدث زمانه بالأندلس بل المغرب، خيراً صالحاً معظماً عند الخاصة والعامة، شيخ الإسناد أقرأ القرآن والنحو والحديث بغرناطة^(١)، وتقدم بالجامع الكبير للتدريس والخطابة والإمامة وتلمذ عليه خلق كثير، منهم ابن جزي الكلبي، قرأ عليه الفقه والقراءات والحديث والعربية^(٢)، قال ابن جزي: ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب شيخنا الأستاذ: أبي جعفر ابن الزبير، فلقد قطع عمره في خدمة القرآن وآتاه الله بسطة في علمه، وقوة في فهمه، وله فيه تحقيق، ونظر دقيق^(٣).

٢- محب الدين أبو عبد الله محمد ابن عمر ابن رشيد الفهري السبتي^(٤)، سمع ببلده ثم ارتحل إلى مصر والشام والحجاز، ثم عاد إلى غرناطة وتولى الإمامة والخطابة بجامعها الأعظم^(٥)، فكان الخطيب المحدث، المتبحر في علوم الرواية والإسناد، وكان رحمه الله فريد دهره عدالة وجلالة، وحفظاً وأدباً، وسمتاً وهدياً، عالي الإسناد، صحيح النقل، أصيل الضبط، تام العناية بصناعة الحديث، قيماً عليها بصيراً بها، محققاً فيها، ذاكراً فيها للرجال، جماعة للكتب، محافظاً على الطريقة، مضطلعاً بغيرها من العربية واللغة والعروض، فقيهاً أصيل النظر، ذاكراً للتفسير، ريان من الأدب، حافظاً للأخبار والتواريخ، مشاركاً في الأصلين، عارفاً بالقراءات، عظيم الوقار والسكينة، بارع الخط، حسن الخلق،

(١) غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين ابن الجزري، ١/٨٦.

(٢) الإحاطة لابن الخطيب ١/١٨٨.

(٣) مقدمة كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/١٤.

(٤) ذيل طبقات الحفاظ للذهبي لأبي الفضل عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، ت: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ١/٢٣٥.

(٥) تذكرة الحفاظ لمحمد ابن أحمد ابن عثمان الذهبي، ت: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط/١:

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ١/٢٣٦.

كثير التواضع^(١)، ولد سنة سبع وخمسين وستمئة بسبته ومات بفاس في محرم سنة إحدى وعشرين وسبعمائة^(٢)، عن أربع وستين سنة، وقد لازمه الإمام ابن جزري ودرس عليه^(٣).

٣- محمد ابن أحمد ابن داود ابن موسى ابن مالك اللخمي المعروف بابن الكماد كان من جلة صدور الفضلاء زهداً وقناعةً وانقباضاً، إلى دماثة الخلق ولين الجانب وحسن اللقاء والعمل على التقشف والعزلة قديم السماع والرحلة إماماً مشهوراً في القراءات يرحل إليه محدثاً ثبناً فقيهاً متصرفاً في المسائل أعرف الناس بعقد الشروط ذا حظ من اللغة والعربية والأدب، رحل وتجول في الأندلس فأخذ عن كثير من الأعلام، وروى وقيد وصنف وأفاد وتصدر للإقراء بغرناطة وغيرها، وتخرج بين يديه جملة وافرة من العلماء والطلبة انتفعوا به توفي عام اثني عشر وسبعمائة^(٤)، وقد قرأ الإمام ابن جزري القرآن عليه^(٥).

٤- أبو القاسم قاسم ابن عبد الله ابن محمد ابن الشاط الأنصاري كان رحمه الله تعالى نسيج وحده في أصالة النظر ونفوذ الفكر وجودة القريحة وتسديد الفهم إلى حسن الشمائل وعلو الهمة والعكوف على العلم والاقتصار على الآداب السنية والتحلي بالوقار والسكينة أقرأ عمره بمدينة سبته الأصول والفرائض مقدماً فيها موصوفاً بالإمامة، وكان موفور الحظ من الفقه، حسن المشاركة في العربية كاتباً مترسلاً رياناً من الأدب له نظر في العقلية^(٦). وهو من شيوخ الإمام ابن جزري تعلم على يديه وانتفع به، ولد في عام ثلاثة وأربعين وستمئة بمدينة سبته وتوفي بها عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة^(٧).

(١) الإحاطة لابن الخطيب ٣٩٢/١. والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ١٦١/١.

(٢) تذكرة الحفاظ لمحمد ابن أحمد ابن عثمان الذهبي ٢٣٦/١.

(٣) الإحاطة لابن الخطيب ٣٥٢/١.

(٤) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ٢/٢٧٩.

(٥) الإحاطة لابن الخطيب ٣٥٢/١.

(٦) الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب لابن فرحون ١/١٢٤، والروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد

ابن عبد المنعم الحميري، ت. إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت، ط/٢: ١٩٨٠ م، ٥/١.

(٧) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ١/١٢٤.

٥- أبو عبدالله محمد ابن أحمد ابن يوسف ابن أحمد ابن عمر ابن يوسف الهاشمي الطنجالي، الولي الفاضل، المجمع على ولايته وفضله، سهل اللقاء، رفيقاً بالخلق، عطوفاً على الضعفاء، سالكاً سنن الصالح من السلف، سمياً وهدياً، بصره مغضوض، ولسانه صامت، إلا من ذكر الله، وعلمه نافع وثوبه خشن، وطعمته قد نفذها الورع الشديد، حتى اصطفاها مختاره، وله حظ في الفقه والحديث والتفسير تقدم خطيباً ثم قاضياً تتلمذ عليه أبو القاسم ابن جزي^(١)، وكان جلدأً، قوياً في نفسه، بدنأً، طوالاً هاشمياً خلقاً وخلقاً، نبياً، نزيهاً، خطيباً، مهيباً، أصيل الرأي، رصين العقل، قائماً على عقد الشروط وعلم الحساب والفرائض^(٢)، ولد بمالقة في رجب سنة أربعين وستمئة وتوفي بها في يوم الخميس الثامن لجمادى الأولى من عام أربعة وعشرين وسبعمائة، وقد ناهز الثمانين سنة، لم ينقص شيء من أعماله المقربة إلى الله، من الصوم والصلاة، وحضور الجماعات، وملازمة الإقراء والرواية، والصبر على الإفادة^(٣).

٦- أبو محمد عبد المهيم ابن محمد ابن علي ابن محمد الحضرمي، كان خاتمة الصدور ذاتاً وسلفاً وتربية وجلالة. له القدح المعلى في علم العربية، والمشاركة الحسنة في الأصلين، والإمامة في الحديث، والتبريز في الأدب والتاريخ واللغة، والعروض، نشأ فارس الحلبة، وعروس الوليمة، وصدر المجلس، ووفور الجاه والإغراق في النعمة، كثير الاجتهاد والملازمة، والتفنن والمطالعة، مقصور الأوقات على الإفادة والاستفادة^(٤)، أصل سلفه من اليمن ارتحل جده إلى المغرب، كان كثير الاجتهاد موصوفاً بالنزاهة والصدق رفيع المرتبة تتلمذ عليه ابن جزي، وكان كبير القدر ببلدة سبتة وولي القضاء بها عام

(١) الإحاطة لابن الخطيب ٤٢٩/١.

(٢) تاريخ قضاة الأندلس لأبي الحسن النباهي ١٥٧/١.

(٣) الإحاطة لابن الخطيب ٤٣٠/١.

(٤) المرجع السابق ٤٨/٢.

٦٨٣، وكان بينه وبين ولاتها قرابة^(١)، فقام بالأحكام أجمل قيام، مستعيناً بحسن النظر وفضل الجاه وعز النزاهة. فكان مجلسه يغص بعمائم العلماء، وهم كأنما على رؤوسهم الطير هيبَةً له، وتأدباً معه^(٢) توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة^(٣).

٧- أبو عبد الله محمد ابن علي ابن برطال المالقي، قاض توارث كل جلالة لا عن كلاله وجمع في العلم والحسب بين الموروث والمكتسب تولى قضاء الحضرة فأنفذ الأحكام وأمضاها وسام سيوف الجزالة وامتضاها ولبس أثواب النزاهة والانتقاض وسلك الطريق التي اختارها السلف وارتضاها واجتمعت الأهواء المفترقة عليه وصرف الثنا أَعْتة الألسن إليه، ثم كر إلى بلده واستقر خطيباً بقرارة أهله وولده^(٤)، وكان من جلة الفقهاء عارفاً بالنوازل ذا نزاهة مفرط الوقار معظماً عند الخاصة والعامة سليم الصدر صليبا في الحق مهيباً عالي الهمة مقتصداً متقللاً الدنيا قديماً العدالة قولاً بالحق متعففاً مقتصرًا على ما يحصل له من أملاك صيرها إليه الميراث عن آبائه، ولي قضاء مالقة وكانت وفاته في ثامن المحرم سنة ٧٢٠هـ^(٥)، درس عليه ابن جزى، وروى عنه^(٦).

تلامذته:

برز الإمام ابن جزى في توريث العلم، وذلك من خلال صورتين:

الأولى: تعليمه أبنائه:

- (١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ٢/٢٦.
- (٢) تأريخ قضاة الاندلس لابي الحسن النباهي ١/١٣٢.
- (٣) الوفيات (معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين) لأبي العباس أحمد ابن حسن ابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني، ت: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط/٤: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ١/١٣.
- (٤) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب للسان الدين ابن الخطيب، ت: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط: ١٩٨٠ م، ٢/٤٠٥.
- (٥) الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ١/٤٥٩.
- (٦) الإحاطة لابن الخطيب ١/٣٥٢.

سلك الإمام ابن جزى طريقاً فريداً وأسلوباً ناجحاً في توريث العلم وإنشاء الأسرة المثالية والنموذج الصالح في تربية وتعليم الأبناء، وقد لفت نظري وأنا أقرأ سيرة الإمام ابن جزى أنه قد ركز في تعليمه على توريث العلم لأبنائه، وهذه منقبة قلما نقلت عن أسلافنا في تعليم أبنائهم وتأليف الكتب من أجل تسهيل العلوم لهم إذ يعد أعلى صورة مثالية لتعليم الأبناء، ولقد حرص الإمام ابن جزى على تعليم أبنائه العلوم الشرعية، فكان أبنائه الثلاثة من كبار العلماء والفقهاء والمحدثين من بعده، وهم:

الأول: أبو بكر أحمد الفقيه القاضي الكاتب الخطيب ولد في ١٥ جماد الأول سنة ٧١٥ هجرية، وقد حرص والده على تعليمه منذ صغره، فقد علمه القرآن والحديث ولازمه في تعليمه وتأديبه حتى قال عنه ابن الخطيب: قرأ على والده الخطيب أبي القاسم ولازمه واستظهره ببعض موضوعاته وتأدب به^(١). ثم قام بتأليف الكتب بصورة سهلة مبسطة من أجل أن يحفظها ولده أحمد بسهولة وذلك عندما كان يعلمه الحديث ألف له كتاباً ليحفظه، وهو كتاب الأنوار السنية في الألفاظ السنية وقال في المقدمة: " ولما يسر الله على ابني أحمد حفظ القرآن الكريم أحببت أن يفوز بحظ من حفظ حديث المصطفى ﷺ فجمعت له في هذا الكتاب جملة صالحة من كلام رسول الله ﷺ^(٢)، وقد كان يستجلب العلماء إلى داره، فقد أتى كثير من العلماء إليه وعلموا أولاده كثيراً من العلوم، وكان يجزل لهم في العطاء؛ لأنه كان له كثير من المال، فكان موسوع العيش موفور العطاء^(٣). قال عنه ابن الخطيب: هو من أهل الفضل والنزاهة والهمة وحسن السمة واستقامة الطريقة غرب إلى الوقار ومال إلى الانقباض وترشح إلى رتب سلفه له مشاركة حسنة في فنون، من فقه

(١) الإحاطة لابن الخطيب ١٦/١.

(٢) تقريب الوصول إلى علم الأصول لأبي القاسم، محمد ابن أحمد ابن محمد ابن عبد الله ابن جزى الكلبي
الغرناطي، تحقيق: محمد حسن محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/١: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ٢٨.

(٣) الإحاطة لابن الخطيب ١٦/١.

وعربية، وأدب، وحفظ، وشعر، تسمو ببعضه الإجابة، إلى غاية بعيدة، فاضل تحلى بالسكينة والوقار، ولزم خدمة العلم، فما عاد ولا انتقل ووجد من أبيه مرعى خصيبا، وعمل على شاكلة سلفه في سلامة الجانب وفضل المذاهب، وتحلى بتلك المآثر وتأهل إلى الرتب في سن الشيبية وترشح، وله مع ذلك في لجة الفقه سبح وعلى بعض موضوعات أبيه شرح وأدبه ساطع وكلامه حسن المقاطع^(١)، تقلد منصب الكتابة للسلطان^(٢)، وتصرف في الخطط الشرعية وولي القضاء بعدة مدن، ثم ولي قضاء الجماعة بغرناطة، والإمامة بجامعها الأعظم له مشاركة حسنة في الفقه والعربية والأدب والحديث^(٣).

قال أبو الحسن النباهي^(٤): تصدر في النيابة بمجلس الحكم الشرعي عام ٧٥٧ هـ الفقيه الأجل، القاضي الأكمل، أبو جعفر أحمد ويدعى بأبي بكر ابن شيخنا الأستاذ الحافظ الخطيب الشهير بأبي القاسم محمد ابن أحمد ابن جزى الكلبي، ذو البيت الأصيل، والمجد الرفيع الأثيل؛ فنهض بأعباء القضاء، ثم إنه اشتغل بالخطبة واستقرت أزمته في يده^(٥). له عدة مؤلفات منها تقييد كتاب والده القوانين الفقهية، وشرح ألفية ابن مالك ورجز في الفرائض، وغيرها. تولى الخطابة في الجامع الكبير سنة ٧٨٢ هجرية وبقي خطيبا حتى توفي عام ٧٨٥ للهجرة^(٦).

الثاني: أبو عبد الله محمد الفقيه الكاتب الأديب ولد في شوال سنة ٧٢١ هجرية نشأ بغرناطة في كنف والده، وقد تعلم على يد والده القرآن والحديث والفقه، درس على يد والده كذلك كتابه القوانين الفقهية، وألف والده كتابا في الأصول وسماه تقريب الوصول إلى علم الأصول، وقال في مقدمة كتابه: " ولذا أحببت أن يضرب بني محمد أسعده الله في هذا

(١) الاحاطة لابن الخطيب ١/١٦.

(٢) أبي الحجاج يوسف النصري.

(٣) الاحاطة لابن الخطيب ١/١٨.

(٤) أحد طلابه وستاتي ترجمته.

(٥) تأريخ قضاة الاندلس لابي الحسن النباهي ١/١٧٧.

(٤) الإحاطة لابن الخطيب ٢/٢٥٦.

العلم بسهمه، فصنفت هذا الكتاب برسمه ووسمته باسمه لينشط لدرسه وفهمه وعولت فيه الاختصار والتقريب مع حسن الترتيب والتهديب"^(١). وقال ابن الخطيب: من أعلام الشهرة على الفتاوى، وانتشار الذكر على الحداثة تبريزا في الأدب واضطلاعا بمعاناة الشعر وإتقان الخط وإيضاحا للأحاجي ولما فقد والده، رحمه الله، ارتسم في الكتابة، إكثارا واقتدارا، ووفور مادة، مجيدا في الامتداح، عجيبا في الأوضاع، صديقا في النسيب، مطبوعا في المقطوعات، معتدلا في الكتابة، نشيط البنان، جلدا على العمل^(٢).

الثالث: أبو محمد عبد الله القاضي الأديب الفقيه، وهو أصغر إخوانه توفي أبوه وعمره سبعة عشر عاما، أخذ عن والده، وسمع عليه على صغر السن، أبعاضاً من كتب عدة في فنون مختلفة، كبعض صحيح مسلم، وبعض صحيح البخاري، وبعض الجامع للترمذي، وبعض السنن للنسائي، وبعض سنن أبي داود، وبعض موطأ مالك ابن أنس وغيرها وأجاز له رواية الكتب المذكورة عنه، مع رواية جميع مروياته وتواليه وتقييداته، إجازة عامة. ولقنه في صغره، جملة من الأحاديث النبوية والمسائل الفقهية، والمقطوعات الشعرية^(٣)، قال ابن الخطيب: هذا الفاضل من بيت نبيه وسلف شهير وأبوة خيرة وأخوة بليغة أديب حافظ قام على فن العربية جيد النظم مطواع القريحة باطنه نبل وظاهره غفلة تقدم للقضاء بجهات نبيهة، على زمن الحداثة^(٤).

الثانية: تعليم غير أبنائه:

اشتغل الإمام ابن جزى بالتدريس في الجامع الكبير بمدينة غرناطة ولم يتولى أي منصب في الدولة، أقبل عليه طلبه العلم ودرسوا على يديه العلوم الشرعية المختلفة من القرآن وعلومه والحديث والفقه، ومن أبرز تلامذته:

(١) تقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جزى ٢٨.

(٢) الإحاطة لابن الخطيب ١٦٣/٢.

(٣) المرجع السابق ٤٨١/١.

(٤) المرجع السابق ٤٨١/١.

١- لسان الدين ابن الخطيب وهو محمد ابن عبد الله ابن سعيد ابن عبد الله السلماني اللوشي الأصل الغرناطي الأندلسي^(١)، مات أبوه مع شيخه ابن جزري في معركة طريف ضد الصليبيين^(٢)، وقد تعلم القرآن وعلومه واللغة وفنونها والشعر واشتهر بكتاباتة ورسائله إذ هو إمام هذه الفنون المحقق لذوي الآمال الظنون المستخرج من بحار البلاغة درها المكنون وله اليد الطولى في العلوم على اختلاف^(٣)، نشأ فقرأ القرآن والعربية على أبي القاسم ابن جزري وأخذ الطب والمنطق والحساب وبرز في الطب وتولع في الشعر فبرع فيه وأجاد وفاق أقرانه^(٤)، وقد ذكره في الإحاطة فقال: أبو القاسم من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها، شيخنا رحمة الله عليه^(٥)، لقب بذي الوزارتين؛ لأنه تولى الوزارتين في وقت واحد وزارة الحجابة (السيف) ووزارة الكتابة (القلم) و كذلك لقب بذي العمرين؛ لأنه أصيب بمرض الأرق منعه من النوم، فكان مشغولا في النهار بأعمال الوزارة ومشغولا في الليل بالتصنيف والتأليف، وكان مؤثرا لقضاء حاجة من أمه وقصد بابه وأم له سواء كان من أودائه أو من أعدائه^(٦)، ألف أكثر من ستين كتابا، وكان يصرح يصرح أنه درس على يد ابن جزري وتلا عليه القرآن، وترجم له كثيرا عرفانا بالجميل^(٧).

(١) إنباء الغمر لابن حجر العسقلاني ١/١٢٩.

(٢) شذرات الذهب في اخبار من ذهب لعبد الحي ابن أحمد ابن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح، ت: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط/١: ١٤٠٦ هـ -

١٩٨٦م، ٦/١٢٨.

(٣) نفح الطيب للمقري التلمساني ١/١٠٩.

(٤) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد ابن علي الشوكاني اليمني، دار المعرفة - بيروت، ٢/١٨٣.

(٥) الإحاطة لابن الخطيب ١/٣٥٢.

(٦) نفح الطيب للمقري التلمساني ٦/١٤٦. تولى الوزارة في عهد السلطان أبي الحجاج يوسف ابن إسماعيل، ثم في عهد ابنه محمد الخامس حينما انفرد ابن الخطيب بتدبير المملكة في عهده حين كان الملك لاهيا، فسعى الوشاة به إلى السلطان ليهلكه، فأدرك ذلك وراسل الملك المريني ملك المغرب في فاس وخرج على أنه يتفقد الثغور، فركب إلى فاس عام ٧٧٣ هـ فزادت الوشاية بتهمة الزندقة وأرسلوا يطلبونه فرفض المريني ذلك، حتى تسلطن أبو العباس المريني قبض عليه فسجن، وأرسل ابن الأحمر وزيره إلى مجلس السلطان فعزز بالكلام ثم بالعقاب ثم أعيد إلى السجن وقتل ليلا في السجن، انظر: إنباء الغمر بأبناء الغمر لابن حجر ١/١٢٩، والاستقصى لأخبار

١- أبو الحسن النباهي علي ابن عبد الله ابن الحسن الجذامي من بيت علم وقضاء وخطابة، ولي القضاء في بعض المدن، ثم كاتباً بالديوان وتولى قضاء الجماعة، وكان صديقاً لابن الخطيب، ثم اختلفا وقد ذكر النباهي شيخه ابن جزري وترجم له ولأولاده، ولما ترجم لابنه أبي بكر قال: ابن شيخنا الأستاذ الحافظ الخطيب الشهير أبي القاسم محمد ابن أحمد ابن جزري الكلبى ذو البيت الأصيل^(٢)، من أشهر كتبه المرتبة العليا لمن يستحق القضاء والفتيا والمعروف بتاريخ قضاة الأندلس.

٣- أبو القاسم محمد ابن محمد ابن يوسف ابن الخشاب الأنصاري شيخ غرناطة والمصدر بجامعها، تعلم على يد ابن جزري وولي القضاء^(٣). وكان حسن السمات موصوفاً بإتقان التجويد في القرآن^(٤).

٤- أبو عبد الله الشديد محمد ابن قاسم ابن أحمد ابن ابراهيم الأنصاري الجياني الأصل ثم المالقي والتصغير للشديد. جملة جمال من خط حسن واضطلاع بحمل كتاب الله، بلبل دوح السبع المثاني ونسيج وحده في حسن الصوت وطيب النغمة اقتحم لذلك وجر أذيال الشهرة ظريف المجالسة قادرا على المحاكاة متسور حمى الوقار^(٥).

دول المغرب الأقصى لأبي العباس أحمد ابن خالد ابن محمد الناصري، ت: جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء، ط: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ٦٣/٤.

(١) الكتيبة الكامنة لابن الخطيب ٣/١. والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد علي الشوكاني ١٨٢/٢.

(٢) تاريخ قضاة الأندلس لابي الحسن النباهي ١٧٧/١.

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري ٢٤٩/١.

(٤) الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ٨٩/٢.

(٥) نفع الطيب للمقري التلمساني ١٦٨/٦.

المطلب الثالث

مكانته العلمية ومذهبه العقدي والفقي

مكانته العلمية:

جرت العادة في الولاية أن تجري مشاورة مع السلطان في تحديد إمام وخطيب للمسجد الأعظم وعبر مناظرات بين العلماء ليتصدر إلى هذا المقام من هو أهله من العلم والفهم لا سيما وأن جموع المصلين تتجه في الجمعة لحضور الخطبة والصلاة في المدينة وبحضرة السلطان، فكان ابن جزى هو صاحب هذه المكانة، ومن أعماله ما يلي:

أولاً: الإمامة والخطابة

"تقدم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنه فاتفق على فضله وجرى على سنن أصله^(١)، خطيب حفله، وأمام فرضه ونفله، مع توفر وتعدد شيخه في الاختيار وكهله، فوقع عليه الاتفاق، وانعقد الاصفاق، وعقد له في عصا منبره اللواء الخفاق"^(٢).

ثانياً: التدريس

يقول الإمام ابن جزى: إن علم القرآن العظيم هو أرفع العلوم قدراً وأجلها خطراً وأعظمها أجراً وأشرفها ذكراً، وإن الله أنعم عليّ بأن شغلني بخدمة القرآن وتعلمه وتعليمه وشغفني بتفهم معانيه وتحصيل علومه^(٣). ولم يزل يقيم الرسوم تدريساً وتعليماً، وردا

(١) الإحاطة لابن الخطيب ٣٥٢/١.

(٢) الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ٤٦/١.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٤ / ١.

وتسليماً، إلى أن استشهد^(١)، وكان فقيهاً حافظاً، قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون من العربية، والفقه، والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حفظه للتفسير مستوعباً للأقوال، جماعة للكتب، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغور، صحيح الباطن^(٢)، وقد اتصف بصفتين في تدريسه للعلم:

الأولى: انقطاعه للتدريس سائر يومه وملازمته لطلابه.

الثانية: ملكة في العلم، فلقد آتاه الله بسطة في العلم فتفنن في كل العلوم، فهو فقيه ومحدث ومقرئ ومفسر ونحوي ولغوي حيث درس كل هذه العلوم وبرز فيها وصنف فيها وصار له طلاب ومريدين في كل هذه العلوم.

ثالثاً: التأليف

كان يقوم بتأليف الكتب في شتى هذه العلوم بما يتيسر له من الوقت في هذا التصنيف ولذلك ألف في أكثر العلوم وسنذكرها في آثاره العلمية.

رابعاً: الحسبة

كانت هناك مؤثرات وعوامل تهدد المجتمع الغرناطي، وقد تمثلت فيما يلي: الأولى: بداية التفسخ والانحراف الذي غزا المجتمع الغرناطي نتيجة الترف واليسر والذي تمثل في زيادة الفساد داخل المجتمع وقد قام الإمام ابن جزى بدوره في الوعظ والتحذير من هذه الأمراض وتوجيه الناس إلى أوامر الدين الحنيف.

الثانية: الهجوم الصليبي من إمارة قشتالة النصرانية المجاورة والتي كانت تهاجم إمارة غرناطة وتشكل تحالف صليبي في أوروبا لطمس هوية بلاد الأندلس وطرد المسلمين منها لتعود إلى حضن أوروبا، وقد تصدر المنابر والمحافل داعياً للجهاد يشحذ الهمم ويتقدم

(١) الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ٤٦/١.

(٢) الإحاطة لابن الخطيب ٣٥٢/١، ونفح الطيب للمقري التلمساني ٥١٤/٥.

الصفوف في مواجهة الصليبيين حتى استشهد في معركة طريف، وهو يقاتل الصليبيين.

سادسا: الشعر

كان الإمام ابن جزى شاعرا قويا اتخذ الشعر وسيلة للدعوة إلى الله والحث على مكارم الأخلاق والتحذير من المعاصي والترغيب في الجهاد^(١). فقد قال في مدح النبي ﷺ:

أروم امتداح المصطفى ويردني قصوري عن إدراك تلك المناقب
ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب
و لو أن أعضائي غدت ألسنا إذا لما بلغت في المدح بعض مآربي
و لو أن كل العالمين تسابقوا إلى مدحه لم يبلغوا بعض واجب
فأمسكت عنه هـيبة وتأدبا وعجزا وإعظاما لأرفع جانب
و رب سكوت كان فيه بلاغة ورب كلام فيه عتب لعاتب^(٢)

وقال:

يا رب إنَّ ذنوبي اليوم قد عظمت فما أطيق لها حصرا ولا عددا
و ليس لي بعذاب النار من قبل و لا أطيق لها صبيرا ولا جلدا
فانظر إلهي إلى ضعفي ومسكنتي و لا تذيقني حر الجحيم غدا^(٣)

مذهبه العقدي:

ذكر في كتابه القوانين الفقهية ما يتعلق بالإيمان وأركانه وكذلك في الأسماء والصفات وذكر الدار الآخرة والشفاعة بما تكلم فيه أهل السنة والجماعة، مما يبيّن أن عقيدته عقيدة

(١) الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ٩٦/١، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ١٥٤/١

(٢) الإحاطة لابن الخطيب ٣٥٢/١.

(٣) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للمقري ٢٩٨/١.

السلف من أهل السنة والجماعة، ومما قال: ورد في القرآن الكريم والحديث ألفاظ يوهم
ظاهرها التشبيه، كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه: ٥، وقوله تعالى:

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ المائدة: ٦٤، وكحديث نزول الله إلى سماء الدنيا كل ليلة، وغير

ذلك، فقد تفرق الناس فيها ثلاث فرق: الفرقة الأولى: السلف الصالح من الصحابة
والتابعين وأئمة المسلمين آمنوا ولم يبحثوا عن معانيها ولا تأولوها بل أنكروا على من تكلم
فيها، قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ آل عمران: ٧، وهذه
طريقة التسليم التي تقود إلى السلامة، وبها أخذ مالك والشافعي وأكثر المحدثين، الفرقة
الثانية: قوم حملوها على ظاهرها فلزمهم التجسيم ويغزى ذلك إلى الحنابلة وبعض
المحدثين، الفرقة الثالثة: قوم تأولوها وأخرجوها عن ظاهرها إلى ما يقتضيه أدلة العقول،
وهم أكثر المتكلمين^(١)، نعرف أن الإمام ابن جزى مذهبه العقدي مذهب أهل السنة
والجماعة ومن سلف من هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

مذهبه الفقهي:

عرفنا أن بلاد المغرب الإسلامي وكذلك بلاد الأندلس كلها تدين بالمذهب المالكي وعلى
هذا فالإمام ابن جزى رحمه الله مالكي المذهب إلا أنه إمام فقيه مجتهد غير مقلد ينظر
إلى الدليل، وقد ألف كتابا في الفقه في المذهب، وهو القوانين الفقهية في تلخيص مذهب
المالكية، قال فيه: "فهذا كتاب في قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية على
مذهب إمام المدينة أبي عبدالله مالك ابن أنس الأصبحي رضي الله عنه إذ هو الذي اختاره أهل
بلادنا بالأندلس وسائر المغرب اقتداء بدار الهجرة وتوفيقا من الله تعالى وتصديقا لقول
الصادق المصدوق عليه السلام: «لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»^(٢).

(١) القوانين الفقهية لابن جزى ١/١٢.

(٢) المرجع السابق ٣/١، والحديث في مستخرج أبي عوانة، باب بيان الخبر الدال على أن أهل الحجاز لا يزالون على

المطلب الرابع

وفاته، وثناء العلماء عليه، وآثاره العلمية

وفاته:

في عام ٧٤٠ هجرية اتحدت الممالك الصليبية الإسبانية لمهاجمة غرناطة آخر قلعة إسلامية في بلاد الأندلس فأرسل سلطان غرناطة أبو الحجاج يوسف ابن إسماعيل ابن الأحمر^(١) إلى ملك المغرب^(٢) يطلب منه العون والمدد لم يتوان عن واجب النصر لإخوانه في غرناطة بل جهز جيشا بقيادة ابنه، فلما علم الصليبيون بذلك استعدوا لمواجهته والتقى الفريقان عند سهل بجانه في عام ٧٤٠ للهجرة، وقد أتى الصليبيون بجحافل هائلة لمواجهة المسلمين وانتهت المعركة بهزيمة المسلمين، ومقتل قائدهم.

اهتز الملك المغربي لهزيمة جيشه ومقتل ولده، فقرر الجهاد ضد الإسبان وأن يقود المعركة بنفسه فجهز جيشا قويا نحو ستين ألفا وأسطولا ونزل بمنطقة سهل طريف في ٣ محرم ٧٤١ هـ، وانضم إليه أبو الحجاج يوسف ابن الأحمر ملك غرناطة ومعه خلاصة علمائها و فقهاؤها وسائر أبطالها فأسرع الصليبيون واستولوا على ثغر طريف قبل قدوم المسلمين وتغلبوا على حاميته ورابط الأسطول الصليبي في مياه المضيق ليمنع قدوم إمدادات من المغرب واعتمدوا المطاولة حتى تنفذ أقوات المسلمين، ففנית أزوادهم وقلت العلوفات، فوهن الظهر واختلت أحوالهم.

الحق حتى تقوم الساعة، وأن قريشا، وأهل المغرب يكونون ظاهرين على أهل المشرق والعجم، لأبي عوانة يعقوب

ابن إسحاق ابن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني، ت: أيمن ابن عارف الدمشقي، دار المعرفة - بيروت، رقم

٥٧١٠، ط/١: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

(١) ستأتي ترجمته في العصر السياسي لابن جزى.

(٢) أبو الحسن المريني.

في يوم الاثنين ٧ جمادى الأولى ٧٤١ للهجرة ١٣٤٠ ميلادية نشبت المعركة وتولى الملك المغربي المعركة بنفسه وأثناء المعركة تسللت فرقة إسبانية من الجنوب وانقضت على مؤخرة الجيش الإسلامي، فذب جميعا وعم الخلل في صفوفه وسقط المعسكر وفيه حريم السلطان وبعض ولده، فذبوا جميعا وعم الخلل صفوف المسلمين، وفرّ الكثيرون ووقعت هزيمة مدوية، وقتل معظم العلماء والفقهاء والصالحين حيث لم يفر منهم أحد^(١)، وكان من بين هؤلاء العلماء إمامنا المفسر الأمام ابن جزى الكلبي حيث فقد وهو يشحذ الناس ويحرضهم، ويثبت بصائرهم، يوم الكائنة بطريف، ضحى يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبعمائة، تقبل الله شهادته^(٢).

ثناء العلماء عليه:

قال ابن الخطيب: من أهل الفضل والنزاهة والهمة وحسن السمة واستقامة الطريقة غرب إلى الوقار ومال إلى الانتباض وترشح إلى رتب سلفه له مشاركة حسنة في فنون من فقه وعربية وأدب وشعر تسمو الإجابة إلى غاية بعيدة^(٣). وقال: كان رحمه الله على

(١) الاستقصى لأخبار دول المغرب الأقصى للسلاوي ١٣٦/٣.

(٢) الإحاطة لابن الخطيب ٣٥٢/١، والدرر الكامنة ٤٦٤/١ قال النباهي: ومولد الشريف السمي بسبنة سادس ربيع الأول المبارك الذي من عام ٦٩٧؛ وفاته بغرناطة ضحى يوم الخميس الحادي والعشرين لشهر شعبان من عام ٧٦٠ وقد قبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة، وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة، وعمر وهو ابن ثلاث وستين سنة ووافق أن كانت وفاة الشريف أبي القاسم على حسب ولادته وهو ابن ثلاث وستين سنة؛ وتلك من جملة كراماته انظر تاريخ قضاة الأندلس ١٧٧/١، وقد خالف أبي الحسن النباهي في تأريخ مولده ووفاته ما ذكره ابن الخطيب وابن حجر العسقلاني في ذلك وخصوصا معركة طريف مشهورة أيدت ما ذكره ابن الخطيب وابن حجر كما ذكرها ابن خلدون في تأريخه أنها في عام ٧٤١ انظر تأريخ ابن خلدون ١٧٤/٤ وتبين خطأ ما ذكره النباهي مع أنه أحد طلاب الإمام ابن جزى.

(٣) الإحاطة لابن الخطيب ١٦/١ .

طريقة مثلى من العكوف على العلم والاختصار على الاقتنيات من حر النشب^(١)،
والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين فقيها حافظاً^(٢).

وكان خزانة تنفق الأدب إذا كسد وتصلح من أدواته ما فسد ونفس لا تناسب الجسد
هي حركة في جمود وبحر مجمود في طي منزور^(٣) مثمود^(٤) وذهول غطى على
ربع مأهول وروض مفتوح نور إلا أنه محتجب في غور^(٥).

و "كان حافظاً للتفسير مستوعباً للأقوال جماعة للكتب ملوكي الخزانة حسن المجلس
ممتع المحاضرة صحيح الباطن"^(٦).

آثاره العلمية:

ترك الإمام ابن جزى لنا آثاراً خالدة في كل العلوم الشرعية والتي تعكس مدى سعة
علمه في كل العلوم فمصنفاته شملت كل العلوم الشرعية. كما أن أسلوب التبسيط
والتسهيل الذي لازم منهجه في التأليف في كل المصنفات وكذلك الاختصار في العلوم
التي كان يصنفها والتي تعكس أسلوبه في التدريس ففي القراءات صنف المختصر وفي
الفقه صنف تلخيص مذهب مالك وفي التفسير صنف التسهيل وهذه منقبة عظيمة اتصف
بها ابن جزى رحمه الله، فترك أسفاراً عظيمة وسجلات خالدة في شتى العلوم الشرعية
التي كانت ولا زالت من أهم المراجع لطلاب العلم وتدرس في المراكز العلمية ونحن نذكر
بعضاً منها^(٧):

(١) المال و العقار.

(٢) الإحاطة لابن الخطيب ٣٥٢/١.

(٣) النزر هو الإلحاح في السؤال.

(٤) مثمود إذا كثر عليه السؤال حتى نفذ ما عنده.

(٥) الكتيبة الكامنة لابن حجر العسقلاني ٩٦/١.

(٦) الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب لابن فرحون ١٥٤/١.

(٧) الإحاطة لابن الخطيب ٣٥٢/١، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ١٥٤/١.

- ١- في التفسير: كتاب التسهيل في علوم التنزيل.
- ٢- في القراءات: المختصر البارع في قراءة نافع. وأصول القراءات الست غير نافع.
- ٣- في العقائد: النور المبين في قواعد الدين.
- ٤- في الحديث: وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم.
- ٥- في الدعوات والأذكار: الأنوار السنية في الألفاظ السنية، والترغيب والترهيب.
- ٦- في الأحكام: الضروري من علوم الدين.
- ٧- القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية.
- ٧- في الأصول: تقريب الوصول إلى علم الأصول.
- ٨- في اللغة: الفوائد العامة في لحن العامة.

المبحث الثاني

التعريف بعصر الإمام ابن جزي الكبي

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الحالة السياسية لعصر الإمام ابن جزي الكبي

المطلب الثاني: الحالة الدينية والعلمية لعصر الإمام ابن جزي الكبي

المطلب الثالث: الحالة الاجتماعية والثقافية لعصر الإمام ابن جزي

الكبي

المطلب الأول

الحالة السياسية لعصر الإمام ابن جزي الكبي

أولاً: دولة الأندلس

دخلت الجيوش الإسلامية وفتحوا بلاد الأندلس وأقاموا دولة إسلامية قوية استمرت قرناً من الزمان حتى دب الخلاف فيما بينهم وبدأ الضعف والتمزق في أوصالهم مما سهل على الأعداء الصليبيين المترصين بهم اغتنام الفرصة التي سنحت لهم في ضم الولايات الإسلامية إلى الممالك الصليبية مرة أخرى وإلى حضن أوروبا، وقد استعان الأمراء في ولايات الأندلس بإخوانهم في بلاد المغرب الإسلامي واستغاثوا بهم في طلب العون والنصرة، فأغاثوهم بجيوش جرارة أتت من دولة المرابطين حتى انتهت، ثم قامت بعدها دولة الموحدين، ووقفوا مع إخوانهم في الأندلس كذلك حتى انتهت دولة الموحدين، وبدأ الضعف وسقوط الممالك الإسلامية في الأندلس بيد الصليب وصولاً إلى آخر ولاية إسلامية في الأندلس وهي ولاية غرناطة.

ثانياً: مملكة غرناطة

يحدّها من الشمال ومن الغرب مملكة قشتالة الصليبية ويحدّها من جهة الشرق مملكة أراجون الصليبية ويحدّها من الجنوب البحر الأبيض المتوسط ومضيق جبل طارق فهي إذا واقعة من ثلاث جهات حدودية نصرانية متربصة والبحر من خلفهم جنوباً وهذا الواقع بعد سقوط جميع الإمارات الإسلامية الأندلسية، فلم تبق إلا إمارة غرناطة.

وتضم ثلاث ولايات متحدة هي ولاية غرناطة وولاية مالقة وولاية ألمرية تقع تحت حكم ابن الأحمر وكان هناك شيء من الاستقلال داخل كل ولاية، وكانت تعيش بكثافة سكانية عالية بسبب أنه كلما سقطت مدينة من مدن الأندلس في يد الصليبيين فرّ

المسلمون إليها بسبب بطش الصليبيين وما يستخدمونه من القتل والتتكيل والطرده للمسلمين، إضافة إلى أنها ذات حصون كثيرة ومنيعة جداً بسبب الحروب المتواصلة والتهديد المرتقب بالفناء من الصليبيين، وقد كانت مملكة غرناطة مملكة قوية بسبب هذه الحصون التي كانت تحيط بها^(١).

ومع سقوط دولة الموحدين في بلاد المغرب الإسلامي التي كانت السند القوي للمسلمين في بلاد الأندلس في هذا الوقت العصيب من تأريخ الأندلس، برز إلى الساحة محمد ابن يوسف النصرى المعروف بابن الأحمر^(٢)، ودخلت في طاعته مدن أندلسية مثل مدينة جيان ومدينة بسطة ومدينة وادي آش، وضم له أيضاً مدينة قرطبة.

وبرزت أيضاً في بلاد المغرب العربي دولة فتيحة قوية وهي دولة بني مرين وقد كانت سندا قويا لدولة بني الأحمر أمام المؤامرات الصليبية، وقد وقفت مع بني الأحمر خلال معاركهم مع النصارى وأمدوهم بالمال والرجال في عام ٦٢٩ للهجرة تمت البيعة في غرناطة لمحمد ابن يوسف ابن نصر ابن الأحمر وكان سعيداً مدبراً مؤيداً حازماً بطلاً شجاعاً ذا دين وعفاف، ليكون والياً على غرناطة وما كانت تحت إمرته توفي في شهر رجب سنة اثنتين وستين وست مائة^(٣)، وقد أسس إمارة لبني الأحمر تحكم فيها لأكثر من من قرنين ونصف وهم ولاية على مملكة غرناطة^(٤).

(١) الأندلس من الفتح إلى السقوط لراغب السرجاني ٦٤٤/٢.

(٢) سير اعلام النبلاء للذهبي ٢١/٤٣.

(٣) الوافي بالوفيات ١٨٢/٢ لصلاح الدين خليل ابن أبيك الصفدي، قال ابن الوردي: وفي سنة اثنتين وسبعين وستمائة مات صاحب الأندلس السلطان أبو عبد الله محمد ابن يوسف ابن الأحمر، وكان مؤيداً لم تكسر له راية قط مبدأ ظهوره من قرية أرجونة وانتزع الملك من ابن هود وولايته اثنتان وأربعون سنة انظر تأريخ ابن الوردي ٢١٦/٢ وقال ابن خلدون أن وفاته سنة ٦٧١ انظر تأريخ ابن خلدون ٤/١٧٢.

(٤) تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك لنجم الدين إبراهيم ابن علي الحنفي الطرسوسي، ت: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، ١٠/١.

في مملكة غرناطة ولد الإمام محمد ابن جزى، وقد عاصر ستة من ملوك بني الأحمر ونحن سنقف وقفات سريعة معهم لتعلق حياة الإمام ابن جزى بهم:

١- محمد ابن محمد ابن يوسف النصرى المعروف بالفقيه لما كان يقرأ الكتب من بين أهل بيته ويطلع كتب العلم^(١)، كان ملكاً جميلاً نبياً نبياً حسن السياسة ظاهر الرياسة، عاقلاً وقوراً، فاضلاً يرسل من ذهنه على صيد المعاني صقوراً، متظاهراً بالدين متجاهراً بقمع الملحدين لاطف أبا يوسف المريني واستماله إليه، وسأله أنجاهه فأنجاه نجاتٍ كثيرة^(٢)، حكم البلاد ثلاثين سنة، وتوفي عام ٧٠١ هجرية وفي عهده ولد الإمام ابن جزى وترى في كنف أبيه وتعلم عليه ثمان سنوات^(٣).

٢- محمد الثالث، وهو محمد ابن محمد ابن محمد الأحمر المعروف بالمخلوع تولى الملك بعد والده وهو الذي بنى الجامع بالحمراء شكا عينيه، فكان ضرير البصر فصرف الوزارة لأبي عبد الله محمد ابن الحكيم الرندي عام ٧٠٣ للهجرة لكن هذا الوزير تغلب عليه وتقلد جميع شؤون البلاد حتى عام ٧٠٨ هجرية^(٤).

٣- نصر ابن محمد ابن محمد ابن الأحمر (أخ محمد الثالث) خلع السلطة من أخيه وقتل وزيره ابن الحكيم ويكنى بأبي الجيوش ببيع عام ٧٠٨ للهجرة وكان مجبولاً على حب الصلح والهدنة وحب العلم والعلماء اختلف مع دولة بني مرين واستغل ملك قشتالة هذا الخلاف وأخذ الجزيرة الخضراء ومضيق جبل طارق وأخذ الجزية منهم^(٥).

(١) تأريخ ابن خلدون ١٧٢/٤.

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر لصلاح الدين خليل ابن أبيك الصفي ٤٤٩/٢، وعقد الجمال في تاريخ أهل الزمان لأبي محمد محمود ابن أحمد ابن موسى ابن أحمد الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني موقع الوراق، ١٣٢/١.

(٣) مآثر الإنافة في معالم الخلافة لأحمد ابن علي ابن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت - الكويت، ط/٢: ١٩٨٥م، ٢٢٨/١.

(٤) الاستقصى لأخبار دول المغرب الأقصى ٨٢/٣. وتأريخ ابن خلدون ٢٢٨/٧.

(٥) تأريخ ابن خلدون ٣٥٠/٧. والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ٥٠٠/١.

٤- أبو الوليد إسماعيل ابن فرج ابن إسماعيل ابن يوسف الأحمر كان رحمه الله، حسن الخلق، جميل الرواء، رجل جد، سليم الصدر، كثير الحياء، صحيح العقل، ثبتاً في المواقف، عفيف الإزار، ناشئاً في حجر الطهارة^(١)، وقد تولى الملك بعد ثورة خرجت على الوالي السابق نصر ابن محمد ورشحوا أبا الوليد ملكاً عليهم وقد وطد الملك واستقر الأمر و أحيى الجهاد وطلب الصلح مع بني مرين لكنهم رفضوا الصلح وحينها جيش النصارى الجيوش وأعدوا لمعركة فاصلة مع غرناطة، وكان جيش المسلمين ستة آلاف فقط وقد يئسوا من إخوانهم في المغرب وعندها لجؤوا إلى الله وأخلصوا في الدعاء، فلما رأى النصارى عدد المسلمين احتقروهم وبدأت المعركة، فأنزل الله جنده ونصر عبده وخذل أنصار الصليب وانتصر المسلمون وقتلوا من عبدة الصليب خمسون ألفاً وسبوا ستة آلاف وهلك جميع أمراء النصارى وبيع الأسرى والأسلاب والدواب لمدة ستة أشهر^(٢)، ولم يقتل من عرف من عسكر المسلمين سوى ثلاثة عشر نفساً، إن في ذلك لآية^(٣)، ولعل ابن جزى كان مشاركاً في هذه المعركة خصوصاً، وقد كان خطيباً للمسجد الأعظم بغرناطة، وقد كان عمره سبعة وعشرين سنة وقد توجه الأمير وجيشه بعد هذه المعركة لفتح مدينة بياسة ومدينة مرتش ولما عاد الأمير وجلس بين وزرائه تقدم إليه ابن عمه وطعنه طعنات أردته قتيلاً^(٤).

٥- محمد الرابع، وهو محمد ابن إسماعيل ابن فرج ولد في ٨ / محرم سنة ٧١٥هـ، تولى الإمارة بعد مقتل أبيه وهو ابن عشر سنوات عام ٧٢٥هـ جارية كان معدوداً في نبلاء

(١) الإحاطة لابن الخطيب ٨٤/١.

(٢) العبر في خير من غير لأبي عبدالله محمد ابن أحمد ابن عثمان ابن قايمار الذهبي، حققه وضبطه على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد ابن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ٥٣/٤.

(٣) المرجع السابق ٥٣/٤.

(٤) الإحاطة لابن الخطيب ١٣/١، والسلوك لمعرفة دول الملوك لأبي العباس أحمد ابن علي ابن عبد القادر، الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية لبنان- بيروت، ط/١: ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ٤٢٥/١.

الملوك، صيانة، وعزاً وشهامة، وجمالاً، وخصلاً، عذب الشمائل، حلواً لبقاً، لودعياً هشاً، سخياً، المثل المضروب به في الشجاعة المقتحمة حد التهور، إلى أن شب وفتك بوزيره^(١) وهو شاب لم يبقل خده فرهبت سطوته وعظم شأنه وأهم منقبة له هو استعادة مضيق جبل طارق بمساعدة سلطان المغرب ولما عاد من هذه المعركة تأمر عليه عصابة من الجند وقتلوه في الطريق ومات في رابع أيام عيد الأضحى سنة ٧٣٣ للهجرة^(٢) وابن جزي لا زال خطيباً في المسجد الأعظم في غرناطة^(٣).

٦- أبو الحجاج يوسف الأول ابن إسماعيل ابن فرج تولى الملك بعد مقتل أخيه سنة ٧٣٣ وعمره خمسة عشر سنة وثمانية عشر شهراً^(٤)، فصار من أعظم ملوك بني نصر وأبعدهم همة وأرفعهم خللاً وكان عالماً شاعراً أضاف منشأة إلى قصر الحمراء وأنشأ مدرسة (جامعة) غرناطة وأوقف لها أوقافاً وأنشأ لها الأبراج الدفاعية وأصلح الحصون الداخلية^(٥).

وفي عهده حصلت معركة طريف بين النصارى الإسبان والبرتغال من جهة والمسلمون من غرناطة والمغرب من جهة والتي شارك فيها الإمام ابن جزي رحمه الله وقد فُقد وهو يحرض الناس على القتال ولقي ربه شهيداً مع كوكبة من العلماء والصالحين.

(١) عثمان ابن أبي العلاء بعد أن غلبه على ملكه.

(٢) الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ٤٧٦/١.

(٣) الإحاطة لابن الخطيب ١٣٣/١.

(٤) نفح الطيب للمقري ٨٠/٥.

(٥) مآثر الإنافة في معالم الخلافة للقلقشندي ٢٣٤/١، وريحانة الكتاب ونجعة المنتاب للسان الدين ابن

لخطيب ٣٢٩/١.

المطلب الثاني

الحالة الدينية والعلمية لعصر الإمام ابن جزي

الجو العام في الأندلس كانت بيئة محافظة عم فيها التدين وكثرت فيها المساجد وازدحم الناس على الصلوات وكانوا يجلبون العلماء ويحرصون على طلب العلم، وكان المجتمع مجتمع محافظ على الشعائر يقيم الحدود، وينكر على من يتهاون فيها أو من لم يعدل في القضاء ويكون إنكارهم أشد على من يتعاطى الفلسفة أو التجيم حتى أنهم أطلقوا عليه اسم زنديق^(١).

أولاً: الحالة الدينية

لما دخل الفاتحون بلاد الأندلس كان معظم من دخلها من الفاتحين العرب هم من بلاد الشام، وكان أهل الشام يدينون في الفقه على مذهب الإمام الأوزاعي^(٢)، سرى هذا المذهب على بلاد الأندلس، فكانوا يدينون به في أول الأمر فلما عاد الإمام يحيى ابن يحيى الليثي^(٣) من المدينة المنورة، وقد درس عند الإمام مالك الموطأ وتفقه على مذهبه عاد إلى بلاد المغرب الإسلامي فأخذ الناس الفقه عليه وصار هو المذهب السائد في بلاد المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس وإلى اليوم، وغاب مذهب الإمام الأوزاعي

(١) الإحاطة لابن الخطيب ٩٨/١.

(٢) هو عبد الرحمن ابن عمرو ابن محمد شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي كان يسكن بمحلة الأوزاع، وهي العقبية الصغيرة، ظاهر باب الفراديس بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطاً بها إلى أن مات سنة ١٥٧ وكان رأساً في العلم والعمل كثير المناقب بارعاً في الكتابة والترسل كثير الاجتهاد في العبادة انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ١٢٥/١٣. ومرة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان لليافعي ١٥٢/١.

(٣) هو يحيى ابن يحيى ابن كثير الليثي الأندلسي القرطبي الإمام الكبير فقيه الأندلس ولد سنة اثنين وخمسين ومائة وارتحل إلى المدينة في أواخر أيام الإمام مالك وسمع الموطأ منه ورجع إلى قرطبة بعلم جم وتصدر للاشتغال وازدحموا عليه ويعد صيته وانتفعوا بعلمه وانتهى السلطان والعاملة إلى رأيه وكان فقيهاً حسن الراي توفي سنة اربع وثلاثين ومائتين. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ١٨/٢٠.

خصوصاً، وقد تولى القضاء وأشرف على تعيين القضاة وكان لا يولي القضاء إلا من درس المذهب المالكي وحفظه، وقد برز علماء كثير منهم الإمام ابن عبد البر^(١) والإمام أبو بكر ابن العربي^(٢)، وغيرهم.

ثانياً: الحالة العلمية

تواصلت الحالة العامة في بلاد الأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى عصر الإمام ابن جزي من إقبال الناس على العلم والعلماء وإعمار المساجد بالدروس العلمية التي كانت تعمر المساجد بجهايزة علماء يدرسون فنون العلم المختلفة وإقبال الطلاب الدارسين من أنحاء البلاد فزخرت البلاد بالعلم والعلماء^(٣) وإضافة إلى هذا الحال الذي كان عليه أهل الأندلس فإن ما زاد الصورة جمالا في إدارة آل الأحمر، هو كثرة المكتبات العامة والخاصة حيث كان العلماء يؤلفون الكتب ويرفعونها إلى السلطان فيثيبهم عليها ويعطيهم من الأموال ما تكون حافزا ومشجعا للتأليف، وهذا بدوره أثرى المكتبة الإسلامية العامة والخاصة^(٤).

(١) هو أبو عمر يوسف ابن عبد الله ابن محمد ابن عبد البر ابن عاصم النمري، الأندلسي، القرطبي، المالكي، الإمام العلامة حافظ المغرب شيخ الاسلام، صاحب التصانيف الفائقة ولد في عام ٣٦٨ شهر ربيع الآخر و طال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنف، ووثق وضعف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان، مات أبو عمر ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر، سنة ثلاث وستين وأربع مائة، واستكمل خمسا وتسعين سنة وخمسة أيام. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ١٣٥/٣٥

(٢) هو محمد ابن عبد الله ابن محمد ابن عبد الله ابن العربي المعافري الأندلسي الحافظ ولد في شعبان عام ٤٦٨ هـ ورحل مع أبيه إلى المشرق ودخل الشام فتفقه على جماعة من العلماء والمحدثين، ثم رحل إلى بغداد ومصر والاسكندرية وعاد إلى بلده بعلم لم يدخله أحد قبله بلغ به الاجتهاد. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ٩٠/١.

(٣) الإحاطة لابن الخطيب ٤١١/١.

(٤) المرجع السابق ١٠٥/١ - ١٩٤/١ يذكر ابن الخطيب عن ابن الحكيم اللخمي ذو الوزارتين في عهد محمد ابن محمد ابن نصر أنه كان مضطرباً بالرواية، مستكثراً من الفائدة. يقوم على المسائل الفقهية، ويتقدم الناس في باب التحسين والتقييح، ورفع راية الحديث والتحديث، نفق بضاعة الطلب، وأحيا معالم الأدب، وأكرم العلم والعلماء، ولم تشغله الساسة عن النظر، ولا عاقه تدبير الملك، عن السماع، والإفراط في اقتناء الكتب، حتى ضاقت قصوره عن خزائنها، وأثرت أنديته من ذخائرها. انظر الإحاطة ٢٩٧/١.

ولقد برز في القرن الثامن الهجري أئمة أعلام من بلاد الأندلس في عصر الإمام ابن جزري في كافة العلوم الشرعية والعلوم التطبيقية وقد برز علماء كثر في العلوم الشرعية أمام الحركة العلمية التي كانت تشهدها البلاد في الفقه والتفسير والحديث والعقيدة والتأريخ والعلوم التطبيقية في الهندسة والطب^(١).

العلوم التطبيقية والنظرية:

لقد أصبحت بلاد الأندلس منارة للعلوم التطبيقية والإنسانية حينما كانت أوروبا تغط في سباتها العميق ولم تستيقظ إلا بعد أن بدأ بعض الدارسين الأوروبيين في جامعات الأندلس يدرسون فيها وعادوا إلى بلادهم يحملون هذه العلوم وعلى هؤلاء قامت نهضة أوروبا الحديثة. بل وكان ملوك أوروبا يتوسلون إلى ملوك المسلمين من أمراء الأندلس أن يقبلوا البعثات الطلابية التي يرسلونها لتتعلم في جامعات الأندلس.

وما برز في بلاد المشرق الإسلامي من علماء وفقهاء في القرن الثامن من بلاد الشام والحجاز وغيره كانوا أقوى وأكثر من غيرها إذا ما قورنوا ببلاد الأندلس أو بلاد المغرب الإسلامي مثل شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) والإمام ابن القيم^(٣) وغيرهم.

-
- (١) قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط لراغب السرجاني، مؤسسة اقرأ، ط/١: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ٦٦٧
- (٢) هو تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن عبد الله ابن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. شيخ الإسلام في زمانه وأبرز علمائه، فقيه أصولي ومفتي الدين الحنيف وصاحب الآثار الكبرى في علوم الدين والفكر الإسلامي. ولد بحرّان بتركيا، ورحل إلى دمشق مع أسرته هرباً من غزو التتار. وتلقى العلم على والده وعلى مشايخ دمشق وظهرت عليه علامات النجابة منذ نعومة أظفاره، فكان قوي الذاكرة سريع الحفظ. نهل من منهج النبوة، حتى آلت إليه الإمامة في العلم والعمل سنة ٧٢٠هـ. أنظر: سير اعلام النبلاء للذهبي ٤٢/٣١٥، والأعلام للزركلي ١/١٤٤.
- (٣) هو محمد ابن أبي بكر ابن أيوب ابن سعد ابن جريز الزرعي، ثم الدمشقي الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف، شمس الدين أبو عبد الله ابن قيم الجوزية ولد سنة ٦٩١ لازم شيخه ابن تيمية وأخذ عنه وكان عارفاً في التفسير وأصول الدين والحديث والفقه وأصوله والعربية وكان عالماً بالسلوك وكلام التصوف وكان ذا عبادة وتهجد وقد أخذ عنه خلق كثير وله تصانيف كثيرة منها منازل السائرين وزاد المعاد وغيره توفي عشاء الخميس ٢٣ رجب سنة ٧٥١ انظر ذيل طبقات الحنابلة لأبي الفرج عبد الرحمن ابن أحمد ابن رجب الحنبلي ١/٣٦٣

المطلب الثالث

الحالة الاجتماعية لعصر الإمام ابن جزي الكلبى

المجتمع الأندلسى كان بعد الفتح الإسلامى من خمسة أجناس:

الأول: المولدون وهم سكان البلاد الأصليون. الثانى: العرب الوافدون من القبائل المتعددة فى الفتح الإسلامى. الثالث: البربر وغيرهم من القبائل التى وفدت مع العرب فى الفتح الإسلامى. الرابع: الذميون المعاهدون من النصارى الإسبان داخل المجتمع الإسلامى. الخامس: العبيد والرقيق وهم فى الغالب من النصارى نتيجة المعارك الدائرة بين المسلمين والنصارى التى كان غالبا ما ينتصر فيها المسلمون^(١).

أما مواقع هذه الأجناس، فقد تشكلت طبقات متعددة داخل المجتمع تمثلت فيما يلى:
الأولى: الأمراء والملوك وأصهارهم وأقرباؤهم، وقد كان أمراء مملكة غرناطة من أسرة بني الأحمر لأكثر من قرنين ونصف. الثانية: طبقة الوزراء والقضاة ورؤساء الجند. الثالثة: طبقة العلماء والفقهاء والمدرسين يلحق الإمام ابن جزي الكلبى بهذه الطبقة الرابعة: طبقة العمال من مزارعين وتجار وصناع وأصحاب حرف وهى أوسعها. الخامسة: طبقة

الأرقاء والعبيد وتقام لهم أسواق تغذيها الحروب بين المسلمين والنصارى^(٢).

حركة المجتمع:

تكلم ابن الخطيب عن مجتمع غرناطة، فقال: " أحوال هذا القطر فى الدين وصلاح العقائد أحوال سنية والنحل فيهم معروفة، فمذاهبهم على مذهب الإمام مالك ابن أنس إمام

(١) الإحاطة لابن الخطيب ١٤٩/٢.

(٢) ابن جزي ومنهجه فى التفسير للزبيرى ٩٤.

دار الهجرة جارية وطاعتهم للأمراء محكمة وأخلاقهم في احتمال المعاون جميلة وصورهم حسنة وأتوفهم معتدلة غير حادة وشعورهم سود مرسله وقدودهم متوسطة معتدلة إلى القصر وألوانهم زهر مشربة بحمرة وأسننتهم فصيحة عربية، وتغلب عليهم الإمالة وأخلاقهم أبية في معاني المنازعات وأنسابهم عربية، وفيهم من البربر والمهاجرة كثير ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشي بينهم الملف المصبوغ شتاء وتتفاضل أجناس اليز بتفاضل الجدة والمقدار والكتان والحرير والقطن والأردية الأفريقية والمقاطع التونسية والمآزر المشفوفة صيفا فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة"^(١).

" وحریمهم حريم جميل موصوف بالسحر وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب النشر وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المحاورة إلا أن الطول يندر فيهن وقد بلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات والتنفيس بالذهبيات والديباجيات والتماجن في أشكال الحلبي إلى غاية نسال الله أن يغض عنهن فيها عين الدهر ويكفكف الخطب ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة، وأن يعامل جمع من بها بستره ولا يسلبهم خفي لطفه بعزه وقدرته"^(٢).

(١) الإحاطة لابن الخطيب ١١/١.

(٢) المرجع السابق ٣٦/١.

المبحث الثالث

التعريف بتفسير الإمام ابن جزي الكبي

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: التعريف بالكتاب وقيمته العلمية.

المطلب الثاني: مصادره في التفسير.

المطلب الثالث: منهجية الإمام ابن جزي الكبي في التفسير.

المطلب الأول

التعريف بالكتاب (التسهيل لعلوم التنزيل) وقيمه العلمية

قصد الإمام ابن جزى أن يكون هذا الكتاب في التفسير صورة مبسطة في تفهم معاني القرآن الكريم حيث جمع فيه العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم بأسلوب سهل وبسيط ومختصر، فقد بيّن في المقدمة، فقال: اطّلت على ما صنف العلماء ﷺ في تفسير القرآن الكريم من التصانيف المختلفة المتباينة الأصناف، فمنهم من أثر الاختصار، ومنهم من طول في كثر الأسفار، ومنهم من تكلم في بعض فنون العلم دون بعض، ومنهم من اعتمد أقوال الناس، ومنهم من عوّل على النظر والتحقيق والتدقيق، وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم وسائر ما يتعلق به من العلوم وسلكت مسلكا نافعا إذ جعلته وجيزا جامعا^(١).

وعلى هذا فالإمام ابن جزى رحمه الله قد تكلم عن مصنفات من سبقوه وطبيعة هذه المصنفات التي صنفت من قبله وأظهر الإشكال الذي فيها والمتمثل في ما يلي:

الأول: كتب مختصرة لا تغني القارئ الذي يريد معرفة وتفهم معاني آيات القرآن الكريم، فقد كان فيها الاختصار المخل عن إيضاح الصورة وإبراز المعنى الواضح الجلي من آيات القرآن الكريم.

الثاني: كتب مطولة، فقد كان بعض من ألف قبله ولكن كانت هذه المؤلفات مطولة أكثر فيها من الإسرائيليات وذكر فيها من الأحاديث الضعيفة والأخبار الغريبة من أخبار القصاص وغيرها، وكان هذا التصنيف قد حرف مسار التفسير عن مهمته الأساسية الذي يراد به توضيح آيات القرآن الكريم.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ١٠/١.

الثالث: كتب تفاسير في بعض فنون العلم حيث صنّف، ووجدت مصنفات تتكلم في بعض فنون العلم على حساب فنون أخرى، فقد ألف الإمام القرطبي^(١) كتابه المشهور الجامع لأحكام القرآن، وهو يحمل كذلك الطابع الفقهي.

الرابع: مدرسة الرأي حيث قال الإمام ابن جزى: ومنهم من اعتمد على النظر والتحقيق والتدقيق، وهي إشارة إلى من اعتمد في تفسيره على النظر في لغة العرب.

ومن وسط هذه التفاسير المتعددة التي عايشها الإمام ابن جزى واطلع عليها ورأى تعدد مناهج المفسرين وأساليبهم في تفسير القرآن الكريم، رأى أن يصنف تفسيراً جامعاً مانعاً تكون أوصافه بعيدة عن ما وقع فيه الآخرون من قصور وأخطاء.

وليس بدعاً أن يكون كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للعالم الفذ من ثقات علماء الأندلس المشهود لهم الذين تميز أسلوبهم البياني بمسحة الأدب والوضوح، فمؤلفه العالم العلامة الحافظ المفسر محمد ابن جزى الكلبي أحد علماء غرناطة الأعلام، كان فذاً في نباهته وإمامه بالفقه والأصول وعلم الكلام والتفسير والحديث والقراءات كما كان نابغة في اللغة والبلاغة والأدب وكان إلى ذلك مؤرخاً وشاعراً وخطيباً وكاتباً بارعاً^(٢).

وهو تفسير مختصر من غير إخلال لخصه من الكتب المختلفة وفيه علم كثير ونكت عجيبة وأوضح المشكلات، وحقق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح ورجع وذكر فيه الأحاديث مختصرة دون أسانيد واهتم بمذهب الإمام مالك وبالقراءات وذكر بعض الإسرائيليات وأحياناً صرح بضعفها^(٣).

(١) هو محمد ابن أحمد ابن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي، كان صالحاً ورعاً متعبداً رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن يخصب شمال أسبوط بمصر وتوفي بها سنة ٦٧١هـ صنّف في التفسير الجامع لأحكام القرآن وهو الكتاب الذي سارت به الركبان وكتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، انظر طبقات المفسرين للسيوطي ٩٢/١.

(٢) شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ٢٨٦/٦.

(٣) اللآلئ السننية في مبادئ العلوم الشرعية للدكتور/ بدر عبد الحميد هميسه ٤٣.

المطلب الثاني

مصادر الإمام ابن جزى الكلبى في التفسير

نستطيع أن نحددها من خلال ما كتبه الإمام ابن جزى في كتاب التسهيل وقد قال في مقدمته: "اعلم أن الكلام عن القرآن يستدعي الكلام في اثنا عشر فنا من العلوم وهي التفسير والقراءات والأحكام والنسخ والحديث والقصص والتصوف وأصول الدين وأصول الفقه واللغة والنحو والبيان^(١). وقد ذكر أهم المصادر والمراجع في موضعين:

الأول: مقدمة الكتاب التي بيّن فيها ما كتبه وما أهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها، وهو يصنّف الكتاب وقد حدد الإمام ابن جزى أهم الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم وأخذ منهم والكتب والمصنفات التي اطلع عليها من مصنفات الأئمة السابقين.

الثاني: من ذكرهم الإمام ابن جزى بين ثنايا كلامه في كتابه وهو يفسر الآيات الكريمة ويذكر كلاما عن شيوخه، أو الكتب التي اطلع عليها ونقل منها، أو القرآن الكريم الذي يعتبر أهم مصادر التفسير، وأهم المصادر التي اعتمد عليها الإمام ابن جزى في تفسيره من العلوم الشرعية من الشيوخ ومن المصنفات:

أولا: في التفسير

١- تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق ابن عطية^(٢) الغرناطي، وقد اشتهر هذا التفسير في بلاد الأندلس وذاع صيته في بلاد المغرب

(١) مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ١/١٥.

(٢) هو أبو بكر غالب ابن عبد الرحمن ابن غالب ابن تمام ابن عطية المحاربي، الأندلسي، الغرناطي، المالكي الإمام، الحافظ، الناقد، المجود، كان حافظا للحديث وطرقه وعلمه، عارفا بالرجال، ذاكرا لمتونه ومعانيه، وكان أدبيا شاعرا لغويا، دينا فاضلا، أكثر الناس عنه، وكف بصره في آخر عمره، وكتب إلينا بإجازة ما رواه. مولده: في سنة إحدى وأربعين وأربع مائة. وتوفي: في جمادى الآخرة، سنة ثمان عشرة وخمس مائة، وله سبع وسبعون سنة. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٤٥/٣٨.

الإسلامي. قال الإمام ابن جزى في مقدمته: "وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التأليف وأعدلها فإنه اطلع على تأليف من قبله، فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدد النظر، محافظ على السنة"^(١).

٢- تفسير الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمد عمر الزمخشري الخوارزمي^(٢) أشهر تفاسير المعتزلة يكشف جمال النظم القرآني وإبراز وجوه الإعجاز؛ لأن أساس تفسيره علمي البيان والمعاني، وقد اعتمد عليه الإمام ابن جزى ونقل عنه كثيرا، يقول الإمام ابن جزى في مقدمته: "ومما بأيدينا تفسير أبي القاسم الزمخشري وهو مسدد النظر بارع في الإعراب متقن في علم البيان إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشروهم وحمل آيات القرآن على طريقتهم فتكدر صفوه وتمرر حلوه فخذ منه ما صفا ودع ما كدر"^(٣).

٣- تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد ابن جرير الطبري^(٤)، وهو أشهر كتاب في التفسير، وهو أول كتاب نقل إلينا التفسير المأثور كاملا حيث جمع إلينا شتات التفاسير التي نقلت قبله، قال ابن جزى: "ثم إن محمد ابن جرير الطبري جمع أقوال

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لا ابن جزى ٢٠/١.

(٢) هو أبو القاسم محمود ابن عمر ابن محمد الزمخشري، الخوارزمي، النحوي، كبير المعتزلة صاحب (الكشاف)، و(المفضل). رحل وسمع ببغداد وحج، وجاور، وتخرج به أئمة. وكان مولده بزمخش - قرية من عمل خوارزم - في رجب، سنة سبع وستين وأربع مائة. وكان رأسا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، وله نظم جيد. مات ليلة عرفة، سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ١٤٧/٣٩.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٢١/١.

(٤) هو محمد ابن جرير ابن يزيد ابن كثير الطبري الإمام، العلم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل أمل طبرستان. مولده: سنة أربع وعشرين ومائتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء، وكثرة تصانيف. كان ثقة، صادقا، حافظا، رأسا في التفسير، إماما في الفقه، والإجماع والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عارفا بالقراءات وباللغة، وغير ذلك. قل أن ترى العيون مثله. توفي سنة ثلاثمائة وعشرة ودفن ببغداد. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٢٩٧/٢٧.

المفسرين وأحسن النظر فيها"^(١)، وقد روى عنه روايات قليلة.

٤- تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن للإمام أحمد ابن محمد ابن إبراهيم الثعلبي^(٢)، وهو من كتب التفسير المأثور الهامة حيث ذكر تفاسير الصحابة والتابعين بأسانيدها، ولكن عيب عليه في تفسيره أنه كان مولعا بالقصص، فحشد كل الأباطيل والأساطير في تفسيره حتى قال عنه ابن تيمية: "أنه حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع"^(٣). وقد أخذ الإمام ابن جزى من تفسيره وروى عنه ولكن روايات قليلة.

٥- تفسير أحكام القرآن للإمام أبي بكر محمد ابن عبد الله ابن العربي^(٤) المعافري الإشبيلي، قال عنه الإمام ابن جزى: "ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس تأليف الإمام القاضي أبو بكر ابن العربي"^(٥). وتفسيره أقرب للفقهاء من التفسير إذ أنه عند تفسيره للآيات القرآنية فإنه كان يقف عند آيات الأحكام ويتوسع فيها ويذكر خلاف الفقهاء. كانت هذه أهم الكتب التي نقل عنها الإمام ابن جزى في تفسيره، وهناك كتب أخرى رجع إليها، ونقل منها.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٢٠/١.

(٢) هو أبو إسحاق أحمد ابن محمد ابن إبراهيم النيسابوري الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ التفسير، كان أحد أوعية العلم. له كتاب (التفسير الكبير)، وكتاب (العرائس) في قصص الأنبياء. يقال له: الثعلبي والثعالبي؛ وهو لقب له لا نسب. وكان صادقا موثقا، بصيرا بالعربية، طويل الباع في الوعظ. توفي سنة سبع وعشرين وأربع مائة. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٤٣١/٣٣.

(٣) مقدمة في أصول التفسير لتقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن عبد الله ابن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط: ١٤٩٠هـ / ١٩٨٠م، ١٩.

(٤) هو أبو بكر محمد ابن عبد الله ابن العربي الأندلسي الإمام، العلامة، الحافظ، القاضي، الإشبيلي، المالكي، صاحب التصانيف، مولده سنة ثمان وستين وأربع مائة، ارتحل مع أبيه إلى بغداد ودمشق وبيت المقدس والحرم الشريف ومصر ورجع إلى الأندلس وصنف، وجمع، وفي فنون العلم برع، وكان فصيحاً، بليغاً، خطيباً. صنف كتاب (عارضة الأحوذى في شرح جامع أبي عيسى الترمذي)، وفسر القرآن المجيد، توفي ابن العربي بفاس، في شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وأربعين وخمس مائة. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ١٩٥/٣٩.

(٥) مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ١٧/١.

ثانياً: في القراءات

قال الإمام ابن جزري فيها: "وأما القراءات فهي بمنزلة الرواية في الحديث فلا بد من ضبطها كما يضبط الحديث بروايته"^(١). ومن أهم الكتب التي كانت مصادر للإمام ابن جزري:

١- جامع البيان في القراءات، للحافظ المقرئ أبي عمرو عثمان ابن سعيد الأموي الداني^(٢)، وله مؤلفات كثيرة.

قال الإمام ابن جزري: "وأما أبي عمرو الداني فتأليفه تنيف على مائة وعشرين إلا أن أكثرها في القراءات ولم يؤلف في التفسير إلا قليلاً"^(٣).

٢- التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، للسهيلى^(٤) حيث كان الإمام ابن جزري ينقل عنه في ما يخص مبهمات القرآن.

٣- ملاك التأويل في المتشابه اللفظ من التنزيل، للإمام أبي جعفر ابن الزبير، وهو من شيوخ الإمام ابن جزري، وقد كان الإمام ابن جزري ينقل منه المتشابه من الآيات.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزري ١٦/١.

(٢) هو أبو عمرو عثمان ابن سعيد ابن عثمان ابن عمر الأموي مولاهم، الأندلسي، القرطبي، ثم الداني، لإمام، الحافظ، المجود، المقرئ، الحاذق، عالم الأندلس، ولد في سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة، ورحل إلى القيروان ومصر ورجع على الأندلس ورجع إلى قرطبة وقدم دانية سنة سبع عشرة وأربع مائة وسكنها حتى مات سنة أربع وأربعين وأربع مائة، انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٦٢/٣٥.

(٣) التسهيل في علوم التنزيل لابن جزري ٢٠/١.

(٤) هو عبد الرحمن ابن عبد الله ابن أحمد الخثعمي الأندلسي المالقي السهيلى الإمام الحافظ النحوي المؤرخ، صاحب «الروض الأنف»، و «التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام»، وغير ذلك من المصنفات المفيدة. ولد بوادي سهيل من إقليم مالقة بالأندلس سنة (٥٠٨) هـ، وسمع من ابن العربي، وطائفة، وأخذ النحو والأدب والقراءات وعمي وعمره سبعة عشرة سنة. ولما نبغ، اتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها سنة إحدى وثمانين وخمس مائة. وكان إماماً في لسان العرب، واسع المعرفة، غزير العلم، نحويًا متقدمًا لغويًا، عالماً بالتفسير، وصناعة الحديث، عارفاً بالرجال وبالتاريخ، ذكياً نبيهاً. انظر شذرات الذهب لابن العماد ٤٦/١.

٤- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، لأبي عبدالله محمد ابن عبدالله المعروف بالخطيب الإسكافي^(١) المتوفى عام ٤٢٠ للهجرة، وقد كان الإمام ابن جزى ينقل منه المتشابه من الآيات كذلك^(٢).

ثالثاً: في الحديث

يقول الإمام ابن جزى: "وأما الحديث فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه لوجهين:
الأول: أن كثيراً من الآيات في القرآن نزلت في قوم مخصوصين ونزلت بأسباب قضايا وقعت في زمن النبي ﷺ من الغزوات والسؤالات والنوازل ولا بد من معرفة ذلك ليعلم فيمن نزلت الآية وفيما نزلت ومتى، فإن الناسخ يبني على معرفة تأريخ النزول.
الثاني: أنه ورد عن النبي ﷺ كثير من تفسير القرآن الكريم، فيجب معرفته؛ لأن قوله ﷺ مقدم على أقوال الناس^(٣). وكان يدرس الإمام ابن جزى من الكتب، الصحاح والسنن والتي ذكرناها سابقاً، فإنه كذلك اعتمد هذه الكتب في تفسيره، وهي:

١- صحيح البخاري. ٢- صحيح مسلم. ٣- موطأ الإمام مالك.

٤- سنن الترمذي. ٥- سنن أبي داود. ٦- سنن النسائي.

رابعاً: مصادره في الأخبار

يقول الإمام ابن جزى: "وأما القصص فهي جملة من العلوم التي تضمنها القرآن، فلا بد من تفسيره إلا أن من الضروري منه ما يتوقف التفسير عليه، وما سوى ذلك زائد مستغنى عنه، وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح

(١) هو محمد ابن عبد الله الخطيب الإسكافي أبو عبد الله اللغوي صاحب التصانيف أحد أصحاب الصحاح ابن عباد

وكان من أهل أصبهان وخطيباً بالري، كتاب مبادئ اللغة وهو أشهلاً كتبه وكتاب شواهد سيبويه وكتاب نقد

الشعر وكتاب درة التنزيل وغرة التأويل كتاب لطف التدبير في سياسات الملوك. انظر الوافي بالوفيات ٣ / ٢٧١.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٢٠/١.

(٣) المرجع السابق ١ / ١١.

حتى أنهم ذكروا ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصير بمنصب الأنبياء عليهم السلام أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه، وأما نحن فاقصرنا في هذا الكتاب من القصص على ما يتوقف التفسير عليه وما ورد منه في الحديث الصحيح^(١).

خامساً: مصادره في الفقه

يقول الإمام ابن جزى: "وأما أحكام القرآن فهي ما ورد فيه من الأوامر والنواهي والمسائل الفقهية، وقد قال بعض العلماء: إن آيات الأحكام خمسمائة آية وقد تنتهي إلى أكثر من ذلك إذا استقصي تتبعها في مواضعها"^(٢)، وقد أشاد بتفسير الإمام أبي بكر ابن العربي، وقال أنه من أحسن ما ألف في بلاد الأندلس، وهو كتاب تفسير بطابع فقهي و ذكر غيره^(٣). والإمام ابن جزى فقيه مالكي يدرس كتب المذهب في الجامع الأعظم^(٤).

سادساً: مصادره في اللغة

يقول الإمام ابن جزى: "وأما اللغة فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها وهي غريب القرآن، وأما النحو فلا بد للمفسر من معرفته فإن القرآن نزل بلغة العرب ، فيحتاج إلى معرفة اللسان، وأما علم البيان فهو علم شريف تظهر فصاحة القرآن"^(٥).
وقد اعتمد الإمام ابن جزى على كثير من كتب اللغة مثل:

١- الكتاب لعمر بن عثمان ابن قنبر المعروف بسبويه .

(١) مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ١/١٧.

(٢) المرجع السابق ١/١١.

(٣) ذكر الإمام ابن جزى في مقدمته من احسن تصانيف المشاركة اسماعيل القاضي وابن الحسن كباه ومن احسن تصانيف اهل الاندلس ابن العربي وابن الفرس.

(٤) ابن جزى ومنهجه في التفسير للزبيري ٣١٥.

(٥) مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ١/١٨.

٢- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى ابن زياد الفراء^(١).

٣- المقتضب، لمحمد ابن يزيد المبرد^(٢).

٤- غريب القرآن لأبي محمد عبدالله ابن مسلم ابن قتيبة^(٣)^(٤).

(١) هو أبو زكريا يحيى ابن زياد الأسدي الكوفي النحوي صاحب الكسائي وكان المأمون قد وكل الفراء ولديه يلقنهما النحو فأراد القيام فابتدرا إلى نعله فقدم كل واحد فردة فقال المأمون لن يكبر الرجل عن تواضعه لسلطانه وأبيه ومعلمه وألف ثلاثة آلاف ورقة كلها من حفظه، مات بطريق الحج سنة سبع ومائتين وله ثلاث وستون سنة. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ١٠٢/١٩.

(٢) هو أبو العباس محمد ابن يزيد ابن عبد الأكبر الأزدي البصري النحوي وكان إماماً علامة جميلاً وسيماً فصيحاً مفوهاً موثقاً صاحب نوارذ طرف وسمي المبرد - بفتح الراء - أي المثبت للحق وله تصانيف كثيرة وكان آية في النحو مات في أول سنة ثمانين ومائتين. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٨٩ / ٢٦.

(٣) هو أبو العباس محمد ابن الحسن ابن قتيبة اللخمي العسقلاني كان مسند أهل فلسطين ذا معرفة وصدق توفي سنة ثلاثمائة وعشرة ، سؤل عنه الدارقطني فقال : ثقة. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٣٢٠/٢٧.

(٤) ابن جزى ومنهجه في التفسير للزبيرى ٣٣٠.

المطلب الثالث

منهجية الإمام ابن جزي في كتابه:

التسهيل لعلوم التنزيل

مع تعدد التفاسير القديمة والمعاصرة تتعدد مناهج المفسرين إذ أن لكل مفسر طريقة يفسر بها ومنهجية يحددها لنفسه، فهو يفسر بها حتى يتميز تفسيره عن غيره وهذه المسألة خاضعة لاجتهاد كل مفسر حسب ما يراه لنفسه حيث يحرص كل على أن يضيف جديدا في عالم التفاسير ولذلك وقفنا عند بعض المفسرين وقد جعل تفسيره بالطابع اللغوي كالزمخشري والآخر بالطابع الفقهي كالقرطبي وغيره، ولمعرفة منهجية الإمام ابن جزي من خلال:

أولاً: المنهجية العامة

وضع له مقدمتين: الأولى: فيها اثنا عشر بابا قال عنها أبواب نافعة وقواعد كلية جامعة. والأخرى: في تفسير معاني اللغات قال عنها فيما كثر دوره من اللغات الواقعة^(١). وقال في مقصده من تأليف كتابه التسهيل: "و صنفنا هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم وسائر ما يتعلق به من العلوم وسلكت مسلكا نافعا إذ جعلته وجيزا جامعا قصدت به أربع مقاصد تتضمن أربع فوائد:

الأولى: جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم تسهيلا على الطالبين وتقريبا على الراغبين، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها وتنقيح فصولها وحذف حشوها وفضولها، ولقد أودعته من كل فن من فنون علوم القرآن اللباب المرغوب فيه دون القشر المرغوب عنه من غير إفراط

(١) مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١٢/١.

ولا تفريط ثم إنني عزمت على إيجاز العبارة وإفراط الاختصار وترك التطويل والتكرار.

الثانية: ذكر نكت عجيبة وفوائد غريبة قلما توجد في كتاب؛ لأنها من نبات صدري وينابيع ذكرى ومما أخذته عن شيوخى ﷺ أو مما التقطته من مستظرفات النوادر الواقعة في غريب الدفاتر.

الثالثة: إيضاح المشكلات إما بحل العقد المقفلات وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات وبيان المجملات.

الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح وتمييز الراجح من المرجوح وذلك أن أقوال الناس على مراتب فمنها الصحيح الذي يعول عليه ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه ومنها ما يحتمل الصحة والفساد ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساويا أو متفاوتا والتفاوت قد يكون قليلا أو كثيرا^(١).

ثانيا: المنهجية التفصيلية

أ- في تحقيق أقوال المفسرين:

١- إذا صرح باسم القائل، فقد قال: لأحد أمرين: إما للخروج من عهده وإما لنصرته إذا كان قائله مما يقتدى به.

٢- قلة نسبة الأقوال، وقد بين السبب، فقال: لست أنسب الأقوال لأصحابها إلا قليلا وذلك لقلّة صحة إسنادها إليهم أو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم.

٣- إذا لم يصرح باسم القائل، فقد قال: فذلك إشارة إلى أنني أرتضيه و أتقلده سواء كان من تلقاء نفسي أو مما أختاره من كلام غيري.

٤- إذا كان القول ضعيفا، قال: أصرح به أنه خطأ أو باطل ثم ما أقول فيه أنه

(١) مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١٠/١-١١.

ضعيف أو بعيد ثم ما أقول إن غيره أرجح منه أو أقوى أو أظهر ثم ما أقدم غيره إشعاراً
بترجيح المتقدم^(١).

ب- المختلف في التفسير على ثلاثة أنواع:

الأول: اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى فهذا عده كثير من المفسرين خلافاً
وليس في الحقيقة بخلاف لاتفاق معناه وجعلناه نحن قولاً واحداً وعبرنا عنه أحد عبارات
المتقدمين أو بما يقرب منها أو بما يجمع معانيها.

الثاني: اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد وليس مثال منها
على خصوصه هو المراد وإنما المراد المعنى العام التي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومها،
فهذا عده كثير من المفسرين خلاف وليس في الحقيقة بخلاف؛ لأن كل قول منها مثال
وليس بكل المراد ولم نعه نحن خلاف بل عبرنا عنه بعبارة عامة وربما ذكرنا بعض تلك
الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود.

الثالث: اختلاف المعنى، فهذا الذي عددناه خلافاً ورجحنا فيه بين الأقوال^(٢).

ج- وجوه الترجيح بين المفسرين اثنا عشر وجهاً:

الأول: تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع
آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال.

الثاني: حديث النبي ﷺ فإذا ورد عنه ﷺ تفسير شيء من القرآن عولنا عليه لا سيما
إن ورد في الحديث الصحيح.

الثالث: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين فإنه يقتضي ترجيحه.

الرابع: أن يكون قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الرشدين وابن عباس؛ لقول

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١٠/١.

(٢) المرجع السابق ١٦/١.

النبي ﷺ له (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)^(١).

الخامس: أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة أو الإعراب أو التصريف أو الاشتقاق.

السادس: أن يشهد بصحة القول سياق الكلام وبدل عليه ما قبله أو ما بعده.

السابع: أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن، فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه. الثامن: تقديم الحقيقة على المجاز. التاسع: تقديم العموم على الخصوص.

العاشر: تقديم الإطلاق على التقييد. الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الاضمار.

الثاني عشر: حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم و التأخير^(٢).

د - في القراءات:

يقول الإمام ابن جزي: وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع لوجهين أحدهما: أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر بلاد المغرب. والأخرى: اقتداء بالمدينة شرفها الله؛ لأنها قراءة أهل المدينة، قال مالك: قراءة نافع سنة وذكرنا من سائر القراءات ما فيه فائدة في المعنى والإعراب، وغير ذلك دون ما لا فائدة فيه زائدة. وقد ذكر غيرها من القراءات ما فيها فائدة في المعنى والإعراب حيث قال: واستغنيا عن استيفاء القراءات لكونها مذكورة في الكتب المؤلفة فيها وأيضا فانا لما عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه ما لا تدعو إليه الضرورة^(٣).

هـ - في العقائد:

يقول الإمام ابن جزي في مقدمته: وأما أصول الدين فيتعلق بالقرآن من طرفين:

(١) مسند أحمد ، مسند عبد الله ابن عباس ؓ، رقم ٢٣٩٧ ، ٤/٢٢٥.

(٢) مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/١٩.

(٣) المرجع السابق ١/١٦.

أحدها: ما ورد في القرآن من إثبات العقائد وإقامة البراهين عليها والرد على أصناف الكفار، والآخر: أن الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن وكل طائفة منهم تحتج لمذهبها بالقرآن وترد على من خالفها وتزعم أنه خالف القرآن ولا شك أن منهم المحق والمبطل فمعرفة تفسير القرآن أن توصل في ذلك إلى التحقيق مع التشديد والتأبيد^(١).

و- في القصص:

قال: "وأما نحن فاقترضنا في هذا الكتاب من القصص على ما يتوقف التفسير عليه، وما ورد منه في الحديث الصحيح"^(٢).

ثالثا: القراءة في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل

ما يمكن ملاحظته في منهجه ما يلي:

- ١- ترتيبه للتفسير حسب ترتيب سور المصحف من الفاتحة إلى الناس.
- ٢- عند تفسيره للآية فإنه لا يفسر الآية كاملة بل يفسرها جملة جملة فيترك الواضح فلا يذكره ثم يفسر الجملة أو الكلمة التي تحتاج إلى تفسير وتوضيح.
- ٣- قد يترك آيات؛ لأنه فسر آيات مشابهة لها من قبل أو أنها من الواضح لا تحتاج إلى تفسير.
- ٤- يحيل تفسيره لبعض الآيات إذا تكررت الألفاظ المتشابهة أو تعددت القضية الواحدة على مواضع أخرى من تفسيره.
- ٥- الميل للاختصار بقدر الإمكان مع التلخيص والجمع للأقوال السمة البارزة فيه.
- ٦- في ذكر القصص يكتفي غالبا بالإشارة وإلا يبتعد عن ذكرها.
- ٧- إذا تعددت الأقوال وهي متقاربة في المعنى فإنه يقول غالبا والأولى العموم.
- ٨- عدم ترتيب علوم القرآن المتعلق بالآية من أسباب نزول وقراءات وغيرها.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١٨/١.

(٢) المرجع السابق ١٧/١.

الفصل الثاني

ترجمة الإمام ابن الجوزي، والتعريف بعصره،

وتفسيره.

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن الجوزي

المبحث الثاني: التعريف بعصر الإمام ابن الجوزي

المبحث الثالث: التعريف بتفسير الإمام ابن الجوزي

المبحث الأول

التعريف بالإمام ابن الجوزي

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: نسبه ومولده ونشأته

المطلب الثاني: طلبه للعلم وشيوخه وتلامذته

المطلب الثالث: مكانته العلمية ومذهبه العقدي والفقي

المطلب الرابع: وفاته، وثناء العلماء عليه، وأثاره العلمية

المطلب الأول

نسبه ومولده ونشأته

نسبه:

هو عبد الرحمن ابن علي ابن محمد ابن علي ابن عبد الله ابن عبد الله ابن حماد ابن أحمد ابن محمد ابن جعفر ابن عبد الله ابن القاسم ابن النضر ابن القاسم ابن محمد ابن عبد الله ابن عبد الرحمن ابن القاسم ابن أبي بكر الصديق القرشي البكري الحافظ الفقيه المفسر الواعظ الأديب جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي^(١).

نسبته إلى الجوزي:

قيل: إن جده التاسع جعفر هو الجوزي نسب إلى موضع أو فرضة من فرض البصرة يقال لها جوزة^(٢)، أو محلة الجوز، وقيل عرف جدهم جعفر بالجوزي؛ لجوزة في داره بواسط، ولم يكن بواسط جوزة غيرها^(٣).

مولده:

قال ابن الدبيثي: "سألته عن مولده غير مرة، ويقول: يكون تقريبا في سنة عشر وخمسمائة وسألته أخاه فقال: في سنة ثمان وخمسمائة تقريبا. قيل ولد سنة تسع أو عشر وخمسمائة، وقال ابن كثير: أنه ولد في سنة عشر

(١) المقصد الأرشدي في ذكر أصحاب الإمام أحمد للإمام برهان الدين إبراهيم ابن محمد ابن عبد الله ابن محمد ابن مفلح ت: د عبد الرحمن ابن سليمان العثيمين ط: مكتبة الرشد الرياض - السعودية، ٩٤/٢. وشذرات الذهب

٣٢٩/٤ وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي. ٢٨٨/٤٢.

(٢) سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد ابن عثمان ابن قايماز الذهبي، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ٣٧٢/٢١.

(٣) الوافي بالوفيات للصفدي ٨٠/٦، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. ٢٨٨/٤٢.

وخمسمائة^(١). وقيل: وجد بخطه لا أحقق مولدي، غير أنه مات والدي في سنة أربع عشرة وقالت الوالدة: كان لك من العمر نحو ثلاث سنين. فعلى هذا: يكون مولده سنة إحدى عشرة، أو اثنتي عشرة. وكان مولده ببغداد بدرب حبيب^(٢).

نشأته:

توفي والده أبو الحسن وله ثلاث سنين، فربته عمته وأقاربه، وكانت له عمه صالحة، وكان أهله تجاراً في النحاس ولهذا كتب في بعض السماعات اسمه عبد الرحمن الصفار، ولما ترعرع حملته عمته إلى مسجد أبي الفضل ابن ناصر، وهو خاله فاعتنى به^(٣)، وأسمعه الحديث وأسمعه الكثير وحفظ القرآن، وقرأه على جماعة من القراء بالروايات، وسمع بنفسه الكثير، وعنى بالطلب ونظر في جميع الفنون وألف فيها، وأحب الوعظ، ولهج به، وهو مراهق، فوعظ الناس وهو صبي^(٤)، قال في أول مشيخته: حملني شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ في الصغر وأسمعني العوالي وأثبت سماعاتي كلها بخطه أخذ لي إجازات منهم، فلما فهمت الطلب ألزم من الشيوخ أعلمهم وأوثر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت مهمتي تجويد العدد لا تكثير العدد، ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخي ذكرت عن كل واحد منهم حديثاً^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٤٠/٤١ - ٣٤٩، والبداية والنهاية لعماد الدين أبي الفداء اسماعيل ابن عمر ابن كثير القرشي الدمشقي، ت: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، هجر للطباعة والنشر - الحبيزة، ط/١: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ٢٥/٧.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لزين الدين عبد الرحمن ابن أحمد ابن رجب ابن الحسن، السلامي، البغدادي، الحنبلي، تحقيق: د عبد الرحمن ابن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان - الرياض، ط/١: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ١/١٦٣.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٩١/٤١ وسيأتي بيانه في ذكر شيوخ ابن الجوزي.

(٤) المرجع السابق ٣٤٣/٤١، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي الحنبلي ٣٣٠/٤.

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٦٦/٢١.

المطلب الثاني

طلبه للعلم وشيوخه و تلامذته

طلبه للعلم:

أول سماعاته سنة ست عشرة وخمسمائة. وحفظ القرآن وقرأه على جماعة من أئمة القراء وسمع بنفسه الكثير، وقرأ وعني بالطلب^(١) وقيل: أول سماعه سنة عشرين^(٢). وقيل: " أول سماعه سنة ست عشرة وخمسمائة. وسمع بعد ذلك في سنة عشرين وخمسمائة وبعدها"^(٣). ووعظ وهو ابن عشر سنين إلى أن مات، ولم يشغله عن الاشتغال بالعلم شاغل، ولا لعب ولا لها، ولا سافر إلا إلى مكة^(٤).

قال: "ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخي ذكرت عن كل واحد منهم حديثاً. ثم ذكر في هذه المشيخة له سبعة وثمانين شيخاً^(٥)، "وعانيت من الفقر والنسخ بالأجرة مع عفة وتقوى ولا ازاحم فقيها في حلقة ولا تطلب نفسي رتبة من رتب اهل العلم القاطعة لي عن الفائدة وعصمني الله من عنفوان الشبيبة بأنواع من العصمة وقصر محبتي على العلم واهله فما خالطت لعابا قط ولا عاشرت الا امثالي من طلبية العلم"^(٦).

شيوخه:

تعلم من علماء كبار وكثر، تعلم منهم وتتلذذ على أيديهم نذكر بعضا منهم:

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ١/١٦٣.

(٢) مختصر تاريخ الديبثي ١/٢٣٨.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ١/٢٨٨.

(٤) المرجع السابق ١/١٦٣ - ١٦٧.

(٥) المرجع السابق ١/١٦٧.

(٦) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لعبد الرحمن ابن علي ابن محمد ابن الجوزي أبو الفرج، دار صادر - بيروت

الأولى، ط: ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩.

١- أبو القاسم ابن الحسين هبة الله ابن محمد ابن عبد الواحد ابن أحمد ابن العباس ابن الحسين الشيباني البغدادي الكاتب الأزرق مسند العراق ولد في ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وأربع مائة وكان ديناً صحيح السماع توفي في رابع عشر شوال سنة خمس وعشرين وخمسائة^(١). شيخ جليل مسند، انتهى إليه علو الإسناد، بمثل قبة الاسلام بغداد، روى عنه خلق كثير^(٢). وقال ابن الجوزي: وسمعت منه مسند الإمام أحمد جميعه، وسمعت منه غير ذلك بقراءة شيخنا ابن ناصر وكنت ممن كتبها عنه^(٣).

٢- أبو الحسن علي ابن عبيد الله ابن نصر ابن عبيد الله ابن سهل ابن الزاغوني البغدادي، الإمام العلامة، الفقيه الحنبلي شيخ الحنابلة وواعظهم وأحد أعيانهم ولد في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وأربعمائة وقرأ القرآن بالروايات وطلب الحديث بنفسه وقرأ وكتب بخطه وقرأ الكثير من كتب الفقه والنحو والفرائض وكان متقناً في علوم شتى من الأصول والفروع والوعظ والحديث وصنف في ذلك كله، و كان من بحور العلم، كثير التصانيف، يرجع إلى دين وتقوى، وزهد وعبادة وكان فقيه الوقت وكان مشهوراً بالصلاح والديانة والورع والصيانة^(٤)، قال ابن الجوزي: كان له في كل فن من العلم حظ وافر ووعظ مدة طويلة، صحبتته زماناً، وسمعت منه، وعلقت عنه الفقه والوعظ، ومات في سابع عشر المحرم سنة سبع وعشرين وخمسائة، ودفن في مقبرة الإمام أحمد وكان الجمع يفوق الإحصاء^(٥).

٣- إسماعيل ابن أحمد ابن عمر ابن أبي الأشعث أبو القاسم ابن السمرقندي الشيخ، الإمام، المحدث المفيد، المسند، الحافظ الدمشقي المولد، البغدادي الوطن، صاحب

(١) شذرات الذهب لعبد الحي الحنبلي ٧٧/٤ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥٣٨/١٩.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٢٤/١٣ .

(٣) المنتظم لابن الجوزي ٢٤/١٠.

(٤) شذرات الذهب لعبد الحي الحنبلي ٨١/٤.

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي ٦٣/٣٨.

المجالس الكثيرة. ولد بدمشق في رمضان، سنة أربع وخمسين وأربع مائة، ثم انتقل به الوالد إلى بغداد، وسمع بها، ثم قدم الشام، وسمع بالقدس كان ثقة، مكثراً، صاحب أصول، دلّالا في الكتب، وعاش إلى أن خلت بغداد، وصار محدثها كثرة وإسناداً^(١)، قال ابن الجوزي: أملى بجامع المنصور زيادة على ثلاثمائة مجلس وسمعت منه الكثير^(٢).

توفي في السادس والعشرين من ذي القعدة، سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وقد رأى أنه يقبل قدم النبي ﷺ ويمر عليها وجهه، فقيل له: أبشر بطول البقاء، وبانتشار حديثك، فتقبيل رجله اتباع أثره^(٣).

٤- أبو غالب محمد ابن الحسن ابن علي ابن الحسن التميمي، البصري، الماوردي الشيخ، الإمام، المحدث، الصدوق، ولد سنة خمسين وأربع مائة، و كان شيخا صالحا عالما، ثقة صالحا عفيفا، حدث بالكثير ينسخ للناس بالأجرة، مات في رمضان، سنة خمس وعشرين وخمسمائة، وله خمس وسبعون سنة، قال: ورئي في المنام، فقال: غفر الله لي ببركات الحديث، وأعطاني جميع ما أملت^(٤)، قال ابن الجوزي: "كان شيخا صالحا وسمعت عليه الحديث^(٥)".

٥- أبو سعد أحمد ابن محمد ابن علي ابن محمود ابن ماخرة الزوزني^(٦) ثم البغدادي، الشيخ المسند الكبير، من مشاهير الصوفية، ولد سنة تسع وأربعين وأربع

(١) لفظ الألفاظ بذيل طبقات الحفاظ أبو الفضل محمد ابن محمد ابن محمد ابن فهد الهاشمي المكي، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى، ط/١: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٥٤/١.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٩٨/١٠.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٨/٢٠، وطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين ابن علي ابن عبد الكافي السبكي، ت: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ط: ١٤١٣ هـ، ٤٦/٧.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٨٩/١٩.

(٥) المنتظم لابن الجوزي ٢٣/١٠.

(٦) بفتح الزايين وسكون الواو نسبة إلى زوزن بلد بين هراة ونيسابور

مائة^(١). حدث عنه ابن الجوزي وقال: مات في شعبان سنة ست وثلاثين وخمسين مائة، ورؤي بعد وفاته فقيل له: ما فعل الله بك قال: غفر لي وأنا في الجنة^(٢).

٦- أبو الفضل محمد ابن ناصر ابن محمد ابن علي ابن عمر السلامي البغدادي الحافظ الإمام محدث العراق، ولد ليلة السبت الخامس عشر من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة توفي أبوه شابا وهو صغير فكفله جده لأمه وأسمعه الحديث وأحفظه الختمة، وعني بهذا الفن، وبالغ في الطلب بعد أن برع في اللغة، وحصل الفقه والنحو، قال ابن الجوزي: كان ثقة حافظاً ضابطاً من أهل السنة لا مغمز فيه تولى تسميعي وسمعت بقراءته مسند أحمد والكتب الكبار، وعنه أخذت علم المسألة، وكان كثير الذكر سريع الدمعة، ثقة حافظ دين متقن ثبت لغوى عارف بالمتون والأسانيد كثير الصلاة والتلاوة صحيح القراءة والنقل حسن الطريقة متديناً فقيراً متعففاً نظيفاً نزهاً، وقف كتبه، ولم يعقب، توفي يوم الثلاثاء الثامن عشر من شعبان ٥٥٠ هـ وصلى عليه قريباً من جامع السلطان ثم بجامع المنصور، ورأيت في المنام، فقلت ما فعل الله بك فقال: غفر لي وقال لي قد غفرت لعشرة من أصحاب الحديث في زمانك؛ لأنك رئيسهم وسيدهم^(٣).

٧- نصر ابن فتيان ابن مطر النهرواني، ثم البغدادي، أبو الفتح الفقيه الزاهد، المعروف بابن المني ناصح الإسلام، وأحد الأعلام، وفقهه العراق على الإطلاق ولد سنة إحدى وخمسمائة برع في الفقه، وتقدم على أصحابه، وصرف همه طول عمره إلى الفقه، أصولاً وفروعاً، مذهباً وخلافاً، واشتغالاً وإشغالاً، ومناظرة. وتصدر للتدريس والاشتغال والإفادة، وطال عمره، وبعُدَ صيته، وقصده الطلبة من البلاد، حفظ القرآن العظيم وهو في

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٧/٢٠.

(٢) شذرات الذهب لعبد الحي الحنبلي ١١٢/٤.

(٣) تذكرة الحفاظ لمحمد ابن أحمد الذهبي ٦٠/٤، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٩١/١٢، والمنظوم لابن الجوزي

حادثة من سنة. ولاحق عليه أعلام المشيخة، فرجع منه على كل فن بفضل الله ومَنه. أفنى ودرس نحوًا من سبعين سنة، وكان إذا فتح عليه بشيء فرقه بين أصحابه. سليم الاعتقاد، صحيح الانتقاد في الأدلة الفرعية. وكان ابن الجوزي يقول له: أنت شيخنا^(١).

تلامذته:

١- ابنه أبو المحاسن محي الدين يوسف صاحب العلامة، سفير الخلافة، أستاذ دار المستعصم بالله، ولد سنة ثمانين وخمسائة وسمع من أبيه وطائفة وقرأ القرآن، وكان كثير الحفظ قوي المشاركة في العلوم وافر الحشمة قرأ القرآن بالروايات العشر وقد جاوز العشر سنين من عمره واشتغل بالفقه والخلاف والأصول وبرع في ذلك وكان أشهر فيه من أبيه ووعظ من صغره على قاعدة أبيه وعلا أمره وعظم^(٢)، ابنتى المدرسة الجوزية بدمشق وأوقف لها^(٣)، وقد ذبحه التتار لما دخلوا بغداد، وذبح أولاده الثلاثة: عبد الله، عبد الرحمن، وعبد الكريم، ثم ذبح بعد هؤلاء خطباء المساجد والأئمة وحملة القرآن^(٤).

٢- أبو المظفر شمس الدين يوسف ابن قزاوغلو ابن عبد الله التركي البغدادي^(٥) الحنفي، ولد سنة اثنتين وثمانين وخمسائة ببغداد، ونشأ ببغداد ثم بالموصل، واستقر في

(١) المقصد الارشد لابن مفلح ٦٢/٣، وسير اعلام النبلاء للذهبي ١٣٨/٢١.

(٢) شذرات الذهب لعبد الحي الحنبلي ٢٨٦/٥.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٣٣/١٣، المختصر في اخبار البشر لابي الفداء ٤٢٠/١.

(٤) التتار بين الانتشار والانكسار لعلي محمد الصلابي، الأندلس الجديدة، مصر، ط/١: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ٢٨٦/١، عقد الجمال في تاريخ اهل الزمان لبدر الدين العيني ٤١/١.

(٥) ذكر في تذكرة الحفاظ للابي الفضل محمد ابن طاهر ابن القيسراني، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع الرياض، ط/١: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ٩٢/٤، بأن اسمه فرغلي بينما ذكر بأن اسمه قرأغلي في كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢١٦/٢ لابن تغري وقد ذكر الذهبي في تأريخه بأن اسمه قرغلي ٤٢/ ٢٥٦ وقد ذكر في كتاب كشف الظنون ١٧٣/٢ لمصطفى ابن عبد الله كاتب جلي القسطنطيني بأن اسمه قرأغلي، ١٧٣/٢.

دمشق وزار مصر أيضاً، انتهت إليه رئاسة الوعظ، وتبحر في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ وهو سبط ابن الجوزي، والده من مماليك الوزير عون الدين يحيى ابن هبيرة- وكان عنده بمنزلة الولد- فأعتقه وخطب له رابعة ابنة الجوزي، وكانت قد تأيمت بوفاة زوجها، فزوجها منه فأولدها شمس الدين المذكور، فلما ترعرع اجتذبه جده إليه، واشغله وتفقّه واسمعه الكثير عليه، وعلى غيره وكان أوحد زمانه في الوعظ، حسن الإيراد ترق لرؤيته القلوب، وتذرف لسماع كلامه العيون وتفرد بهذا الفن وحصل له فيه القبول التام، وفاق فيه من عاصره، وكثيراً ممن تقدمه، فكانت مجالسه نزهة القلوب والأبصار، يحضرها الصلحاء والعلماء والملوك والأمراء والوزراء وغيرهم، ولا يخلو المجلس من جماعة يتوبون ويرجعون إلى الله تعالى، وفي كثير من المجالس يحضر من يسلم من أهل الذمة، فانقطع بحضور مجالسه خلق كثير، وكان الناس يبيتون ليلة المجلس في جامع دمشق ويتسابقون على مواضع يجلسون فيها لكثرة من يحضر مجالسه، وكان له الحرمة الوافرة والوجاهة العظيمة عند الملوك وغيرهم من الأمراء والأكابر^(١).

له مرآة الزمان في عشرين مجلداً من أحسن التواريخ، انتظم فيها المنتظم تاريخ جدّه وزاد عليه، ونzil إلى زمانه، وهى من أحسن التواريخ وأبهجها، قدم دمشق في حدود الستمائة، وحُظي عند ملوك ابني أيوب، وقدموه وأحسنوا اليه، توفى ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة ست وخمسين وستمائة^(٢).

٣- تقي الدين أبو محمد عبد الغني ابن عبد الواحد ابن علي ابن جعفر المقدسي، الجماعيلي، ثم الدمشقي المنشأ، الصالحي، الحنبلي، الإمام، العالم، الحافظ الكبير، ولد في ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة سمع الكثير بدمشق، والإسكندرية، وبيت المقدس، ومصر، وبغداد، وحران، والموصل، وأصبهان، وهمدان، ولم يزل يطلب وينشر

(١) ذيل مرآة الزمان لقطب الدين لأبي الفتح موسى ابن محمد البيهقي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط/١: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م، ١٥/١.

(٢) عقد الجمال في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني ٣٠/١.

العلم، إلى أن مات، رحل إلى بغداد مرتين، وإلى مصر مرتين، سافر إلى بغداد وكان ميله إلى الحديث، فأقام بها نحو أربع سنين، وكان قد ضعف بصره من البكاء والنسخ والمطالعة، له تصانيف كثيرة منها كتاب المصباح في عيون الأحاديث الصحاح مشتمل على أحاديث الصحيحين، فهو مستخرج عليهما بأسانيد، في ثمانية وأربعين جزءاً، وكتاب نهاية المراد في السنن نحو مائتي جزء لم يبيضه وغيرها^(١). توفي سنة ست مائة^(٢).

٤- موفق الدين أبو محمد عبد الله ابن أحمد ابن محمد ابن قدامة ابن مقدم ابن نصر المقدسي، الجماعيلي، ثم الدمشقي، الصالحي، الحنبلي الشيخ، الإمام، القدوة، العلامة، المجتهد، شيخ الإسلام، ولد بجماعيل، من عمل نابلس، في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسائة، وهاجر مع أهل بيته وأقاربه، وله عشر سنين، وحفظ القرآن، ولزم الاشتغال من صغره، وكتب الخط المليح، وكان من بحور العلم، وأذكياء العالم، ورحل هو وابن خاله الحافظ عبد الغني في طلب العلم إلى بغداد، كان عالم أهل الشام في زمانه وكان إمام الحنابلة بجامع دمشق، وكان ثقة، حجة، نبيلاً، غزير الفضل، نزهاً، ورعاً، عابداً، عليه النور والوقار، ينتفع الرجل برويته قبل أن يسمع كلامه. صنف المغني عشر مجلدات، والكافي أربعة، وغيرها، انتقل إلى رحمة الله يوم السبت، يوم الفطر، ودفن من الغد، سنة عشرين وست مائة، وكان الخلق لا يحصون^(٣).

٥- بهاء الدين أبو محمد البهاء عبد الرحمن ابن إبراهيم ابن أحمد ابن عبد الرحمن ابن إسماعيل ابن منصور المقدسي الفقيه الحنبلي الزاهد الشيخ، الإمام، العالم، المفتي، المحدث^(٤). ولد سنة ست وخمسين وخمسائة، وختم القرآن سنة سبعين، وسمع بدمشق ورحل إلى بغداد وسمع بها وسمع بحران، فكان فقيهاً، إماماً، مناظراً، وسمع الكثير،

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤١/٤١٩.

(٢) مرآة الجنان لليافعي ٢/١٣٦.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٢/١٧٣.

(٤) المرجع السابق ٤٢/٢٩٣.

وكتبه، وأقام سنين بنابلس بعد الفتح بجامعها الغربي، وانتفع به خلق، وكان سمحا، كريما، جوادا، حسن الأخلاق، متواضعا، رجع إلى دمشق قبل وفاته بيسير، واجتهد في كتابة الحديث وتسميعه^(١)، روى كتاب مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي بسماعه منه^(٢).

٦- أبو عبد الله محمد ابن أبي المعالي سعيد ابن يحيى ابن علي ابن حجاج الديبثي^(٣) ثم الواسطي، الشافعي، المعدل، صاحب التصانيف الإمام، العالم الثقة، الحافظ، شيخ القراء، حجة المحدثين، ولد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وقرأ العربية والأصول والخلاف، وعني بالحديث وبالغ، وكتب العالي والنازل، وصنف تاريخا كبيرا لواسط، وذيل على تاريخ بغداد وعمل المعجم لنفسه، وكان مشرف الأوقاف، ومن كبراء العدول، ثم استعفى من العدالة ضجرا من كلفتها، ثم لازم العلم والإقراء والتسميع، توفي في ثامن ربيع الآخر، سنة سبع وثلاثين وستمائة^(٤).

٧- شمس الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الواحد ابن أحمد ابن عبد الرحمن ابن إسماعيل ابن منصور السعدي، المقدسي، ثم الدمشقي، المعروف بالبخاري. سمع بدمشق ورحل إلى بغداد. وسمع من ابن الجوزي وغيره، وسمع بنيسابور وسمع بواسط من جماعة. وتفقه وبرع، وأقام ببخارى مدة ولهذا عرف بالبخاري. ثم رجع إلى الشام، وسكن حمص مدة، وكان إماماً عالماً، مفتياً مناظراً، ذا سمت ووقار. وكان كثير المحفوظ، حجة صدوقاً، كثير الاحتمال، واتفقت الألسنة على شكره، وشهرته وفضله، روى عنه أخوه الضياء الحافظ، وولده الفخر علي، وتوفي ليلة الخميس خامس جمادى الآخرة سنة ثلاث

(١) المرجع السابق ٢٩٣/٤٢.

(٢) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد لمحمد ابن أحمد ابن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسيني الفاسي،

ت: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط/١: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٣) بضم الدال المهملة وفتح الموحدة التحتية وسكون المثناة التحتية ومثلثة نسبة إلى ديبثا قرية بواسط.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ٦٧/٤٣.

وعشرين وستمئة، ودفن من الغد إلى جانب خاله الشيخ موفق الدين رحمه الله تعالى^(١).

٨- ضياء الدين محمد ابن عبد الواحد ابن أحمد ابن عبد الرحمن ابن إسماعيل المقدسي الحافظ الحجة ولد سنة سبع وستين وخمسائة لزم الحافظ عبد الغني وتخرج به وحفظ القرآن وتفقه ورحل أولاً إلى مصر ورحل إلى بغداد وسمع من ابن الجوزي الكثير ورحل ثم رجع إلى دمشق بعد الستمئة، ثم رحل إلى أصفهان فأكثر فيها وحصل أشياء كثيرة من المسانيد والأجزاء وسمع بمكة المشرفة ولزم الاشتغال لما رجع واكب على التصنيف^(٢). سمع الحديث الكثير وكتب كثيراً وطوف وجمع وصنف وألف كتباً مفيدة حسنة كثيرة الفوائد، وكان رحمه الله في غاية العبادة والزهادة والورع والخير، وقد وقف كتباً كثيرة عظيمة لخزانة المدرسة الضيائية التي وقفها على أصحابهم من المحدثين والفقهاء، وقد وقفت عليها أوقاف أخر كثيرة بعد ذلك^(٣).

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ٣/٣٥٤.

(٢) الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر ابن محمد النعيمي الدمشقي، ت: إبراهيم شمس الدين ط: دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٠ هـ. ١٩٩٠ م، ٢/٧٢.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٣/١٩٨.

المطلب الثالث

مكانته العلمية ومذهبه العقدي والفهي

مكانته العلمية:

قال ابن كثير: برز في علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره، وتفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه فيه وفي طريقته وشكله، وفي فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه وغوصه على المعاني البديعة، وتقريبه الأشياء الغربية فيما يشاهد من الأمور الحسية، بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك، بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة، هذا وله في العلوم كلها اليد الطولى، والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو، وله من المصنفات في ذلك ما يضيق هذا المكان عن تعدادها، وحصر أفرادها^(١).

قال الذهبي: " وكان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديها، ويسهب، ويعجب، ويغرب، ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ، والقيم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيب، والوقع في النفوس، وحسن السيرة، وكان بحراً في التفسير، علامة في السير والتأريخ، موصوفاً بحسن الحديث، ومعرفة فنونه، فقيهاً، عليماً بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة في الطب، والحرمة الوافرة عند الخاص والعام، ما عرفت أحداً صنّف ما صنّف"^(٢).

أولاً: تدريسه

بدأ في التدريس منذ صغره حيث قال: " في سنة ٥٢٧هـ توفي شيخنا ابن الزاغوني

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢٦/٧.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٦٧/٢١ - ٢٩٢/٤٢.

وكانت له حلقة في جامع المنصور لم أعطيها أنا لصغر سني، فحضرت وأوردت فصلا من المواعظ، فأذن لي في الجلوس في جامع المنصور، فتكلمت فيه فحضر مجلسي أول يوم جماعة أصحابنا الكبار من الفقهاء^(١).

وكانت له دروس ثابتة في العلم حيث كان يبدأ في دروسه من أوله إلى آخره في التفسير أو غيره من العلوم حيث قال: في سنة ٥٧٠هـ وفي يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى انتهى تفسيري للقرآن في المجلس على المنبر فإني كنت أذكر في كل مجلس منه آيات من أول الختمة على الترتيب إلى أن تم، فسجدت على المنبر سجدة الشكر، وقلت ما عرفت أن واعظا فسّر القرآن كله في مجلس الوعظ منذ نزل القرآن، فالحمد لله المنعم، ثم ابتدأت يومئذ في أول ختمة وأنا أفسرها على الترتيب والله قادر على الإنعام بالإتمام والزيادة من فضله^(٢)، وكان له أماكن للتدريس حيث قال: وصار لي خمس مدارس وهذا شيء ما رآه الحنابلة إلا في زماني^(٣).

ثانياً: وعظه ودعوته

"مجالسه الوعظية لم يكن لها نظير، ولم يسمع بمثها. وكانت عظيمة النفع، يتذكر بها الغافلون، ويتعلم منها الجاهلون، ويتوب فيها المذنبون، ويسلم فيها المشركون"^(٤)، و " في سنة ٥٢٠هـ كان أول مجلس تكلم فيه ابن الجوزي على المنبر يعظ الناس، وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة وكان يوماً مشهوداً"^(٥)، قال سبطه: "سمعته يقول على المنبر في آخر عمره: كتبت بإصبعي هاتين ألفي مجلد، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي

(١) المنتظم لابن الجوزي ٣٠/١٠.

(٢) المرجع السابق ٢٥٢/١٠.

(٣) المرجع السابق ٢٨٤/١٠.

(٤) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ١٦٧/١.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير ١٨٣/١٢.

عشرون ألف يهودي ونصراني"^(١)، وقال: وقد تاب على يدي أكثر من مائة ألف، وقطعت أكثر من عشرة آلاف طائفة، ولم ير واعظ مثل جمعي، فقد حضر مجلسي الخليفة والوزير، وصاحب المخزن، وكبار العلماء والحمد لله على نعمه^(٢)، وقال: وعدت بالجلوس في جامع المنصور فتكلمت واجتمع للمجلس ما حزر بمائة ألف، وتاب خلق كثير، وقطعت شعور، ثم نزلت فمضيت إلى زيارة قبر أحمد فتبعني من حزر بخمسة آلاف، وقد تاب على يدي أكثر من مائة ألف، وقطعت أكثر من عشرين ألف طائفة^(٣)، وقال: ما زلت أعظ الناس وأحرضهم على التوبة والتقوى، فقد تاب على يدي إلى أن جمعت هذا الكتاب أكثر من مائة ألف رجل، وقد قطعت من شعور الصبيان اللاهين أكثر من عشرة آلاف طائفة، وأسلم على يدي أكثر من مائة ألف، ولا يكاد يذكر لي حديث إلا ويمكنني أقول صحيح أو حسن أو محال ولقد أقدرني الله على أن ارتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ^(٤)، وقال: وفي سنة ٥٦٧ هـ سألتني أهل الحريرة أن أعقد عندهم مجلساً للوعظ ليلة فوعدتهم ليلة الجمعة سادس عشر ربيع الأول، فانقلبت بغداد فلو قيل: إن الذين خرجوا يطلبون المجلس وسعوا في الصحراء بين باب البصرة والحريرة مع المجتمعين في المجلس كانوا ثلاثمائة ألف ما أبعد القائل^(٥).

قال الذهبي^(٦): " وأقل ما كان يحضر مجلس أوف، وقيل إنه حضر مجلسه في

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٨٢/١٢.

(٢) المرجع السابق ١٦٦/١٢.

(٣) المنتظم لابن الجوزي ٢٨٤/١٠.

(٤) شذرات الذهب لعبد الحي الحنبلي ٣٢٩/٤.

(٥) المنتظم لابن الجوزي ٢٤٣/١٠.

(٦) هو محمد ابن أحمد ابن عثمان ابن قايماز التركماني الذهبي الإمام المؤرخ المحدث المحقق صاحب تاريخ الاسلام وسير اعلام النبلاء وغير ذلك من المصنفات المفيدة النافعة ولد بدمشق سنة ٦٧٣ هـ وبدا طلب العلم وعمره ثمانية عشر عاماً واستغرق كل حياته بعد ذلك ورجل في طلب العلم حتى صار إمام في العلم وشيخ في الجرح والتعديل توفي يوم الاثنين الثالث من ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بدمشق. انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٦٢/١.

بعض الأوقات مائة ألف. وهذا لا أعتقده أنا، على أنه قد قال هو ذلك. وقال غير مرة: إن مجلسه حزر بمائة ألف^(١).

ثالثاً: الفتيا

قال ابن الجوزي: جاءت فتوى في عبد وأمة كانا لرجل اعتقهما وزوج الرجل بالمرأة، فبقيت معه عشرين سنة، وجاءت منه بأربعة أولاد، ثم بان الآن أنها أخته لأبيه وأمه، ومذ عرفا ذلك أخذوا في البكاء والنحيب، فتعجبت من ذلك، وأعلمتهما أنه لا إثم فيما مضى، والعدة تلتزمها، ويجوز أن ينظر إليها بعد أن فارقتها نظره إلى أخته، إلا أن يخاف على نفسه فيلزمه البعد عنها. وسأله سائل: أيجوز أن أفسح لنفسي في مباح الملاهي؟ فقال: عند نفسك من الغفلة ما يكفيها فلا تشغلها بالملاهي، وسئل يوماً: ما تقول في الغناء. فقال: أقسم بالله لهو لهو^(٢)، وقال له قائل: أيما أفضل أسبح أو أستغفر قال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور^(٣)، وسأله شخص في المفاضلة بين أبي بكر وعلي، رضي الله عنهما وهو على الكرسي في مجلس وعظه، فقال: أفضلهما من كانت ابنته تحته، ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك، فقالت السنة: هو أبو بكر؛ لأن ابنته عائشة رضي الله عنها تحت رسول الله ﷺ، وقالت الشيعة: هو علي؛ لأن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ تحته^(٤).

رابعاً: نصحه للخليفة

قال ابن الجوزي: في يوم عاشوراء حضر أمير المؤمنين المستضيء^(٥) فقلت: لو أنني

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٩١/٤٢.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ١٧٢/١.

(٣) تاريخ الاسلام للذهبي ٢٩٣/٤٢.

(٤) وفيات الاعيان لابن خلكان ١٤١/٣.

(٥) سنأتي ترجمته في ذكر عصر الإمام ابن الجوزي.

مثلت بين يدي السدة الشريفة لقلت يا أمير المؤمنين كن لله سبحانه مع حاجتك إليه كما كان لك مع غناه عنك إنه لم يجعل أحدا فوقك، فلا ترض أن يكون أحدا أشكر منك، فتصدق يومئذ أمير المؤمنين عقيب المجلس بصدقات وأطلق محبوسين^(١). ومما حكيت له أن الرشيد^(٢) قال لشييان^(٣): عظني، فقال: يا أمير المؤمنين؛ لأن تصحب من يخوفك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى يدركك الخوف قال: فسّر لي هذا قال: من يقول لك أنت مسؤول عن الرعية فاتق الله، أنصح لك ممن يقول أنتم أهل بيت مغفور لكم، وأنتم قرابة نبيكم، فبكى الرشيد حتى رحمه من حوله، وقلت له في كلامي يا أمير المؤمنين إن تكلمت خفت منك، إن سكت خفت عليك، فأنا أقدم خوفي عليك لمحبتتي لك على خوفي منك^(٤). وقال له: يا أمير المؤمنين كان عمر ابن الخطاب يقول: إذا بلغني عن عامل لي أنه ظلم فلم أغیره فأنا الظالم، يا أمير المؤمنين كان يوسف لا يشبع في زمن القحط حتى لا ينسى الجائع، وكان عمر يضرب بطنه عام الرمادة ويقول قرقرا ولا تفرقرا، والله لا ذاق عمر سمننا ولا سميننا حتى يخصب الناس. قال: فبكى المستضى وتصدق بمال كثير، وأطلق المحابيس وكسى خلقا من الفقراء^(٥).

(١) المنتظم لابن الجوزي ٢٨٣/١٠.

(٢) هو الخليفة، أبو جعفر هارون ابن المهدي محمد ابن المنصور أبي جعفر عبد الله ابن محمد ابن علي ابن عبد الله ابن عباس الهاشمي، العباسي. استخلف بعهد معقود له بعد الهادي من أبيهما المهدي، في سنة سبعين ومائة، بعد الهادي. كان من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، ذا حج، وجهاد، وغزو، وشجاعة، ورأي. وكان مولده: بالري، في سنة ثمان وأربعين ومائة. قيل: إنه كان يصلي في خلافته في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات، ويتصدق بألف، وكان يحب العلماء، ويعظم حرمان الدين، ويبغض الجدل والكلام، ويبكي على نفسه ولهوه وذنوبه، لا سيما إذا وعظ. توفي سنة ثلاث ومائتين. انظر: سير اعلام النبلاء ٣٠٣/١٧.

(٣) هو شييان ابن فروخ أبو محمد الحبطي المحدث، الحافظ، الصدوق، أبو محمد الحبطي مولاهم، الأبلي، البصري، مسند عصره. ولد: سنة أربعين ومائة. وكان من أوعية العلم. حدث عنه: مسلم، وأبو داود، مات: سنة ست وثلاثين ومائتين انظر: سير اعلام النبلاء للذهبي ١١٦/٢١.

(٤) المنتظم لابن الجوزي ٢٨٥/١٠.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير ٢٦/١٣.

سادساً: شعره

وله أشعار حسنة كثيرة، ومما قال:

سلام على الدار التي لا نزورها. . . على أن هذا القلب فيها أسيرها
إذا ما ذكرنا طيب أيامنا بها. . . توقد في نفس الذكور سعيها
رحلنا وفي سر الفؤاد ضمائر. . . إذا هب نجدي الصبا يستثيرها
ترفق رفيقي، هل بدت نار أروضهم. . . أم الوجد يذكي ناره ويثيرها
أعد ذكرهم فهو الشفا وربما. . . شفى النفس أمر ثم عاد يضيرها
ألا أين أيام الوصال التي خلت. . . وحيث خلت حلت وجاء مريها
سقى الله أياماً مضت ولياليا. . . توضع رياها وفاح عبيرها

وقال: الله أسأل أن يطول مدتي. . . وأنال بالإنعام ما في نيتي

لي همة في العلم ما من مثلها. . . وهي التي جنت النحول هي التي
حلفت من الفلق العظيم إلى المنى. . . دعيت إلى نيل الكمال فلّبت
كم كان لي من مجلس لو شبهت. . . حالاته لتشبهت بالجنّة
اشتاقه لما مضت أيامه. . . عللاً تعذر ناقة إن حنت^(١)

وقال:

يا صاحبي إن كنت لي أو معي. . . فعج إلى وادي الحمى نرتعي
وسل عن الوادي وسكانه. . . وأنشد فؤادي في ربي المجمع
واسمع حديثاً قد روته الصبا. . . تسنده عن بانه الأجرع
وابك فما في العين من فضلة. . . ونب فدتك النفس عن مدمعي
وأنزل على الشيخ بواديهم. . . واشمم عشب البلاد البلقع^(٢).

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ١/١٧٣.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ١٠/٢٤٦.

أيام الحنة

في سنة ٥٩٠ هـ كان الوزير ابن يونس الحنبلي^(١) قد عقد مجلساً للركن عبد السلام الجيلي^(٢)، وأحرقت كتبه، وكان فيها من الزندقة وعبادة النجوم شيء كثير، وانتزع الوزير منه مدرسة جده، وسلمها إلى ابن الجوزي. فلما ولي الوزارة ابن القصاب^(٣) - وكان رافضياً خبيثاً -، سعى في القبض على ابن يونس، وتتبع أصحابه، فقال له الركن: أين أنت عن ابن الجوزي فإنه ناصبي ومن أولاد أبي بكر، فهو من أكبر أصحاب ابن يونس، وأعطاه مدرسة جدي، وأحرقت كتبي بمشورته. فكتب ابن القصاب إلى الخليفة الناصر، وكان الناصر له ميل إلى الشيعة، فأمر بتسليمه إلى الركن عبد السلام، فجاء إلى دار

(١) عبد الله ابن يونس ابن أحمد ابن عبيد الله ابن هبة الله البغدادي الأزجي الفقيه الفرضي الأصولي المتكلم الوزير، وزير الخليفة الناصر جلال الدين أبو المظفر ابن أبي منصور ابن أبي المعالي: كان والده وكيلاً لأم الخليفة الناصر. وكان ذا صدقات وإفضال على العلماء. سمع من ابن الحصين، وأبي منصور القزاز، وحدث. وحج في آخر عمره، فتمتع عملاً بالمذهب. وعاد ولزم بيته. ونابه ولده، وتوفي في محرم سنة إحدى وثمانين وخمسائة. وشيعه الأعيان، ودفن بالمدائن إلى جانب قبر حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه. ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١٥٩/١.

(٢) عبد السلام ابن عبد الوهاب ابن عبد القادر ابن أبي صالح الجيلي البغدادي، ويلقب بالركن ولد ليلة ثامن ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وخمسائة. وكان أديباً، كياساً عارفاً بالمنطق، والفلسفة، والتنجيم، وغير ذلك من العلوم الرديئة، لم يفتأ غير ضابط لله، ولا مشكوراً في طريقته وسيرته، يرمي بالفواحش والمنكرات، وقد جرت عليه محنة في أيام الوزير ابن يونس، واستدعى ابن يونس - وهو يومئذ أستاذاً لدار العلماء، والفقهاء، والقضاة، والأعيان فأمر بإحراق كتبه، فجلس قاضي القضاة والعلماء، وابن الجوزي معهم على سطح مسجد مجاور لجامع الخليفة يوم الجمعة وأضرموا تحت المسجد ناراً عظيمة، وخرج الناس من الجامع، فوقفوا على طبقاتهم، والكتب على سطح المسجد، ثم حكم القاضي بتفسيق عبد السلام، ورمى طيلسانه، وأخرجت مدرسة جده من يده، ويد أبيه عبد الوهاب، وفوضت إلى الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢١١/١.

(٣) هو مؤيد الدين أبي عبد الله محمد ابن علي المعروف بابن القصاب، خلع الوزارة، وحكم في الولاية، وبرز وسار إلى بلاد خوزستان؛ وولي الأعمال بها، ثم جهز العساكر وسار إلى خوزستان، فوصلها سنة إحدى وتسعين وخمسائة وجرى بينه وبين أصحاب البلاد مراسلات ومحاربة عجزوا عنها، وملك مدينة تستر في المحرم، وملك غيرها من البلاد، وملك القلاع والري، ولقي من الخليفة قبولاً، فجعله نائب الوزارة، ثم جعله وزيراً، وحكمه وجعل ابنه صاحب المخزن. ثم عزل، وأغلق بابه، وكان سبب عزله أنه أساء السيرة مع أكابر مماليك الخليفة، ثم أمنه الخليفة على نفسه وماله وعاش قريباً منه وتوفي سنة ٥٩٢ هـ، الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي ابن أبي الكرم محمد ابن محمد ابن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط/١: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ٢٧٨/٥.

الشيخ وشمته، وأغظ عليه وختم على كتبه وداره، وشتت عياله، فلما كان في أول الليل حمل في سفينة وليس معه إلا عدوه الركن، فأحدر إلى واسط^(١)، فأقام خمسة أيام ما أكل طعاماً، وهو يومئذ ابن ثمانين سنة، فلما وصل إلى واسط أنزل في دار وحبس بها، وحصل عليها بواب، فكان يخدم نفسه ويغسل ثوبه ويطبخ، ويستقي الماء من البئر، فبقي كذلك خمس سنين، وكان يقول: قرأت بواسطة مدة مقامي بها كل يوم ختمة، ما قرأت فيها سورة يوسف من حزني على ولدي يوسف وشوقي إليه، وكان يكتب إلى بغداد أشعاراً كثيرة^(٢)، وكان بعض الناس يدخلون عليه، ويستمعون منه، ويملي عليهم. وبقي على ذلك من سنة تسعين إلى سنة خمس وتسعين، فأفرج عنه، وقدم إلى بغداد وخرج خلق كثير يوم دخوله لتلقيه، وفرح به أهل بغداد فرحاً زائداً، وكان السبب في الإفراج عن الشيخ أن أم الخليفة كانت تتعصب للشيخ أبي الفرج فشفت فيه عند ابنها الناصر، حتى أمر بإعادة الشيخ، فعاد إلى بغداد، وخلع عليه، وجلس عند تربة أم الخليفة للوعظ^(٣).

مذهبه العقدي والفقي:

عقيدته عقيدة أهل السنة والجماعة دعا إليها وكتب لها، ومذهبه في الفقه مذهب الإمام أحمد كان ينظر له ويدافع عنه، قال له قائل: ما فيك عيب إلا أنك حنبلي فأنشده:

وعيرني الواشون أني أحبها * * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ثم قال هذا عيبي ولا عيب وأنشده:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * * بهن فلول من قراع الكتائب^(٤)

وكان الشيخ رحمه الله يظهر في مجالسه مدح السنة، والإمام أحمد وأصحابه^(١).

(١) نيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ١/١٧٤.

(٢) سير اعلام النبلاء الذهبي ٤٢/٢٩٥، البداية والنهاية لابن كثير ١٣/١٣-٢٣.

(٣) نيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ١/١٧٤-١٧٥.

(٤) المقصد الارشد لابن مفلح ٢/٩٥، نيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ١/١٦٤.

المطلب الرابع

وفاته، وثناء العلماء عليه، وآثاره العلمية

وفاته:

كان - رحمه الله - قد أوصى قبل موته بوصيتين: الأولى: إن تجمع براية أقلامه فكان شيئاً كثيراً ويسخن بها الماء ويغسل بها. الثانية: أوصى أن يكتب على قبره :

- يا كثير العفو يا من * كثرت ذنبي لديه
- جاءك المذنب يرجو الص * فح عن جرم يديه
- أنا ضيف وجزاء ال * ضيف إحسان إليه^(٢)

مرض خمسة أيام قبل موته وكانت وفاته في داره ليلة الجمعة بين العشاءين الثاني عشر من رمضان من سنة سبع وتسعين وخمسائة، وله من العمر سبع وثمانون سنة، فغسل كما أوصى^(٣)، وحملت جنازته على رؤوس الناس، وكان الجمع كثيراً جداً، ودفن بمقبرة الإمام أحمد ابن حنبل بباب حرب عند أبيه بالقرب من الإمام أحمد، وكان يوماً مشهوداً، غلقت الأسواق، وجاء الخلق، وصلى عليه ابنه علي اتفاقاً، لأن الأعيان لم يقدروا من الوصول إليه، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور، فصلوا عليه، وضاق بالناس، فلم يصل إلى حفرته بمقبرة أحمد إلى وقت صلاة الجمعة، وكان في تموز، وأفطر خلق، ورموا نفوسهم في الماء، حتى قيل: إنه أفطر جماعة من الناس من كثرة الزحام وشدة

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ١٦٤/١.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٢٨/٧ وقد ذكره أبو العباس ابن الخطيب في الوفيات فقال: -وفي سنة تسع وتسعين وخمسائة توفي الإمام أبو الفرج عبدالرحمن ابن علي ابن الجوزي الواعظ وهو ابن مائة وخمس عشرة سنة وابتدأ التأليف وهو ابن عشر سنين، انظر الوفيات لأبي العباس أحمد ابن حسن ابن علي ابن الخطيب، ت: عادل نويهض، دار الإقامة الجديدة بيروت، ط: ١٩٧٨م، ٣٠١/١.

(٣) الوافي بالوفيات للصفدي ٨٢/٦.

الحر، وأنزل في الحفرة، والمؤذن يقول الله أكبر، وحزن عليه الخلق وختم الناس الختمات على قبره طول رمضان على الشمع والقناديل^(١)، قال سبطه أبو المظفر: ومن العجائب أنا كنا بعد انقضاء العزاء يوم السبت عند قبره، وإذا بخالي محيي الدين قد صعد من الشط، وخلفه تابوت، فقلنا: نرى من مات، وإذا بها خاتون أم محيي الدين، وعهدي بها ليلة وفاة جدي في عافية، فعد الناس هذا من كراماته؛ لأنه كان مغرى بها^(٢).

ثناء العلماء عليه:

قيل عنه: هو الواعظ المتقن صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة في أنواع العلم من التفسير والحديث والفقه والزهد والوعظ والأخبار والتاريخ والطب، وغير ذلك، ووعظ من صغره وفاق فيه الأقران ونظم الشعر الملح وكتب بخطه ما لا يوصف ورأى من القبول والاحترام ما لا مزيد عليه وقال سبطه أبو المظفر: كان زاهداً في الدنيا متقللاً منها وما مازح أحدا قط ولا لعب مع صبي ولا أكل من جهة لا يتيقن حلها وما زال على ذلك الأسلوب إلى أن توفاه الله تعالى^(٣).

وقيل: له في كل علم مشاركة، لكنه كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين، ولديه فقه كاف، وأما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية^(٤). وقيل: الإمام ابن الجوزي شيخ العراق وإمام الآفاق^(٥)، وقيل: أبو الفرج ابن الجوزي الإمام العلامة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق^(٦)، وقيل: هو صاحب التصانيف

(١) الوافي بالوفيات للصفدي ٨٢/٦، وقال فيه وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين الثالث عشر من رمضان سنة سبع وتسعين وخمس مئة وقد قدمت رواية الديلمي كونه احد طلاب الإمام ابن الجوزي على أنه في ليلة الثاني والعشرين، انظر مختصر تاريخ الديلمي ٢٣٨/١.

(٢) سير اعلام النبلاء للذهبي ٣٧٩/٢١، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ١٦٧/١.

(٣) شذرات الذهب لعبد الحي الحنبلي ٣٢٩/٤.

(٤) سير اعلام النبلاء للذهبي ٣٧٨/٢١.

(٥) غاية النهاية لابن الجزري ١٦٦/١.

(٦) المسلسلات المختصرة للعلائي بتخريج الحافظ صلاح الدين أبي سعيد كيكليدي العلائي الشافعي ٢٦/٢.

التصانيف في فنون العلوم من التفسير والفقه والحديث والتواريخ وغير ذلك، وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه، والوقوف على صحيحه من سقيمه، وكان من أحسن الناس كلاماً، وأتمهم نظاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودهم بياناً^(١)، وقيل: برع في العلوم، وتفرد بالمنثور والمنظوم، وفاق على أدباء مصره، وعلا على فضلاء دهره. له التصانيف العديدة^(٢)، ومما قيل في رثائه:

لعلا أبي الفرج الذي بعد التقى. . . . والعلم يوم حواه هذا المضجع
ما زال منتصراً لمذهب أحمد. . . . بالحق والحجج التي لا تدفع
أجمال دين محمد مات التقى. . . . والعلم بعدك واستجم المجمع
وتزعزت لعظيم يومك حسرة. . . . صم الجبال وكيف لا تتصدع
قد كنت كهفاً للشريعة والهدى. . . . حبراً بألوان الهداية تلمع
يا قبره جادتك كل غمامة. . . . هطالة بركابه لا تقلع
فيك الصلاة مع الصلاة فته به. . . . وانظر به يا ويك ماذا تصنع
أقسمت لو كشف الغطا لرأيتمو. . . . وفد الملائك حوله تتسرع
ومحمد يبكي عليه وآله. . . . خير البرية والبطين الأنزع
والحور حور القدس حول ضريحه. . . . والأولياء بقبره تتضرع^(٣)

أما والدته فقد ظلت على قيد الحياة حيث سبقها إلى الموت بأيام، كان لابن الجوزي ثلاثة إخوة وأختان: عبد الله، وعبد الرزاق، ومحمد. أما الأختان، فقد شاركتة إحداهما في التلمذة على بعض شيوخه ولابن الجوزي أبناء ثلاثة: أبو بكر عبد العزيز، وهو أكبرهم، تفقه على مذهب أحمد مات مسموماً بالموصل سنة أربع وخمسين مات شاباً في حياة والده، ثم أبو القاسم علي، وكانت طريقته غير مرضية، وهجره أبوه سنين توفي سنة

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٧٣/٢١.

(٢) المرجع السابق ٢٩٦/٤٢.

(٣) الوافي بالوفيات للصفدي ٨٢/٦-٨٣.

ثلاثين وستمائة. وله ثمانون سنة، وقد كان عاقا لوالده، ألب عليه في زمن المحنة وغيرها، وقد تسلط على كتبه في غيبته بواسطة فباعها بأبخس الأثمان، ثم أبو محمد محي الدين يوسف وكان أنجب أولاده وأصغرهم ووعظ بعد أبيه، ثم باشر حسبة بغداد، ثم صار رسول الخلفاء إلى الملوك بأطراف البلاد، ثم صار أستاذ دار الخليفة المستعصم، وكان له بنات: شرف النساء، وزينب، وجوهرة، وست العلماء الصغيرة ورابعة أم سبطه أبي المظفر صاحب مرآة الزمان^(١).

آثاره العلمية:

قال أبو الفرج: أول ما صنفت وألفت ولي من العمر نحو ثلاث عشرة سنة^(٢). وقيل: "وجد بخطه تصنيف له في الوعظ، ذكر أنه صنف سنة ثمان وعشرين وخمسائة، وقال: ولي من العمر سبع عشرة سنة"^(٣)، وسئل عن عدد تصانيفه، فقال: زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفا منها ما هو عشرون مجلدا وأقل. وقال الذهبي: ما علمت أن أحدا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل^(٤)، ولم يترك فناً من الفنون إلا وله فيه مصنف، كان أوحده زمانه، وما أظن الزمان يسمح بمثله^(٥)، وقيل: وجد بخطه قبل موته أن تواليه بلغت مئتين وخمسين تأليفاً، وقيل: نيفت تصانيفه على الثلاث مائة^(٦)، قال ابن الديبشي: لا أعرف أحداً له تصانيف موجودة أكثر من ابن الجوزي في فنون العلم ورأيت أسماءها مفردة في كراس^(٧)، من مصنفاته:

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ١/١٧٦، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤١/٣٥٩، انظر الايوبيون بعد

صلاح الدين ١/١٨٤ للدكتور علي محمد الصلابي.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ١/١٧٠.

(٣) المرجع السابق ١/١٦٣.

(٤) شذرات الذهب لعبدالحى الحنبلي ٤/٣٣١.

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٢/٢٩٦.

(٦) المرجع السابق ٢١/٣٦٨.

(٧) مختصر تاريخ الديبشي ١/٢٣٨.

- ١- المغني في التفسير كبير، ثم اختصره في أربع مجلدات، وسماه: زاد المسير.
 - ٢- تذكرة الأريب في اللغة مجلد، ٣- الوجوه والنظائر مجلد، ٤- فنون الافنان مجلد
 - ٥- جامع المسانيد سبع مجلدات وما استوعب ولا كاد، ٦- الحقائق مجلدان،
 - ٧- نقي النقل مجلدان، ٨- عيون الحكايات مجلدان، ٩- التحقيق في مسائل الخلاف
 - مجلدان، ١٠- مشكل الصحاح أربع مجلدات، ١١- الموضوعات مجلدان، ١٢-
 - الواهيات مجلدان، ١٣- الضعفاء مجلد، ١٤- تلقيح الفهوم مجلد، ١٥- المنتظم في
 - التاريخ عشرة مجلدات، ١٥- المذهب في المذهب مجلد، ١٦- الانتصار في الخلافات
 - مجلدان، ١٧- مشهور المسائل مجلدان، ١٨- اليواقيت وعظ، مجلد، ١٩- نسيم السحر
 - مجلد، ٢٠- المنتخب مجلد، ٢١- المدهش مجلد، ٢٢- صفوة الصفوة أربع مجلدات^(١).
- إلى غير ذلك مما ذكرها الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء^(٢).

قيل: وأكثر هذه التصانيف متداخل بعضه في بعض، فإنه كان إذا جمع كتاباً كبيراً اختصر منه كتاباً أوسط، ثم اختصر من الأوسط كتاباً أصغر، ولم يزل يصنف ويكتب إلى أن مات^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٦٨/٢١-٣٦٩.

(٢) المرجع السابق ٣٧٤/٢١ وقد كتب الأستاذ عبد الحميد العلوجي العراقي كتاباً باسم "مؤلفات ابن الجوزي" وقد جمع فيه أسماء مؤلفات ابن الجوزي في شتى الفنون، ورتبها على حروف المعجم مع ذكر ما طبع منها وأماكن وجود المخطوطة منها، وقد وصلت عدد تلك الكتب عنده بأسمائها المختلفة حوالي (٣٧٦) كتاباً ما بين مطبوع ومخطوط. أرشيف ملتقى أهل الحديث - ٢. ٣٥٢/١٣.

(٣) الوافي بالوفيات للصفدي ٨٢/٦.

المبحث الثاني

التعريف بعصر الإمام ابن الجوزي

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الحالة السياسية لعصر الإمام ابن الجوزي

المطلب الثاني: الحالة الدينية والعلمية لعصر الإمام ابن الجوزي

المطلب الثالث: الحالة الاجتماعية لعصر الإمام ابن الجوزي

المطلب الأول

الحالة السياسية لعصر الإمام ابن الجوزي

ولد وعاش الإمام ابن الجوزي في بغداد في القرن السادس في خلافة ابني العباس، وكان قريبا من بعض الخلفاء والوزراء، وعاصر كثيرا من العلماء، وعاش كثيرا من الأحداث، وراسل بعض السلاطين، وسنقف عند خلفاء ابني العباس الذين عايشهم الإمام ابن الجوزي، وبعض الأحداث التي وقعت في حياته:

الأول: المستظهر بأمر الله أبو العباس أحمد ابن المقتدي بالله (٤٨٧ - ٥١٢):

توفي أبوه فجأة فبويع له بالخلافة يوم السبت خامس عشر المحرم، من الأمراء والرؤساء، وله من العمر ست عشرة سنة وشهران، وكان كريم الأخلاق حافظا للقرآن فصيحاً بليغاً شاعراً^(١)، وكان خيرا فاضلا ذكيا، وكانت أيامه ببغداد كأنها الأعياد، وكان راغبا في البر والخير، مسارعا إلى ذلك، لا يرد سائلا، وكان جميل العشرة لا يصغي إلى أقوال الوشاة من الناس، ولا يثق بالمباشرين، وقد ضبط أمور الخلافة جيدا، وكان لديه علم كثير^(٢). مرض بالتراقي^(٣) ثلاثة عشر يوما وتوفي ليلة الخميس سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة وكان عمره إحدى وأربعين سنة وستة أشهر وسبعة أيام وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما، ولما توفي صلى عليه ابنه المسترشد بالله، ودفن في حجرة له كان يألفها^(٤). وقد ولد الإمام ابن الجوزي في خلافته.

الثاني: المسترشد بالله أبو منصور الفضل ابن المستظهر بالله (٥١٢ - ٥٢٩):

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٦/ ١٢٨.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٩/ ٢٠٠.

(٣) التراقي: مرض يصيب الترقوة؛ وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر.

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤/ ٤٤٤.

كانت بيعته بكرة الخميس الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة فبايعه اخوته وعمومته والفقهاء والقضاة وأرباب الدولة لما توفي أبوه، وخطب له على المنابر^(١). وفي سنة ٥٢٩ هـ اختلف الخليفة مع السلطان مسعود^(٢)، فعزم السلطان دخول بغداد واسقاط الخليفة وفي يوم الاثنين عاشر رمضان التقى الجمعان هرب جميع العسكر الذين كانوا مع الخليفة المسترشد، وأسِرَ المسترشد وأصحابه وأُخذ ما كان معه من الأموال^(٣). وترددت الرسل في الصلح وتقرير القواعد على مال يؤديه الخليفة، فأجاب السلطان إلى ذلك، وفارق الخليفة بعض من كان موكلاً به، وكانت خيمته منفردة عن العسكر، فقصده أربعة وعشرون رجلاً من الباطنية ودخلوا عليه فقتلوه، وقتل معه نفر من أصحابه وكان قتله يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة^(٤)، وكان شجاعاً مقداماً بعيد الهمة فصيحاً بليغاً، عذب الكلام حسن الإيراد، مليح الخط، كثير العبادة محبباً إلى العامة والخاصة، وهو آخر خليفة رئي خطيباً، قتل وعمره خمس وأربعون سنة وثلاثة أشهر، وخلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين ويوماً^(٥).

الثالث: الراشد بالله أبو جعفر منصور ابن المسترشد بالله (٥٢٩ - ٥٣٠):

في يوم الخميس السابع عشر من ذي القعدة من سنة تسع وعشرين وخمسمائة، كتب السلطان مسعود أن يبايع الراشد، فبايعه الناس والأعيان، وخطب له على المنابر ببغداد

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٧١/١٢

(٢) هو أبو الفتح مسعود ابن محمد ابن ملكشاه السلجوقي نشأ بالموصل ، استقل بالسلطنة عام ٥٢٨ و قدم بغداد ، كان عادلاً لئناً وما ناوأه أحد إلا ظفر به، وقتل خلقاً من كبار الأمراء والخليفتين الراشد والمسترشد، كان حسن الخلق غفياً عن أموال الرعية، اتسع ملكه وكان يميل إلى العلماء و الصالحين، مات في جمادي الآخرة سنة سبع واربعين وخمس مائة. انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٩٧/٣٩.

(٣) المنتظم لابن الجوزي ٤٥/١٠.

(٤) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٢/٥.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير ١٩٥/١٢.

بالخلافة وكان ببغداد حين قتل أبوه المسترشد^(١).

وفي سنة ثلاثين وخمسمائة أرسل السلطان إلى الخليفة يطلب منه ما كان كتبه له والده المسترشد حين أسره، التزم له بأربعمائة ألف دينار، فامتنع من ذلك وقال: ليس بيننا وبينكم إلا السيف، فوقع بينهما الخلف، فاستجاش السلطان بالعساكر، ودخل إلى بغداد، فاستحوذ على دار الخلافة بما فيها^(٢)، واستدعى السلطان بعمه المقتفي ابن المستظهر، فبوع بالخلافة عوضاً عن ابن أخيه الراشد بالله^(٣).

الرابع: المقتفي لأمر الله أبو عبدالله محمد ابن المستظهر بالله (٥٣٠ - ٥٥٥):

بوع بالخلافة بعد خلع الراشد بيومين وله من العمر يومئذ أربعون سنة، وخطب له على المنابر يوم الجمعة لعشرين من ذي القعدة، ولقب بالمقتفي؛ لأنه يقال: إنه رأى رسول الله ﷺ وهو في المنام وهو يقول له سيصل هذا الأمر إليك فاقتف بي، فصار إليه بعد ستة أيام فلقب بذلك^(٤).

كان حليماً كريماً عادلاً حسن السيرة من الرجال ذوي الرأي والعقل الكثير، وهو أول من استبد بالعراق منفرداً عن سلطان يكون معه، وأول خليفة تمكن من الخلافة وحكم على عسكره وأصحابه، وكان شجاعاً مقداماً مباشراً للحروب بنفسه، مرض بعلة التراقي وتوفي وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوماً^(٥).

الخامس: المستجد بالله أبو المظفر يوسف ابن المقتفي (٥٥٥ - ٥٦٦):

بوع بعد موت أبيه المقتفي في صبيحة يوم الأحد ثاني ربيع الأول سنة ٥٥٥هـ، بايعه

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢٥٩/١٢.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٧/٥ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٢٦٠/١٢.

(٤) المرجع السابق ١٩٧/٦.

(٥) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٧٦/٥.

أشرف ابني العباس، وأهله وأقاربه ثم بايعه الوزير وقاضي القضاة وأرباب الدولة والعلماء ثم خطب له يوم الجمعة على المنابر ونثرت الدنانير والدرهم^(١)، وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وشهراً وستة أيام، وكان أسمرًا، تام القامة، طويل اللحية، وكان سبب موته أنه مرض واشتد مرضه فمات^(٢).

قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام منذ خمس عشرة سنة، فقال لي يبقى أترك في الخلافة خمس عشرة سنة، فكان كما قال^(٣). وعظم شأن الشيخ ابن الجوزي عنده وخلع^(٤) عليه خلعة مع غيره من الأكابر، وأذن له في الجلوس بجامع القصر، قال: فتكلمت وكان يحزر جمع مجلسي على الدوام بعشرة آلاف، وخمسة عشر ألفاً^(٥).

السادس: المستضيء بالله أبو محمد الحسن ابن يوسف المستنجد (٥٦٦ - ٥٧٥):

ببيع يوم توفي أبيه المستنجد البيعة الخاصة ببايعه أهل بيته جلس بكرة الأحد تاسع ربيع الآخر في التاج، فبايعه الناس وصلى على المستنجد. قال ابن الجوزي: ونودي برفع المكوس، وردت مظالم كثيرة وأظهر من العدل والكرم ما لم نره من أعمارنا، وجلس لعزاء المستنجد ثلاثة أيام، وتكلمت في تلك الأيام وفرق الإمام المستضيء بأمر الله ما لا عظيمًا على الهاشميين والعلويين والعلماء والأربطة، وكان دائم البذل للمال ليس له عنده وقع، وخلع على أرباب الدولة والقضاة والجند وجماعة من العلماء^(٦). وفي خلافته قوي اتصال الشيخ أبي الفرج، وصنف له الكتاب الذي سماه المصباح المضيء في دولة المستضيء، وصنف كتابًا آخر لما خطب للمستضيء بمصر، وانقطع أثر العبيديين

(١) المنتظم لابن الجوزي ١٩٢/١٠ والبداية والنهاية لابن كثير ٢٢٦/٦.

(٢) تاريخ أبي الفداء ٢٧٦/٢.

(٣) المنتظم لابن الجوزي ١٩٣/١٠.

(٤) الخلع العطاء والخلعة خيار المال.

(٥) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ١٦٤/١.

(٦) المنتظم لابن الجوزي ٢٣٣/١٠.

عنها، سماه: النصر على مصر، وعرضه عليه، وحضر عنده، ثم أذن له أن يجلس للوعظ بحضرة الخليفة، وأعطاه مالاً^(١).

وكان عادلاً حسن السيرة في الرعية، كثير البذل للأموال، غير مبالغ في ما جرت العادة في أخذه، وكان الناس معه في أمن عام وإحسان شامل، وطمانينة وسكون، لم يروا مثله، وكان حليماً قليل المعاقبة على الذنوب، محباً للعفو والصفح عن المذنبين، فعاش حميداً، ومات سعيداً ﷺ^(٢). وكان مرضه بالحمى ابتداءً فيها يوم عيد الفطر، ولم يزل الأمر يتزايد به حتى استكمل في مرضه شهراً، ومات سلخ شوال، وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وكانت مدة خلافته تسع سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً، وغسل وصلي عليه من الغد، ودفن بدار النصر التي ابناها، وذلك عن وصيته التي أوصاها^(٣).

السابع: الناصر لدين الله أبو العباس أجمد ابن المستضيء (٥٧٥ - ٦٢٣):

خطب له في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال، وكان يوماً مشهوداً نثر الذهب فيه على الخطباء والمؤذنين، ومن حضر ذلك، عند ذكر اسمه على المنبر، وبإيعه الأمراء والوزراء والكبراء والخاصة والعامة، وكان ذكياً شجاعاً مهيباً^(٤)، وكانت خلافته ستاً وأربعين سنة وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً، وكان عمره نحو سبعين سنة تقريباً، فلم يل الخلافة أطول مدة منه، وفي آخر الأمر أصابه المرض عشرين يوماً ومات، وكان قبيح السيرة في رعيته، ظالماً، فخرّب في أيامه العراق، وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أملاكهم وأموالهم^(٥). وفي خلافته توفي الإمام أبي الفرج ابن الجوزي رحمه الله.

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ١/١٦٤.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٥/١٤٥.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٢/٢٨٤.

(٤) المرجع السابق ٦/٢٨٤.

(٥) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٥/٣٣٢.

أهم الأحداث التي وقعت في حياة الإمام ابن الجوزي:

عايش الإمام ابن الجوزي أحداثاً عظيمة في العالم الإسلامي ثلاث قوى في المنطقة الأولى: الدولة العباسية والتي مثلت رمزية العالم الإسلامي وكانت تشكو من الضعف و الانقسام . والثانية: الدولة الفاطمية: وكانت عاصمتها مصر وقد قامت على التشيع والغلو وقسمت العالم الاسلامي وظلت حروباً قائمة مع العباسيين قروناً. الثالثة: الامارات الصليبية: والتي غرست في قلب العالم الاسلامي في بلاد الشام وقد جرت أحداث بين هذه القوى في حياة الامام ابن الجوزي أهمها:

الأولى: سقوط الدولة الفاطمية وذلك حينما أرسل الملك نور الدين محمود زنكي^(١) جيشاً بقيادة صلاح الدين^(٢) وفي أول جمعة من محرم سنة ٥٦٧ هجرية أمر صلاح الدين بإقامة الخطبة لبني العباس وانقضت الدولة الفاطمية^(٣).

قال ابن الجوزي: وقد صنفت كتاباً في هذا النصر على مصر وعرضته على المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين^(٤).

(١) هو نور الدين محمود ابن محمود ابن زنكي التركي صاحب الشام، الملك العادل، نور الدين، ناصر أمير المؤمنين، تقي الملوك، ليث الإسلام، حامل رايتي العدل والجهاد، قل أن ترى العيون مثله، حاصر دمشق، ثم تملكها، وأظهر السنة بحلب، وقمع الرافضة. كان بطلاً، شجاعاً، وافر الهيئة، حسن الرمي، مليح الشكل، ذا تعبد وخوف وورع، وكان يتعرض للشهادة، قال ابن الأثير: لم يكن في ملوك الإسلام بعد عمر ابن عبد العزيز مثل الملك نور الدين ولا أكثر تحرياً للعدل والإتصاف منه، توفي سنة تسع وستين وخمسائة انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٥٤/٤٠، والبداية والنهاية لابن كثير ٤٩١/١٦.

(٢) هو صلاح الدين أبو المظفر يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب ابن شاذي ابن مروان الدويني التكريتي ولد سنة اثنين وثلاثين وخمس مائة وأبوه متولي تكريت بعثه نور الدين مع عمه أسد الدين شيركوه في عسكره على مصر فتوفي عمه فقام بعده صلاح الدين وقهر ابني عبيد ومحا دولتهم واستولى على قصر القاهرة بما حوى وكانت دولته نيفاً وعشرين سنة وتملك بعد نور الدين واتسعت بلاده وفتح بيت المقدس توفي بقلعة دمشق يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمس مائة، انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٢٧٠/٤١.

(٣) الروضتين لابي شامة ٢٠٨/١.

(٤) المنتظم لابن الجوزي ١٨ / ١٩٦.

الثانية: وفاة الملك نور الدين قال ابن الجوزي: ولي الشام سنين وجاهد الثغور وانتزع من ايدي الكفار نيفا وخمسين مدينة وحصن وكان سيرته اصلح من كثير من الولاة والمحامد له كثيرة وكان يتدين بطاعة الخلافة وترك المكوس قبل موته وبعث جنودا افتتحو مصر وكان يميل الى التواضع ومحبة العلماء واهل الدين وكاتبني مرارا وعزم على فتح بيت المقدس فوافته المنية في شوال سنة ٥٦٩ وكانت ولايته ثمانية وعشرين سنة واشهر^(١).

الثالثة: معركة حطين في سنة ٥٨٣ هجرية قال ابن كثير: جاء السلطان صلاح الدين بجحافل فالتفت عليه جميع العساكر، فرتب الجيوش ، وكان جملة من معه من المقاتلة اثني عشر ألفا غير المتطوعة، فتسامعت الفرنج بقدمه فاجتمعوا وكانوا خمسين ألفا وقيل ثلاثا وستين ألفا، فتقدموا نحو المسلمين وأقبل السلطان فحملوا وكان النصر من الله عز وجل، فمنحهم الله أكتافهم فقتل منهم ثلاثون ألفا في ذلك اليوم، وأسر ثلاثون ألفا من شجعانهم وفرسانهم، وكان في جملة من أسر جميع ملوكهم^(٢).

الرابعة: فتح بيت المقدس في سنة ٥٨٣ بعد اثنين وتسعين عاماً من احتلاله أمر السلطان صلاح الدين العساكر فاجتمعت ثم سار نحو بيت المقدس، ودخل السلطان والمسلمون البلد يوم الجمعة قبل وقت الصلاة بقليل، وذلك يوم السابع والعشرين من رجب وهي ليلة الاسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى^(٣).

الخامسة: وفاة السلطان صلاح الدين في سنة ٥٨٩ مرض في ٢٧ صفر جاء القاضي الفاضل فنزل عليه وهو في آخر رمق، فلما قرأ القارئ ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ التوبة: ١٢٩ تبسم وتهلل وجهه وأسلم روحه إلى ربه سبحانه، ومات وكان له من العمر سبع وخمسون سنة^(٤).

(١) المنتظم لابن الجوزي ١٠/٢٤٩.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٦/٢٩٨.

(٣) المرجع السابق ٦/٣٠٠ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٤١/٢٤ .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ١٣/٢.

المطلب الثاني

الحالة الدينية والعلمية لعصر الإمام ابن الجوزي

في خلافة المقتفي برز سوق الحنابلة وخصوصا عندما وصل الوزير الحنبلي ابن هبيرة إلى الوزارة عام ٥٤٤هـ وبرز عبدالقادر الجيلاني^(١)، وابن الجوزي الذي كان كثير الاتصال بالبلاط العباسي فكان واعظ السلطان، وظهر شخصية عبدالقادر الجيلاني كانت عاملا لتيار حنبلي على نسق صوفي، متجاوزة بذلك ما عرف في أدبيات المذهب الحنبلي من شك وريبة في أتباع الصوفية، وقد شن ابن الجوزي هجوما شديدا الوطأة على الصوفية في كتابه تلبيس إبليس الذي خصص معظمه للحديث عن صوفية بغداد، فقال: وقد يكون الرجل من الأولياء وأهل الجنة وله غلطات، فلا تمنع منزلته من بيان زلله، وقد شهدت هذه الفترة ابناء عدد من المدارس للحنابلة، منها مدرسة الوزير ابن هبيرة في باب البصرة، ومدرسة لعبد القادر الجيلاني، ومدرسة لابن الجوزي بدرج دينار وغيرها، وفي الفترة التي تلت حكم الوزير ابن هبيرة ظهر العديد من الرموز الحنبلية التي استطاعت توثيق علاقاتها بالسلطة العباسية، ومن أبرزهم أبو الفرج ابن الجوزي، الذي حاز على ثقة الخليفة المستجد، لكنه بلغ شأوا عظيما في زمن الخليفة المستضيء، والذي كتب كتاب سماه المصباح المضيء في دولة المستضيء، وتتفق الأدبيات الحنبلية على أن الشيخ قوي اتصاله بالخليفة المستضيء، حتى أنه أمر سنة ٥٧٤هـ بكتابة لوح على قبر الإمام أحمد مكتوب فيه " هذا قبر تاج السنة وحيد الأمة العالي الهمة العالم العابد الفقيه الزاهد الورع المجاهد العامل بكتاب الله وسنة رسول الله الإمام أبي عبد الله أحمد ابن حنبل الشيباني وحصل للشيخ أبي الفرج وللحنابلة التعظيم.

(١) ستاتي ترجمة ابن هبيرة والجيلاني عند ذكر العلماء المعاصرين له.

عُرف الخليفة الناصر بتناقضاته، وذكر المؤرخون عنه أنه كان قبيح السيرة في رعيته ظالما لهم، انقلب الناصر على النفوذ الحنبلي، فقرب ابن القصاب الوزير الشيعي الذي جهد في تتبع بقايا النفوذ الحنبلي، وساعد على التخلص من ابن الجوزي وكانت محنة ابن الجوزي تعبيرا عن محنة حنابلة بغداد، والذين لم يظهر فيهم بعد ابن الجوزي شخصية تمكنت من تعبئة الفراغ الذي تركه ابن الجوزي، وفي هذا الوقت برز علماء كبار مثلوا المذهب من أهل الشام مثل الحافظ عبدالغني المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠هـ، وآل تيمية في حران وآل المقدسي في دمشق^(١).

وقد ذكر الإمام ابن الجوزي صلته بالخليفة وخصوصا المستضيء بالله، وكلمته المسموعة عنده، عندما كان ابن هبيرة قد تولى الوزارة، وقد كثرت مراكز الحنابلة ومساجدهم لقرب الإمام ابن الجوزي من الخليفة، ومما ذكر:

في سنة ٥٤٢هـ وقفت الدار التي بشاطئ دجلة، آل أمرها إلى أن صارت ملكا لجهة الامام المستضيء بأمر الله، فوقفتها مدرسة لأصحاب أحمد ابن حنبل وسلمتها إلى من غير طلب كان مني، وكتب في كتاب فدرست فيها سنة سبعين وكتب على حائط المدرسة التي وقفتها الجهة وسلمتها إلي بخط القطاع في الآجر وقفت هذه المدرسة الميمونة الجهة المعظمة الشريفة الرحيمة في أيام سيدنا ومولانا الإمام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين على أصحاب الإمام أحمد ابن حنبل، وفوضت التدريس بها الى ناصر السنة أبي الفرج ابن الجوزي^(٢).

وأنشأ أمير المؤمنين مسجدا كبيرا في السوق عند عقد الجديد وتقدم بعمارته، فعمر عمارة فائقة وكسى وتقدم إلي، فصليت فيه بالناس التراويح ليلة وكان الزحام كثيرا فدخل على قلوب أهل المذهب ما شاء الله من الغم لكونه أضيف إلى الحنابلة وقد كان يرجف

(١) سنوات الحنابلة لعلي ابن محمد باخيل آل بابطين ٢٦٠.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٢٥٨/١٠.

به لغيرهم^(١). وجعل الناس يقولون لي: " هذا بسببك، فإنه ما ارتفع هذا المذهب عند السلطان حتى مال إلى الحنابلة إلا بسماع كلامك، فشكرت الله تعالى على ذلك"^(٢).

على أن هذا الحال لم يكن هو السائد مع كل الخلفاء، وقرب الإمام ابن الجوزي منهم بل كانت هناك أحداث تصور لنا صورة الخلاف بل الشقاق التي كانت تحدث بين الناس بسبب خلاف المذهب في المساجد، حيث كانت محددة لمذهب ما لا يتعداه غيره، وإن حصل ذلك يقع الخلاف ومما ذكر من هذا الخلاف:

في عام ٥٤٦ هـ جلس أحد فقهاء الشافعية في جامع المنصور، فقيل له: لا تفعل فإن أهل الجانب الغربي لا يمكنون إلا الحنابلة، فلم يقبل وحضر خلق كثير، فلما شرع في الكلام أخذته الصيحات من الجوانب ونفر الناس وضربوا بالآجر، فتفرق الناس منهزمين كل قوم يطلبون جهة وأخذت عمائم الناس وفوطهم وجذبت السيوف حوله وتجدد وثبت وسكن الناس وتكلم ساعة ونزل أرباب الدولة يحفظونه حتى انحدر وقد طار لبه^(٣).

في سنة ٥٦٩ هـ تكلم أحدهم فقال: إن ابن الملجم لم يكفر بقتل علي عليه السلام، فهاج الناس عليه ورموه بالآجر وخرج من المجلس والأترار يحفظونه، فلما كان في يوم مجلسه فرش له، فاجتمع الناس في الصحراء متأهبين لرجمه وجاءوا بقوارير النفط، فلم يحضر ومزق فرشه قطعاً وتقدم إليه أن لا يجلس ولا يخرج من رباطه وما زال أهل البلد على حنق عليه، ثم منع الوعاظ كلهم، ثم بعث إلى النائب في الديوان، فقال: قد تقدم إلى أن أتخيز ثلاثة أنت ورجل من الشافعية ورجل من الحنفية، وذلك في سادس صفر فتكلمنا وأطلق الوعاظ واحداً بعد واحد^(٤).

(١) المنتظم لابن الجوزي ٢٧٢/١٠.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ١٦٦/١.

(٣) المرجع السابق ١٤٥/١٠.

(٤) المرجع السابق ٢٤٢/١٠.

وقدم بغداد فقيه شافعي ووعظ، وكان يذم الحنابلة، وكثرت أتباعه، فأصابه إسهال، فمات هو وجماعة من أصحابه، فقيل: إن الحنابلة أهدوا إليه حلوى فمات هو وكل من أكل منها^(١).

بعض العلماء الذين عاصروا الإمام ابن الجوزي:

من الوزراء:

١- أبو المظفر عون الدين يحيى ابن محمد ابن هبيرة، الوزير للخلافة، قرأ القرآن وسمع الحديث، وكانت له معرفة جيدة بالنحو واللغة والعروض، وتفقه على مذهب الإمام أحمد، وصنّف كتباً جيدة مفيدة، من ذلك الإفصاح في مجلدات، شرح فيه الحديث وتكلم على مذاهب العلماء، وكان على مذهب السلف في الاعتقاد، وقد كان فقيراً لا مال له، ثم تعرّض للخدمة إلى أن وزر للمقتفي ثم لابنه المستنجد، وكان من خيار الوزراء وأحسنهم سيرة، وأبعدهم عن الظلم، وكان لا يلبس الحرير، وكان المقتفي يقول: ما وزر لابني العباس مثله، وكان المستنجد معجباً به، كان يعقد في داره للعلماء مجلساً للمناظرة يبحثون فيه ويناظرون عنده، يستفيد منهم ويستفيدون منه. مات فجأة، ويقال: إنه سمه طبيب فسم ذلك الطبيب بعد ستة أشهر، وكان الطبيب يقول: سمته فسمت، مات يوم الأحد الثاني عشر من جمادي الأولى ٥٦٠ هـ عن إحدى وستين سنة، وغسّله ابن الجوزي، وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير جداً، وغلقت الأسواق، وتباكى الناس عليه، ودفن بالمدرسة التي أنشأها بباب البصرة رحمه الله^(٢).

٢- القاضي الفاضل المولى الإمام العلامة البليغ، محيي الدين، يمين المملكة، سيد الفصحاء، أبو علي عبدالرحيم ابن علي ابن الحسن ابن الحسن ابن أحمد ابن المفرج

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير ١١٥/٥.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٣١٢/١٢.

اللخمي، الشامي، البيساني الأصل، العسقلاني المولد، المصري الدار، الكاتب، ولد يوم الاثنين نصف جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة بمدينة عسقلان، وتولى أبوه القضاء بمدينة بيسان، فلهذا نسبوا إليها، انتهت إليه براعة الترسل وبلاغة الإنشاء، وله في ذلك الفن اليد البيضاء، والمعاني المبتكرة، والباع الأطول، لا يدرك شأوه^(١)، ولا يشق غباره، وكتبه التي ملكها بلغت مائة ألف مجلد، وكان يحصلها من سائر البلاد وكان ذا دين وتقوى وتكشف مع الرياسة التامة والإغضاء والصفح والحلم والعفو والستر صاحب أورد من صلاة وصيام وغيرهما مع التمكن الزائد في الدولة وكان يختم كل يوم القرآن ويضيف إليه ما شاء الله وكان يدخل له في السنة نحو خمسين ألف مثقال من الذهب غير ما يدخل له من فوائد المتجر وكانت متاجره في الهند والغرب وما بين ذلك^(٢). ولما تملك أسد الدين أحضره فأعجب به، ثم استخلصه صلاح الدين لنفسه، فكان صديقه وعضده ووزيره وصاحب ديوان إنشائه ومشيره وخليطه وسميره وكان قليل اللذات، كثير الحسنات، دائم التهجد، يشتغل بالتفسير والأدب. توفي فجأة في منزله بالقاهرة في ليلة الأربعاء السابع ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة كان عمره نحو سبعين سنة^(٣).

من العلماء:

١- الشيخ، الإمام، العالم، الزاهد، العارف، القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء، محيي الدين، أبو محمد عبد القادر ابن أبي صالح عبد الله الجيلي^(٤)، الحنبلي، شيخ بغداد، ولد بجيلان، في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة. وقدم بغداد شاباً، فتفقه بها فكان إمام الحنابلة، وشيخهم في عصره، فقيه صالح دين خير، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة، قال ابن الجوزي: فوضت إلى عبد القادر مدرسة بباب الأنج، فتكلم على الناس بلسان الوعظ،

(١) شأوه : مشيه وخطاه.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٦٧/٧.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٣٨/٢١، وفيات الأعيان لابن خلكان ١٦٢/٣.

(٤) الجيلي، بكسر الجيم: نسبة إلى جيلان، قرى وراء طبرستان ويقال: الجيلاني.

وظهر له صيت بالزهد، وكان له سمت وصمت، وضافت المدرسة بالناس، فكان يجلس عند سور بغداد مستندا إلى الرباط، ويتوب عنده في المجلس خلق كثير، فعمرت المدرسة، ووسعت، وتعصب في ذلك العوام، وأقام فيها يدرس ويعظ إلى أن توفي. قال: أراد الله مني منفعة الخلق، فقد أسلم على يدي أكثر من خمسمائة، وتاب على يدي أكثر من مائة ألف، وهذا خير كثير واشتغل بالوعظ إلى أن برز فيه، ثم لازم الخلوة والرياضة والمجاهدة والسياسة والمقام في الخراب والصحراء، ثم إن الله أظهره للخلق، وأوقع له القبول العظيم، عاش الشيخ عبد القادر تسعين سنة، وانتقل إلى الله في عاشر ربيع الآخر، سنة إحدى وستين وخمسمائة، وشيعه خلق لا يحصون، ودفن بمدرسته رحمه الله تعالى^(١).

٢- أبو بكر محمد ابن عبد الله ابن محمد ابن عبد الله ابن العربي المالكي، شارح الترمذي، كان فقيها عالما، وزاهدا عابدا، وسمع الحديث بعد اشتغاله في الفقه، وصحب الغزالي وأخذ عنه، وكان يتهمه برأي الفلاسفة، ورجع إلى الأندلس في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة بعد أن دفن أباه في رحلته، وصنف وجمع، وفي فنون العلم برع، وكان فصيحاً، بليغاً، خطيباً ثاقب الذهن، عذب المنطق، كريم الشمائل، كامل السؤدد، ولي قضاء إشبيلية، فحمدت سياسته، وكان ذا شدة فعزل، وأقبل على نشر العلم وتدوينه توفي عام ٥٤٥هـ^(٢).

٣- أبو محمد الحسين ابن مسعود ابن محمد ابن الفراء البغوي، الشافعي، الشيخ، الإمام، العلامة، القدوة، الحافظ، شيخ الإسلام، محيي السنة، المفسر، لقب بمحيي السنة وبركن الدين، صاحب التصانيف، صاحب التفسير وشرح السنة والتهديب في الفقه، والجمع بين الصحيحين والمصابيح في الصحاح والحسان، وغير ذلك، وكان علامة زمانه

(١) سير اعلام النبلاء للذهبي ٤٧٠/٣٩.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٢٥٨/١٢، وسير اعلام النبلاء للذهبي ١٩١/٣٩.

فيها، وكان ديناً ورعاً زاهداً عابداً صالحاً وكان سيداً إماماً، عالماً علامة، زاهداً قانعاً باليسير، كان يأكل الخبز وحده، فعُذِل في ذلك، فصار يأتمم بزيت، بورك له في تصانيفه، ورزق فيها القبول التام، لحسن قصده، وصدق نيته، وتنافس العلماء في تحصيلها، وكان لا يلقي الدرس إلا على طهارة، وكان مقتصدًا في لباسه، له ثوب خام، وعمامة صغيرة على منهاج السلف حالاً وعقداً، وله القدم الراسخ في التفسير، والباع المديد في الفقه توفي في شوال ٥١٨ هـ^(١).

٤- أبو الوفاء علي ابن عقيل ابن محمد ابن عقيل، شيخ الحنابلة، في وقته ببغداد، ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، قرأ القرآن وسمع الحديث الكثير، وتفقه وكان يجتمع بجميع العلماء من كل مذهب، فربما لامه بعض أصحابه فلا يلوي عليهم، فلهذا برز على أقرانه وساد أهل زمانه في فنون كثيرة، مع صيانة وديانة وحسن صورة وكثرة اشتغال، وكان حسن المناظرة، سريع خاطر، قال: عصمني الله في شبابي بأنواع من العصمة، وقصر محبتي على العلم، وما خالطت لعاباً قط، ولا عاشرت إلا أمثالي من طلبة العلم، وأنا في الثمانين أجِدُّ من الحرص على العلم أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين، وله مصنفات من جملتها كتاب الفنون، وهو أزيد من أربع مائة مجلد، حشد فيه كل ما كان يجري له مع الفضلاء والتلامذة، وما يسنح له من الدقائق والغوامض، وما يسمعه من العجائب والحوادث. وقد متعه الله بجميع حواسه إلى حين موته، توفي بكرة الجمعة ثاني جمادى الأولى عام ٥١٣ هـ، وقد جاوز الثمانين، وكان جنازته حافلة جدا حُزرت بثلاث مائة ألف، ودفن قريباً من قبر الإمام أحمد^(٢).

٥- محمود ابن عمر ابن محمد ابن عمر، أبو القاسم الزمخشري، العلامة، كبير المعتزلة، أبو القاسم صاحب الكشاف في التفسير، والمفصل في النحو وغير ذلك من

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢٤٠/١٢ وسير اعلام النبلاء للذهبي ٤١٣/٣٧.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٤٥٣/٤. والبدية والنهاية لابن كثير ٢٢٩/١٢.

المصنفات المفيدة، وكان مولده بزمخشر - قرية من عمل خوارزم - في رجب، سنة سبع وستين وأربعمائة، وكان رأساً في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، وله نظم جيد. وقد سمع الحديث وطاف البلاد، وجاور بمكة مدة، وكان يظهر مذهب الاعتزال ويصرح بذلك في تفسيره، ويناظر عليه، وكانت وفاته بخوارزم ليلة عرفة عام ٥٣٨هـ، عن ست وسبعين سنة^(١).

٦- أبو حامد محمد ابن محمد ابن محمد الغزالي الشيخ، الإمام، البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين الدين، ولد سنة خمسين وأربعمائة، وتفقه على إمام الحرمين، وبرع في علوم كثيرة، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة، فكان من أذكى العالم في كل ما يتكلم فيه، وساد في شببته حتى أنه درس بالنظامية ببغداد، في سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وله أربع وثلاثون سنة، فحضر عنده رؤوس العلماء، وأخذ في تأليف الأصول والفقه والكلام والحكمة، وأدخله سيلان ذهنه في مضائق الكلام، ومزال الأقدام، والله سر في خلقه. ثم إنه خرج عن الدنيا بالكلية وأقبل على العبادة وأعمال الآخرة، وكان يرتزق من النسخ، ورحل إلى الشام فأقام بها بدمشق وبيت المقدس مدة، وصنف في هذه المدة كتابه إحياء علوم الدين، شمل على علوم كثيرة من الشرعيات، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوف وأعمال القلوب، لكن فيه أحاديث كثيرة غرائب ومنكرات وموضوعات، كما يوجد في غيره من كتب الفروع التي يستدل بها على الحلال والحرام، فالكتاب الموضوع للرفائق والترغيب والترهيب أسهل أمراً من غيره، وقد شنع عليه أبو الفرج ابن الجوزي، و صنف كتاباً سماه علوم الأحياء بأغاليط الإحياء، وقد كان الغزالي يقول: أنا مزجي البضاعة في الحديث، ويقال إنه مال في آخر عمره إلى سماع الحديث والتحفظ للصحيحين، قال ابن الجوزي: ألزمه بعض الوزراء بالخروج إلى نيسابور فدرس بنظاميتها، ثم عاد إلى بلده طوس فأقام بها، وابتنى رباطاً واتخذ داراً حسنة، وأقبل

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢٧٢/١٢. وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٤٥/٣٩.

على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح، وكانت وفاته في يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة، وله خمس وخمسون سنة، ودفن بطوس، وقد سأله بعض أصحابه، وهو في السياق فقال: "أوصني، فقال: عليك بالإخلاص، ولم يزل يكررها حتى مات رحمه الله^(١).

٧. علي ابن الحسن ابن هبة الله أبو القاسم الدمشقي المعروف بابن عساكر ولد سنة سبع وعشرين وخمسمائة، أسمعه أبوه الكثير، وشارك أباه في أكثر مشايخه، وكتب تأريخ أبيه مرتين بخطه، وكتب الكثير وأسمع وصنف كتباً عدة، وخلف أباه في إسماع الحديث بالجامع الأموي، ودار الحديث النورية. سمع الحديث وصنف تأريخاً لدمشق عظيماً جداً يدخل في ثمانين مجلدة كباراً^(٢)، مات في ثامن صفر عام ٥٧١هـ، ودفن بدمشق^(٣).

٨ - يحيى ابن عيسى ابن إدريس أبو البركات الأنباري قرأ القرآن على جماعة وسمع الحديث وقرأ النحو ووعظ الناس وكان يبكي من حين صعوده على المنبر إلى حين نزوله وتعبد في زاويته نحو خمسين سنة وكان ورعاً حتى أنه عطش فجيء بماء من بعض دور الحكام، فلم يشرب وكان لا يفعل شيئاً إلا ابنية وكان من أهل السنة الجياد رزقه الله أولاداً صالحين وكان أماراً بالمعروف ناهياً عن المنكر مستجاب الدعوة له كرامات ومنامات سالحة رأى في بعضها رسول الله ﷺ وفي بعضها أحمد ابن حنبل، وكان هو وزوجته أم أولاده يصومان النهار ويقومان الليل ويحييان بين العشاءين ولا يفطران إلا بعد العشاء وختما أولادهما القرآن وأقرئاً خلقاً من الرجال والنساء توفي يوم الاثنين رابع ذي القعدة من هذه السنة ٥٥٣هـ، فقالت زوجته اللهم لا تحيني بعده فماتت بعد ٥ يوماً^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٠٢/٣٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٢١٥/١٢.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٢٦١/١٠.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٤٦/١٣.

(٤) المنتظم لابن الجوزي ١٨١/١٠.

المطلب الثالث

الحالة الاجتماعية لعصر الإمام ابن الجوزي

عاش الإمام ابن الجوزي في ظروف اجتماعية كانت انعكاسا على واقع الحالة السياسية التي كانت تعيشها البلاد حيث ألفت بظلالها على المجتمع، من خلال الفوضى والمشاكل التي كانت تقع بين أفراد المجتمع، وكذلك الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة، والتي كانت تشتعل في المساجد بين أتباع المذاهب.

كانت مدينة بغداد قد احتفلت في كثرة العمران بما لم تنته إليه مدينة في العالم منذ بدء الخليفة، واضطربت آخر الدولة العباسية بالفتن، وكثر فيها المفسدون والدعار والعيارون من الرها، وأعيا على الحكام أمرهم، وربما أركبوا العساكر لقتالهم، ويثخنون فيهم، فلم يحسم ذلك من عللهم شيئا، وربما حدثت الفتن من أهل المذاهب، ومن أهل السنة والشيعة من الخلاف في الإمامة ومذاهبها، وبين الحنابلة والشافعية وغيرهم، فيقع الجدل والنكير، ثم يفضى إلى الفتنة بين العوام، وتكرر ذلك منذ حجر الخلفاء، ولم يقدر بنو بويه ولا السلجوقيين على حسم ذلك، ولم يحصل من ملوكهم اهتمام لحسم ذلك لاشتغالهم بما هو أعظم منه في الدولة، والنواحي وعامة بغداد أهون عليهم من أن يصرفوا هممتهم عن العظائم إليهم، فاستمرت هذه العلة ببغداد ولم يقلع عنها^(١).

ففي سنة ٥٦١هـ، ظهر من الروافض أمر عظيم من ذكر الصحابة وسبهم وكانوا إذا رأوا مكحول العين ضربوه^(٢).

قال ابن الجوزي: وفي سنة ٥٧١هـ كان الرفض قد كثر فرفع إلى أمير المؤمنين إن لم تقو يدي ابن الجوزي لم تطق على دفع البدع، فكتب أمير المؤمنين بتقوية يدي،

(١) مقدمة ابن خلدون ٤٧٧/٣.

(٢) المرجع السابق ٢١٧/١٠، وتأريخ الإسلام للذهبي ٥/٣٩.

فأخبرت الناس بذلك على المنبر، وقلت إن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قد بلغه كثرة الرفض وقد خرج توقيعه بتقوية يدي في إزالة البدع، فمن سمعتموه من العوام ينتقص بالصحابة فأخبروني حتى انقض داره وأخلده الحبس وإن كان من الوعاظ حدرته المشان^(١) فانكف الناس، ثم تقدم بمنع الوعاظ كلهم إلا ثلاثة كل واحد من مذهب أنا من الحنابلة^(٢).

وفي سنة ٥٧٤هـ كبس بالكرخ على رجل فوجدوا عنده كتباً كثيرة فيها سب الصحابة، فأخذ، ففُطع لسانه بكرة الجمعة، وقطعت يده، ثم حط إلى الشط ليحمل إلى المارستان، فضربه العوام بالآجر في الطريق، فهرب إلى الشط، فجعل يسبح، وهم يضربونه حتى مات، ثم أخرجوه وأحرقوه ثم رمي بآقيه إلى الماء، فطفا بعد أيام، فقالت العامة ما رضيته السمك، ثم ريع جماعة من الروافض، فجعلوا يحرقون كتباً عندهم من غير أن يطلع عليها مخافة أن ينم عليهم وخمدت جمرتهم بمرة وصاروا أذل من اليهود^(٣).

ثم تولى الملك نور الدين محمود زنكي رحمه الله بلاد الشام بعد أبيه وتوسع ملكه على الجزيرة ومصر، فأظهر السنة وحارب البدع، وقمع الشيعة وأذل الشيعة بحلب وأبطل شعارهم وقوى أهل السنة، وأظهر السنة وغير البدعة التي كانت لهم في التأذين، وقمع الرافضة، وبنى بها المدارس، ووقف الأوقاف، وأظهر العدل، وحاصر دمشق مرتين وفتحها في الثالثة، فضبط أمورها وحسن سورها، وبنى بها المدارس والمساجد^(٤)، وأمر بالتأذين بحي على الصلاة حي على الفلاح، ولم يكن يؤذن بهما في دولتي أبيه وجده،

وإنما كان يؤذن بحي على خير العمل لأن شعار الرفض كان ظاهراً بها^(٥).

(١) أشد ما يكون من السباب.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٢٥٩/١٠.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٢٦/٤٠.

(٤) المرجع السابق ١٨٦/١.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٤/١٢.

وفي سنة ٥٦٦هـ، أبطل صلاح الدين الأذان بحي على خير العمل محمد وعلي خير البشر في مصر، وعزل قضاء مصر من الشيعة، واستتاب عنهم قضاءً شافعية. ومن حينئذٍ اشتهر مذهب الشافعي ومذهب مالك بديار مصر وتظاهر الناس بهما، واختفى مذهب الشيعة. وبطل من حينئذٍ مجلس الدعوة بالجامع الأزهر وغيره^(١). ولما قطعت خطبة العاضد^(٢) استطل أهل السنة على الإسماعيلية وتتبعوهم وأذلّوهم، وكتبت الكتب^(٣). وأقيم بيع ما في قصر العاضد مدة عشر سنين، ومن جملة ما باعوا خزانة الكتب، وكانت من عجائب الدنيا؛ لأنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من الدار التي بالقاهرة في القصر، ومن عجائبها أنه كان بها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري، ويقال إنها كانت تحتوى على ألفي ألف وستمئة ألف كتاب، وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة. وحصل للقاضي الفاضل قدر منها كبير حيث شغف بحبها^(٤). وبنى السلطان صلاح الدين المدرسة المجاورة للإمام الشافعي، وبنى مدرسة مجاورة للمشهد الحسيني بالقاهرة، وجعل دار سعيد السعداء خادم الخلفاء المصريين خانقاه^(٥)، وبنى المدرسة المعروفة بزين التجار للشافعي، وبنى مدرسة للمالكية^(٦).

(١) اتعاط الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء لأحمد ابن علي ابن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ، تحقيق: الجزء ١: حققه د جمال الدين الشيال، أستاذ التاريخ الإسلامي وعميد كلية الآداب - جامعة الإسكندرية، الجزء ٢، ٣: حققه د محمد حلمي محمد أحمد، أستاذ التاريخ الإسلامي - كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، المجلس الأعلى للثنون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط/١، ٣١٠/١.

(٢) هو العاضد لدين الله عبد الله ابن يوسف ابن الحافظ لدين الله صاحب مصر العاضد لدين الله خاتم الدولة العبيدية وكان العاضد سباباً خبيثاً متخلفاً. تلاشى أمره مع صلاح الدين إلى أن خلعه، وخطب لبني العباس، واستأصل شأفة ابني عبيد، ومحق دولة الرفض، هلك العاضد يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمس مائة بذرب مفرط. وقيل: مات غماً لما سمع بقطع خطبته وإقامة الدعوة للمستضيء. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ١٩٥/٢٩.

(٣) الروضتين لابي شامة ٢١٢/١.

(٤) المرجع السابق ٢١٤/١.

(٥) الخانقاه جمعها خوانق، معاهد دينية إسلامية للرجال والنساء، أنشئت لإيواء المنقطعين والزهاد والعباد.

(٦) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢٥٦/٢ لعبد الرحمن ابن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: محمد

المبحث الثالث

التعريف بتفسير الإمام ابن الجوزي

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: التعريف بالكتاب زاد المسير وقيمته العلمية

المطلب الثاني: مصادر الإمام ابن الجوزي في التفسير

المطلب الثالث: منهجية الإمام ابن الجوزي في التفسير

المطلب الأول

التعريف بالكتاب زاد المسير وقيمه العلمية

الكتب التي ألفها ابن الجوزي في علم التفسير:

صنّف في علوم القرآن المغني وهو أحد وثمانون جزءاً، زاد المسير أربع مجلدات، تيسير البيان مجلد، تذكرة الأريب في تفسير الغريب مجلد، والوجوه والنظائر مجلد، عيون المشتبه جزء، وعيون علوم القرآن مجلد، وفنون الأفنان، مجلد، الناسخ والمنسوخ خمسة أجزاء^(١).

سبب تأليف ابن الجوزي كتاب زاد المسير:

يذكر لنا ابن الجوزي سبب تأليفه لتفسير زاد المسير فيقول:

١- إني نظرت في جملة من كتب التفسير فوجدتها بين كبير قد يبئ الحافظ منه وصغير لا يستفاد كل المقصود منه والمتوسط منها قليل الفوائد عديم الترتيب وربما أهمل فيه المشكل وشرح غير الغريب، فأتيتك بهذا المختصر اليسير منظوياً على العلم الغزير،

(١) الوافي بالوفيات للصفدي ٨١/٦، وقد ذكر في موسوعة الحديث أنه ألف في التفسير: - ١- الأريب في تفسير الغريب. ٢- أسباب النزول. ٣- الإشارة إلى القراءة المختارة. ٤- تذكرة المنتبه في عيون المشتبه، في القراءات، وقد أورد فيه المؤلف متشابه القرآن. ٥- تفسير الفاتحة. ٦- التلخيص مجلد في علم التفسير. ٧- تيسير البيان في تفسير القرآن. ٨- الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ. ٩- زاد المسير في علم التفسير. ١٠- غريب الغريب. ١١- فنون الأفنان في علوم القرآن. ١٢- كتاب السبعة في قراءات السبع. ١٣- كتاب في عجائب علوم القرآن. ١٤- المجتبى في علوم القرآن. ١٥- المجتبى من المجتبى، وهو مختصر للمجتبى. ١٦- مختصر فنون الأفنان في علوم القرآن. ١٧- مختصر قرّة العيون النواظر في الوجوه والنظائر. ١٨- المغني في تفسير القرآن. ١٩- المنعش. ٢٠- المنقبة في عيون المنبه. ٢١- المصفي بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ: في علوم القرآن. ٢٢- نواسخ القرآن أو الناسخ والمنسوخ بالقرآن. ٢٣- نزهة العيون النواظر في الوجوه والنظائر: مجلد واحد. ٢٤- ورد الأغصان في فنون الأفنان: وهو جزء. ٢٥- الوجوه النواظر في الوجوه والنظائر: ذكره ابن رجب، وقال: إنه مجلد ومختصر لكتاب نزهة العيون النواظر المذكور سابقاً.

(٢) مقدمة زاد المسير لابن الجوزي ٣٠/١.

ووسمته بزاد المسير في علم التفسير، وقد بالغت في اختصار لفظه^(١).

٢- إنني رأيت كثيرا من المتقدمين على كتاب الله ﷺ بأرائهم الفاسدة، وقد دسوا في تصانيفهم للتفسير أحاديث باطلة وتبعهم على ذلك مقلدوهم، فشاع ذلك وانتشر، فرأيت العناية بتهذيب علم التفسير عن الأغاليط من اللازم، وقد ألفت كتابا كبيرا سميته بالمغني في التفسير يكفي عن جنسه^(٢)، وألفت كتابا متوسط الحجم مقنعا في ذلك العلم سميته زاد المسير^(٣).

٣- لما رأيت جمهور كتب المفسرين لا يكاد الكتاب منها يفي بالمقصود كشفه حتى ينظر للآية الواحدة في كتب، فرب تفسير أخلّ فيه بعلم الناسخ والمنسوخ أو ببعضه فان وجد فيه لم يوجد أسباب النزول أو أكثرها فان وجد لم يوجد بيان المكي من المدني وإن وجد ذلك لم توجد الإشارة إلى حكم الآية فان وجد لم يوجد جواب إشكال يقع في الآية إلى غير ذلك من الفنون المطلوبة وقد أدرجت في هذا الكتاب من هذه الفنون المذكورة مع ما لم أذكره مما لا يستغني التفسير عنه، ما أرجو به وقوع الغناء بهذا الكتاب عن أكثر ما يجانسه^(٤).

٤- قد انتقى كتابنا هذا أنقى التفسير، فأخذ منها الأصح والأحسن والأصون فنظمه في عبارة الاختصار^(٥).

مميزات كتاب زاد المسير:

١- من كتب التفسير بالمأثور كتاب زاد المسير حيث فسر القرآن بالقرآن أو بالسنة

(٢) من الآثار الضائعة أو التي يحتمل ضياعها أو لعله من آثار فعل التتار حينما دخلوا بغداد.

(٣) نواسخ القرآن نواسخ القرآن لابن الجوزي، ت: محمد أشرف علي المليباري، وأصله رسالة ماجستير - الجامعة

الإسلامية - الدراسات العليا - التفسير - ١٤٠١هـ - ط: ١٤٠٤هـ، ٥٠-٥١.

(٤) مقدمة زاد المسير لابن الجوزي ٣١/١.

(٥) المرجع السابق ٣١/١.

بأقوال الصحابة والتابعين.

٢- أنه يختصر الأقوال الكثيرة في أقوال قليلة، وقد قال في المقدمة: حذرت من إعادة تفسير كلمة متقدمة إلا على وجه الإشارة، ولم أغادر من الأقوال التي أحطت بها، إلا ما تبعد صحته مع الاختصار البالغ، فإذا رأيت في فرش الآيات ما لم يذكر تفسيره، فهو لا يخلو من أمرين إما أن يكون قد سبق وإما أن يكون ظاهراً لا يحتاج إلى تفسير^(١). ولكن قد يذكر أقوالاً في الآية تتباين في الألفاظ فيحكيها أقوالاً، وإذا تأملنا هذه الأقوال وجدنا أن بعضها يرجع إلى بعض، فكأن هذه المنهجية في تعداد الأقوال جعلها أقوالاً مستقلة، وكأنها متغايرة، والحقيقة أن بعضها يرجع إلى بعض.

مثال: قال تعالى: ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴾

الزمر: ٥٦ في قوله: (جَنبِ اللَّهِ) خمسة أقوال: طاعة الله، وحق الله، وأمر الله، وذكر الله، وقرب الله^(٢).

٣- أنه لخص هذا الكتاب من كتاب له كبير اسمه المغني في التفسير، قال ابن الجوزي: ولا تتشاغلن بكتب التفسير التي صنفتها الأعاجم، وما ترك المغني و زاد المسير لك حاجة في شيء من التفسير^(٣). ذكر صاحب الوافي للوفيات أنه صنف في علوم القرآن المغني، وهو أحد وثمانون جزءاً، قال الذهبي: "صنف في التفسير المغني كبير، ثم اختصره في أربع مجلدات، وسماه: زاد المسير"^(٤). فإذا تصورنا اختصار كتاب المغني إلى كتاب زاد المسير من واحد وثمانين مجلداً إلى أربع مجلدات بمعنى اختصار كل

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١/١٤.

(٢) المرجع السابق ٥/٢٧٤.

(٣) الموضوعات لجمال الدين عبد الرحمن ابن علي ابن محمد الجوزي، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط/١: ج ١، ٢: ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م، ١/٢٢.

(٤) سير اعلام النبلاء للذهبي ٣٦٨/٢١.

عشرين ورقة إلى ورقة واحدة تقريبا، فلا شك أن هذه الورقة ستحتوي على كل مهم وبصورة مختصرة لتكون خلاصة للأصل.

٤- أن عبارته تحررت بمجالس المذاكرة والبحث حيث أن الفخر أبا عبد الله محمد ابن أبي القسم ابن تيمية الحراني^(١) لازم ابن الجوزي وسمع منه كثيرا من مصنفاته وقرأ عليه زاد المسير في تفسير قراءة بحث وفهم^(٢).

٥- من أهم الكتب في تحرير الأقوال الواردة عن السلف في تفسير الآية.

٦- زاد المسير من كتب التفاسير مرجع في آيات الأحكام مؤلفه حنبلي، فلا يوجد غيره^(٣).

(١) هو الفخر ابن تيمية أبو عبد الله محمد ابن أبي القسم الخضر ابن محمد ابن الخضر ابن علي ابن عبد الله ابن تيمية الحراني الفقيه الحنبلي المقرئ الواعظ فخر الدين شيخ حران وخطيبها ولد في أواخر شعبان سنة اثنتين وأربعين وخمسائة بحران وقرأ القرآن على والده وله نحو عشر سنين وكان والده زاهدا يعد من الابدال وشرع في الاشتغال بالعلم من صغره وتردد إلى فتیان ابن مباح وابن عبدوس وغيرهما ثم ارتحل إلى بغداد وسمع بها الحديث من المبارك ابن خضر وابن البطي وابن الدجاني وخلق وتفقه ببغداد على أبي الفتح ابن المنى وابن بكروس وغيرهما ولازم ابن الجوزي وسمع منه كثيرا من مصنفاته وقرأ عليه زاد المسير في تفسير قراءة بحث وفهم وجد في الاشتغال والبحث ثم أخذ في التدريس والوعظ والتصنيف والقاء التفسير بكرة كل يوم بجامع حران واطب على ذلك حتى فسر القرآن العظيم خمس مرات، انظر شذرات الذهب لعبد الحي الحنبلي ١٠١/٥.

(٢) شذرات الذهب لعبد الحي الحنبلي ١٠٢/٥.

(٣) شرح كتاب (مقدمة في أصول التفسير) لشيخ الإسلام أحمد ابن عبد الحلیم ابن عبد السلام ابن تيمية، شرح:

الشيخ محمد ابن عمر ابن سالم بازمول ط: ١٤٢٤، ٢١

المطلب الثاني:

مصادره في التفسير:

كان مصدره الأول هو القرآن الكريم في بيان المعنى، وذلك من خلال بيان بعض آيات القرآن الكريم ببعضها وقد كان يشير إلى الآيات التي فسرها بآيات أخرى من القرآن وهذا أعلى مقامات التفسير كما هو معلوم عند علماء التفسير.

المصدر الثاني هو ما أثر عن رسول الله ﷺ من الأخبار، ثم الصحابة رضوان الله عليهم. من أمثال علي ابن أبي طالب، وعبد الله ابن مسعود، وأبي ابن كعب، وعبد الله ابن عباس ثم ما روي عن التابعين من أمثال ابن جبير وعكرمة وغيرهم. أما المصادر التي نقل عنها فتفسير ابن جرير، وكتب الحديث، وكتب معاني القرآن.

مصادره في القراءات:

كان أهم مصدر للتفسير في القراءات هم شيوخه الذين درس عليهم، وتعلم على أيديهم هذا العلم، وكانت مصادره في تفسيره منهم، ثم تتبع أصحاب القراءات المشهورة.

مصادره في أسباب النزول:

كان من أول مصادره في ذلك هم الصحابة رضوان الله عليهم، فقد فسروا القرآن بما سمعوه من رسول الله ﷺ ، وما شاهدوه من الأحداث التي كان القرآن ينزل بها، وأشهرهم عبد الله ابن عباس وابن مسعود وعلي ابن أبي طالب.

مصادره النحوية واللغوية:

كان مصدره الأول في اللغة والنحو هو أبو منصور الجواليقي^(١) الذي تعلم منه الأدب واللغة وقرأ عليه كتاب المعرب للوزير ابن هبيرة^(٢)، وكانت له معرفة بالنحو واللغة والعروض، أما مصادره التي نقل عنها فهي كتب معاني القرآن^(٣).

مصادره الفقهية:

أما مصادره الفقهية فهي من مصدرين :

الأول: ما قرأ في الفقه والخلاف والأصول على مذهب الإمام أحمد، وقد ذكرنا أنه كان على مذهب الإمام أحمد والمنتصرين له، وقد كان يرجح مذهبه ويدافع عنه.
الثاني: ما كان يذكره في ثنايا تفسيره نقلاً عن مشايخه.

(١) ورد ذكره عند شيوخ الامام ابن الجوزي

(٢) ورد ذكره عند العلماء المعاصرين لابن الجوزي

(٣) وهي كتب ابن قتيبة، والفراء، والزجاج، وأبي علي الفارسي، وأبي عبيدة في كتبهم مشكل القرآن، وغريب القرآن، وكتب معاني القرآن والحجة، ومجاز القرآن، وكذلك كتب ابن الأنباري في القرآن.

المطلب الثالث

منهجية الإمام ابن الجوزي في التفسير

في القراءات:

لقد أَلَمَّ بمشهور القراءات وأطراف من شواذها، ونقل توجيهها في العربية عن أئمة هذا العلم، ومعنى ذلك أنه كان يذكر مشهور القراءات ثم يذكر التوجيه الذي توجه إليه، والمعنى الذي يقصد منها على ذلك التوجيه.

مثال: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالتَّاسِرِ لرُؤْفٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة: ١٤٣، (الرُّؤْفُ): فُرُأت (لرعوف) على وزن لرعوف في جميع القرآن، ووجهها أن فعولا أكثر في كلامهم من فعل، فباب ضروب وشكور أوسع من باب حذر ويقظ، وفُرُأت (لرؤف) على وزن رعف، ويقال: هو الغالب على أهل الحجاز^(١). فيذكر الكلمة ثم يذكر المعنى على كل قراءة من تلك القراءات؛ ليكون أبين وأوضح وأدعى إلى النفع.

تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة:

يذكر الآية التي تقابل أو تفسر أو توضح الآية التي يقوم بتفسيرها، ونلمس ذلك واضحا في تفسيره. مثال قوله تعالى: ﴿فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٧، ... قال: وفي الكلمات أقوال: أحدها: أنها قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّنا ظَلَمنا أَنفُسنا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لنا وَتَرْحَمنا لَنَكُوننَّ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ الأعراف: ٢٣^(٢). ومثال تفسير القرآن بالسنة كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قالَ مُوسى لِفَتْنِهِ لآ أَبْرِحْ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا﴾

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١/١٣٥.

(٢) المرجع السابق ١/٤٩.

الكهف: ٦٠، قال ابن الجوزي: "سبب خروج موسى ﷺ في هذا السفر ما روي عن أبي ابن كعب، عن رسول الله ﷺ قال: «إن موسى قام خطيباً في ابني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله ﷻ عليه إذ لم يرد العلم إليه. فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك»^(١).

أسباب النزول:

من الأشياء البارزة والسمات الظاهرة التي كان يتبعها ابن الجوزي في تفسيره هي أسباب النزول، فالآية يتضح معناها إذا علم سبب نزولها، فنراه يذكر سبب النزول إذا كان للآية أو للسورة، وكل ذلك واضح ظاهر في تفسيره.

ذكر في سبب نزول قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ المجادلة: ١، حيث قال: "فقد روي عن عائشة أنها قالت: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة، فكلمت رسول الله ﷺ وأنا في جانب البيت أسمع كلامها ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها وتقول: يا رسول الله: أبلى شبابي، وفترت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات"^(٢).

الأحكام الفقهية:

كان لا يترك حكماً من الأحكام الفقهية إلا تعرض له وذكر الآراء التي قيلت فيه مع عدم التعرض للأرجح أو الصحيح اللهم إلا على لسان القائلين أنفسهم، ونرى ذلك في كل الآيات التي تحتاج إلى أحكام فقهية وأدلى فيها العلماء بآرائهم وخاصة المذاهب الفقهية

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٢٣٦/٤. والحديث في البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله، رقم ١٢٢، ٥٦/١.

(٢) المرجع السابق ٤٩٤/٥. والحديث في سنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب في الظهار، رقم ٢٢١٦، ٢٣٤/٢.

الأربعة وبعض تلاميذهم من الذين يلونهم. وترى ذلك واضحا في كل تفسيره، وقلما كان يدلي برأيه.

قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٧٩، يقول: نقل أحمد: إذا قتل رجل رجلا بعصا أو خنقه، أو شدخ رأسه بحجر، يقتل بمثل الذي قتل به، فظاهر هذا أن القصاص يكون بغير السيف، ويكون بمثل الآلة التي قتل بها. وهو قول مالك والشافعي، ونقل وقيل: إذا قتله بخشبة قتل بالسيف، وإذا خنقه قتل بالسيف، فظاهر هذا أنه لا يكون القصاص إلا بالسيف، وهو قول أبي حنيفة^(١) رحمه الله^(٢).

اللغة والنحو:

لقد اهتم ابن الجوزي اهتماما كبيرا باللغة العربية والنحو ويظهر ذلك من خلال تفسيره، ولقد ورد ذلك أيضا في مقدمة تفسيره للجزء الأول، حيث أنه لم يفته، وهو يفسر مفردات القرآن أن يذكر اشتقاقها استكمالا للمعنى وزيادة في الفائدة، فقد كان يورد الروايات والآراء التي وردت في تفسير اللفظ وما أيدها من الأشعار العربية والدلالة على معناها إلا أنه لم يكن يتعرض لها بالتعليق برأيه، ثم بالنحو والإعراب وفي أحيان كثيرة يعرض للقراءات على الرفع أو على النصب أو خلافه. قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة: ٢، يقول: فأما الرب فهو المالك، ولا يذكر هذا الاسم في حق لمخلوق إلا بالإضافة، فيقال: هذا رب الدار، ورب العبد. وقيل: هو مأخوذ من الترتيب،

(١) هو أبو حنيفة النعمان ابن ثابت التيمي الإمام، فقيه الملة، عالم العراق، أبو حنيفة النعمان ابن ثابت ابن زوطى التيمي، الكوفي، مولى ابني تيم الله ابن ثعلبة. يقال: إنه من أبناء الفرس. ولد: سنة ثمانين، في حياة صغار الصحابة. قال: قدمت البصرة، فظننت أنني لا أسأل عن شيء إلا أجبت فيه، فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب، فجعلت على نفسي ألا أفارق حمادا حتى يموت، فصحبته ثمانين سنة. قرأ القرآن كله في ركعة. توفي: شهيدا، مسقيا، في سنة خمسين ومائة، وله سبعون سنة. انظر سير اعلام النبلاء ٤٨٩/١١.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ١٦٨/١.

يقال: رب فلان صنيعته يربها ربا: إذا أتمها وأصلحها فهو رب ورب. قال الشاعر:

رب الذي يأتي من الخير إنه إذا سئل المعروف زاد وتما

قال: والرب يقال على ثلاثة أوجه، أحدها: المالك، يقال: رب الدار، والثاني: المصلح

يقال: رب الشيء، والثالث: السيد المطاع، قال تعالى: ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ حَمْرًا﴾ سورة

يوسف ٤١، والجمهور على خفض باء رب^(١).

موقفه من الإسرائيليات:

روى بعض الأخبار الإسرائيلية عن رواة اشتهروا برواية تلك الأخبار.

مثال ذلك ما رواه في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ ص: ٢١،

قال: "رأى نبي الله داوود امرأة في بستان على شط بركة لها تغتسل، وقيل: بل على سطح

لها، فعجب من حسنها، فحانت منها التفاتة فرأت ظله، ففضت شعرها فغطى بدنها فزاده

ذلك إعجابا بها، فسأل عنها، فقيل: هذه امرأة أوريا، وزوجها في غزاة فكتب داود إلى

أمير ذلك الجيش أن ابعث أوريا إلى موضع كذا وكذا وقدمه قبل التابوت، وكان من قدم

قبل التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح عليه أو يستشهد^(٢).

شرط ابن الجوزي على نفسه ألا يذكر إلا الصحيح في تفسيره وفي ذكره لهذه الرواية

وغيرها من الإسرائيليات، فقد أخل بشرطه.

وبعد ذكره لروايات هذه القصة قال: وهذا لا يصح من طريق النقل، ولا يجوز من

حيث المعنى؛ لأن الأنبياء منزّهون عنه. ثم ذكر أقوال المحققين بصورة مشينة بحق نبي

الله داوود لا تقل عن الروايات الأولى مع أن هذه القصة لا تحتاج إلى ترجيح ولا تحقيق

لما فيها من الإساءة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١/ ١٨.

(٢) المرجع السابق ٥/ ٢٣٣.

ترجيحه بعض الآراء على بعض:

قلما كان لابن الجوزي نظرة ترجيحية في الأقوال أو ترجيح رأي على رأي آخر، وإنما كان يسرد الآراء سردا على لسان قائلها دون أن يعقب عليها أو يكون له رأي فيها، وكذلك لم يحاول ترجيح رأي على رأي أو معنى على معنى، ولا ناقش ما يحكيه من أقوال إلا في مواضع قليلة.

مثال: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ ص: ٣٤، من نظراته الترجيحية القليلة، أنه علق على قصة الشيطان الذي استولى على ملك سليمان: هل كان يأتي نساء سليمان، فبعض الأقوال ذكرت أنه كان يأتيهن في زمن الحيض، والقول الآخر أنه لم يقدر عليهن. وقد علق عليها ابن الجوزي قائلا: وهذا هو الصحيح: أي عدم إتيانه لهن.

علق على قصة سليمان واستيلاء الشيطان على ملكه، بأنه آصف الذي قال لسليمان عندما فُتن: أنا أقوم مقامك إلى أن يتوب الله عليك، فقام في مقامه وسار بالسيرة الجميلة، وقد علق ابن الجوزي على هذا بقوله: وهذا لا يصح ولا ذكره من يوثق به^(١).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٥/٢٣٩.

الباب الثاني

التفسير بالمأثور والرأي عند الإمامين ابن جزي،

وابن الجوزي

وفيه فصلان

الفصل الأول: التفسير بالمأثور

الفصل الثاني: التفسير بالرأي

الفصل الأول

التفسير بالمأثور

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن

المبحث الثاني: تفسير القرآن بالسنة

المبحث الثالث: تفسير القرآن بقول الصحابي

المبحث الرابع: تفسير القرآن بقول التابعي

معنى التفسير بالمأثور

مادة فسّر تدل على بيان شيء وإيضاحه يقال: فسّرت الشيء وفسّرتَه^(١). وكلمة المأثور من مادة أثر، ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء^(٢)، وقال بعضهم: الأثر أيضا مصدر قولك أثرت الحديث، إذا ذكرته عن غيرك، ومنه قيل: حديث مأثور، أي ينقله خلف عن سلف، كما قال الأعشى^(٣):

إن الذي فيه تماريتما بيّن للسامع والآثر^(٤)

جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا ﴾ يس: ١٢ أي نكتب ما أسلفوا من أعمالهم، ونكتب آثارهم، أي من سنّ سنة حسنة كُتِبَ له ثوابها، ومن سنّ سنة سيئة كتب عليه عقابها. وسنن النبي ﷺ آثاره والآثر مصدر قولك أثرت الحديث آثره إذا ذكرته عن غيرك، وفي الحديث: (من سرّه أن يبسط الله في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه)^(٥)، والآثر الأجل وسمي به لأنه يتبع العمر قال كعب ابن زهير^(٦):

(١) مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد ابن فارس ابن زكريا، ت: عبد السلام هارون، دار النشر، ط/١: ١٣٩٩ هـ

١٩٧٩ م. ٥٠٤/٤

(٢) المرجع السابق ١١/١.

(٣) هو ميمون ابن قيس وكان أعمى، ويكنى أبا بصير، كان جاهليا قديما، وأدرك الإسلام في آخر عمره، ورحل إلى النبي ﷺ ليسلم، فقيل له: إنه يحرم الخمر والزنا، فقال: أتمتع منهما سنة ثم أسلم! فمات قبل ذلك بقرية باليمامة، وهو رابع الشعراء المتقدمين وهو يقدم على طرفة في المعلقات انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ٤٩/١.

(٤) ديوان الأعشى الكبير لميمون ابن قيس الأعشى، شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية. وروايته في الديوان: بين للسامع والناظر ١٤١.

(٥) رواه البخاري كتاب العلم، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، رقم ٥٦٣٩، ١٥/١٥٣.

(٦) هو كعب ابن زهير ابن أبي سلمى المازني ممن اشتهر شعره في الجاهلية ولما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ وأقام يشيب بنساء المسلمين فأهدر النبي ﷺ دمه فجاءه كعب مسلما مستأمنا فعفا عنه النبي ﷺ وخلص عليه برده، وهو من أعرق الناس في الشعر، أبوه وأخوه بجير وابنه علقمة وحفيده العوام كلهم شعراء، انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ٢٤/١.

والمرء ما عاش ممدوداً له أملٌ *** لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر^(١)

من أثر مشيه في الأرض فإنَّ من مات لا يبقى له أثر ولا يرى لأقدامه في الأرض أثر^(٢)

وفي الاصطلاح: هو ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول ﷺ، وما نقل عن الصحابة رضي الله عنهم، وما نقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم^(٣). وقيل: هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة، بيانا لمراد الله تعالى من كتابه^(٤).

(١) البيت لكعب ابن زهير في ديوانه، ت: درويش الجويدي، المكتبة العصري، صيدا - بيروت - لابنان، ط/١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ٥٥.

(٢) لسان العرب لمحمد ابن مكرم ابن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر - بيروت، ط/٣: ١٤١٤ هـ، ٥/٤.

(٣) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ٥/٤.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم للزرقاني، مطبعة عيسى البابي وشركاه، ط/٣، ١١/٢.

المبحث الأول

تفسير القرآن بالقرآن عند الإمامين

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: معنى القرآن وأهمية تفسيره ومراتبه.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن

المطلب الثالث: تفسير القرآن بالقراءات

المطلب الرابع: تفسير القرآن بالأشباه والنظائر

المطلب الأول

معنى القرآن وأهمية تفسيره ومراتبه.

معنى القرآن:

معنى القرآن: الجمع، وسمي قرآناً؛ لأنه يجمع السُّور فيضمُّها، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ القيامة: ١٧، أي جمعه وقراءته^(١). وهو كلام الله تعالى المنزل على رسوله ﷺ المتعبدُ بتلاوته^(٢).

أهم أنواع التفسير هو التفسير بالمأثور باعتبار مصدر هذا التفسير، وأهم أنواع هذا التفسير المأثور هو تفسير القرآن بالقرآن، لأن الله ﷻ يتولى توضيح كلامه بنفسه. فإذا جاء تفسير آيات من القرآن الكريم بآيات أخرى منه، فهذا له أعلى المقامات، وأرفع الدرجات في التفسير، وقد جاءت آيات كثيرة من القرآن الكريم يفسر بعضها بعضاً، فنال أعلى مقامات القبول، وهو المعتبر إذا اختلفت الأقوال، وتعددت الآراء، وتباينت الطرق، يقدم على غيره، ويعول عليه، وهو تفسير بعض آيات القرآن بما ورد في القرآن نفسه، فإن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فما أجمل في مكان قد فُسر وبين في مكان آخر، وما أوجز في موضع قد بسط في مكان آخر^(٣).

قال ابن تيمية: "إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان، فإنه قد فسر في موضع آخر، وما مختصر في مكان، فقد بسط في موضع آخر"^(٤).

(١) لسان العرب لابن منظور ١/١٢٨.

(٢) علوم القرآن عند ابن عبد البر ١/٦٢.

(٣) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير محمد ابن محمد ابن سويلم أبو شُهبة، مكتبة السنة، ط/٤، ٤٧/١.

(٤) شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ٢٧١.

أهمية تفسير القرآن بالقرآن:

من ينظر في القرآن نظرة فاحص مدقق، ويجمع الآيات التي في موضوع واحد، ثم يقارن بعضها ببعض سيجد منها ما أجمل من الآيات في مكان فسّر في مكان آخر، ومنها ما أوجز في موضع وبُسط في موضع آخر، فيحمل المُجمل على المُفسّر، وبشرح ما جاء موجزاً بما جاء مُسهباً مُفصلاً، وهذا هو ما يسمونه تفسير القرآن بالقرآن، فإن عدل عن هذا وفسّر برأيه، فقد أخطأ وقال برأيه المذموم^(١).

وذلك كقصة آدم وإبليس، وكقصة موسى وفرعون، جاءت موجزة في بعض المواضع، وجاءت مسهبة مفصلة في موضع آخر، فيحمل المجمل على المبيّن ليفسّر به، مثل قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ الأنعام: ١٠٣ فسرتها آية ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ القيامة: ٢٣، ومنه قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ المائدة: ١، فسرتها آية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالِدَمُّ﴾ المائدة: ٣. وحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، مثاله عند بعض العلماء: آية الظهر مع آية القتل، ففي كفارة الظهر قال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ المجادلة: ٣، وفي كفارة القتل، قال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ النساء: ٩٢، فيحمل المطلق في الآية الأولى على المقيد في الآية الثانية، بمجرد ورود اللفظ المقيد من غير حاجة إلى جامع، هذا عند بعض العلماء، والجمع بين ما يُتوهم أنه مختلف، كخلق آدم من تراب في بعض الآيات، ومن طين في غيرها، ومن حمأ مسنون، ومن صلصال، فإن هذا ذكر للأطوار التي مرّ بها آدم من مبدأ خلقه إلى نفخ الروح فيه^(٢).

(١) التفسير والمفسرون للذهبي ٤/٤٧.

(٢) المرجع السابق ١/٣١.

تفسير القرآن بالقرآن عند الإمامين ابن جزي وابن الجوزي

تفسير الإمام ابن جزي:

يرى الباحث أن الإمام ابن جزي سار في تفسيره على النحو التالي:

- ذكر الإمام ابن جزي: "تفسير بعض القرآن ببعض، فإذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه، ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال"^(١).

- ذكر في تفسيره بيان معاني القرآن من القرآن من خلال ما روي من الأحاديث عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين.

- بيّن في تفسير القرآن بالقرآن ما سمعه من مشايخه وما فهمه واستنبطه.

- بيّن أنّ هذا التفسير هو أولى التفاسير يؤخذ به ويقدم على غيره.

- جمع بين الآيات التي قد تتشابه أو توهم تعارض.

- لم ينسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلا، وقد بين السبب في ذلك فقال: وذلك لقلّة صحة إسنادها إليهم أو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم^(٢). وهذه بعض الأمثلة:

١- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْآمَنُونَ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ الأنعام: ٨٢ لما نزلت هذه الآية أشفق منها أصحاب النبي ﷺ، فقالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟، فقال رسول الله ﷺ: إنما ذلك كما قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللّٰهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: ١٣^(٣).

٢- وقال تعالى: ﴿فَلَقَىٰ ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٧ ، هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الأعراف: ٢٣ بدليل

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١٩/١.

(٢) المرجع السابق ١١/١.

(٣) المرجع السابق ٢٦٨/١.

ورودها في الأعراف^(١).

٣- وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يونس: ٦٣
اختلف الناس في معنى الولي اختلافاً كثيراً، والحق فيه ما فسره الله بعد هذا بقوله:
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، فمن جمع بين الإيمان والتقوى، فهو الولي^(٢).

٤- قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ المعارج: ٢١ سئل أحمد ابن يحيى^(٣) عن
الهلوع، فقال: قد فسره الله فلا تفسيراً أبين من تفسيره، وهو قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا
مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾^(٤)، وذكره الله على وجه الذم لهذه الخلائق^(٥).

٥- قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ البقرة: ٤٨
ليس نفي الشفاعة مطلقاً، فإنّ مذهب أهل الحق ثبوت الشفاعة لسيدنا محمد ﷺ؛ قال
تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ البقرة: ٢٥٥، وقال تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ
بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ يونس: ٣، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ سبأ: ٢٣^(٥).

٦- قال تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ يس: ٦٨ أي نحول خلقته من القوة
إلى الضعف، ومن الفهم إلى البله ونحو ذلك كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ
ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ الروم: ٥٤^(٦).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٨٠/١.

(٢) المرجع السابق ٣٥٩/١.

(٣) هو ابن الجلاء أبي عبد الله أحمد ابن يحيى شيخ الشام أصله بغدادي وأقام بالرملة بدمشق وكان صاحب هبة
وعبادة ما جلا شيئاً ولكنه كان يعظ فيقع كلامه في القلوب فسمي جلاء القلوب، قلت لأبيوي: أحب أن تهباني
الله. قالوا: قد فعلنا. فغبت عنهم مدة، ثم جئت فدفقت الباب، فقال أبي: من ذا؟ قلت: ولدك. قال: قد كان لي ولد
وهبناه الله. وما فتح لي. توفي: في سنة ست وثلاث مائة. سير اعلام النبلاء للذهبي ٢٧/٢٧٧.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٤١١/٢.

(٥) المرجع السابق ٨٣/١.

(٦) المرجع السابق ١٨٥/٢.

٧- قال تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ نوح: ٤، هذا يقتضي أن الأجل محتوم كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ يونس: ٤٩^(١).

تفسير الإمام ابن الجوزي:

يرى الباحث أن الإمام ابن الجوزي سار في تفسيره على النحو التالي:

- ذكر الإمام ابن الجوزي في تفسيره للقرآن بالقرآن بصورة أوسع مما ذكر فيه ابن جزي، وذكر من الأحاديث عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين^(٢).
- ذكر ما فهمه واستنبطه من معاني القرآن الكريم وما فيه من لفئات في بيان المعنى.
- أسند الأقوال الى قائلها من الصحابة والتابعين.

- ذكر أقوال في تفسير الآية، ويبدأ بتفسير الآية من القرآن إذا ذكره.

- مما يميز تفسير ابن الجوزي كذلك جمعه للآيات المتشابهة لتوضيح المعنى، وكذلك جمعه للآيات التي توهم التعارض ويقوم بتوضيحها والجمع بينها، وهذه بعض الأمثلة:

١- قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة: ٢ الرب: السيد المطاع، قال تعالى: ﴿فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا﴾ يوسف: ٤١^(٢).

٢- قال تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ الفاتحة: ٧، قال ابن عباس: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون. وقيل: المؤمنون وقيل الصحابة، وقيل: قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا، والأول أرجح لعمومه، ولقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ النساء: ٦٩^(٣).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٤١٣/٢.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ١٨/١.

(٣) المرجع السابق ٢١/١.

٣- قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ المعارج: ٢١، في الهلوع سبعة أقوال: أحدها: أنه الموصوف بما يلي

هذه الآية: ﴿إِذَامَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَامَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾^(١) رواه عطية^(١) عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة^(٢)، والزجاج^(٣) (٤).

٤- قال تعالى: ﴿فَلَقَّحَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٧، في الكلمات أقوال: أحدها: أنها قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الأعراف: ٢٣، قاله ابن عباس، والحسن^(٥)، وسعيد ابن جبير^(٦)، ومجاهد^(٧)،

-
- (١) هو عطية ابن قيس أبو يحيى الكلبى الإمام القانت مقرئ دمشق حدث عن الصحابة عمرو ابن عيسى، وعبد الله ابن عمرو، والنعمان ابن بشير، ومعاوية، وابن عمر، وعبد الرحمن ابن غنم وأرسل عن: أبي الدرداء، وطائفة. وغزا في دولة معاوية وروى عنه بعض التابعين توفي سنة ١٢١ هجرية. سير اعلام النبلاء للذهبي ٣٩٢/٩.
- (٢) هو أبو عبيدة معمر ابن المثنى التيمي مولاهم الإمام العلامة البحر النحوي ولد سنة ١١٠ هجرية في الليلة التي مات فيها الحسن البصري، قارب مائة عام، أو كملها، وتوفي عام ٢٠٩ هجرية. سير اعلام النبلاء للذهبي ٤٧٢/١٧.
- (٣) هو أبو إسحاق ابن محمد ابن السري البغدادي الإمام نحوي زمانه مصنف كتاب (معاني القرآن) وله تأليف جمة لزم المبرد وكان من ندماء المعتضد وعزیزا عليه مات عام ١١٣ هجرية. سير اعلام النبلاء للذهبي ٤٠٩/٢٧.
- (٤) زاد المسير لابن الجوزي ٧٤/٦.
- (٥) الحسن البصري هو أبو سعيد الحسن ابن أبي الحسن يسار مولى زيد ابن ثابت الأنصاري كانت أمه مولاة لأم المؤمنين أم سلمة ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ونشأ بوادي القرى وروى عن كثير من الصحابة قال: كنت يوم قتل عثمان ابن أربع عشرة سنة، لولا النسيان، كان العلم كثيرا. كان جامعا، عالما، فقيها، ثقة، حجة، مأمونا، عابدا، كثير العلم، فصيحاً، توفي في رجب ١١٠ للهجرة وعمره ٨٨ سنة. سير اعلام النبلاء للذهبي ١٣٥/٨.
- (٦) الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد أبو محمد سعيد ابن جبير ابن هشام الوالبي الكوفي روى عن ابن عباس وغيره من الصحابة وكان من كبار العلماء دخل الكعبة فقرأ القرآن في ركعة وكان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء في شهر رمضان وكانوا يؤخرون العشاء، وكان يحرم في كل سنة مرتين مرة للحج ومرة للعمرة، قتله الحجاج أيام فتنة عبدالرحمن ابن الأشعث مع بني أمية. سير اعلام النبلاء للذهبي ٣٥٥/٧.
- (٧) هو أبو الحجاج مجاهد ابن جبر المكي الأسود روى عن ابن عباس وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه، قال عرضت عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة وروى عن غيره من الصحابة فكان أعلم الناس بالتفسير، مات وهو ساجد، سنة مائة وثنتين، وعمره ثلاث وثمانون سنة، انظر: سير اعلام النبلاء للذهبي ٦/٨.

وعطاء الخراساني^(١)، وعبيد ابن عمير^(٢)، وأبي ابن كعب^(٣).

٥- قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ البقرة: ١٥، الاستهزاء بهم: إذا ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب، فييقون في الظلمة، فيقال لهم: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ الحديد: ١٣^(٤).

٦- قال تعالى: ﴿فَوَرَّيْكَ لَسَعْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الحجر: ٩٢ - ٩٣، إن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿فَيَوْمَذِي لَا يَنْسَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ الرحمن: ٣٩: فعنه جوابان: أحدهما: أنه لا يسألهم: هل عملتم كذا؟ لأنه أعلم، وإنما يقول: لم عملتم كذا؟ والثاني: أنهم يُسألون في بعض مواطن القيامة، ولا يُسألون في بعضها، رواه عكرمة^(٥) عن ابن عباس^(٦).

٧- قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ الأنفال: ٣٧، من قال: أموالهم، أنها ألقيت في النار ليعذب بها أربابها، كما قال تعالى: ﴿

(١) هو عطاء ابن أبي مسلم المحدث الواعظ نزيل دمشق والقدس وقال ابن حبان: أصله من بلخ، وعداده في البصريين، وإنما قيل له: الخراساني؛ لأنه دخل إلى خراسان، وأقام، ثم رجع إلى العراق، وكان من خيار عباد الله، روى عن بعض الصحابة وكثير من التابعين ولد سنة ٥٠ هجرية وتوفي سنة ١٣٥ هجرية. سير اعلام النبلاء للذهبي ١٧٨/١١

(٢) هو عبيد ابن عمير ابن قتادة الليثي الجندعي المكي الواعظ المفسر ولد في حياة رسول الله ﷺ حدث عن أبيه وعن الصحابة وكان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة، وهو أول من قص عبيد ابن عمير على عهد عمر ابن الخطاب وروى عنه كثير من التابعين توفي عام ٧٤ هجرية. سير اعلام النبلاء للذهبي ١٧٢/٧

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ٥٧/١.

(٤) المرجع السابق ٣٤/١.

(٥) هو عكرمة أبو عبدالله القرشي مولاها العلامة الحافظ المفسر المدني البربري الأصل مولى ابن عباس حدث عن الصحابة قال طلبت العلم أربعين سنة وكنت أفتي بالباب وابن عباس في الدار، قال له ابن عباس: انطلق فأفت الناس وأنا لك عون، حدث عنه كثير من التابعين مات بالمدينة عام ١٠٤ وعمره ثمانون سنة. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ١١/٩.

(٦) زاد المسير لابن الجوزي ٥٤٥/٢.

يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ ﴿التوبة: ٣٥﴾^(١).

٨- قال تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَى عَلَيْكُمْ﴾ المائدة: ١ المتلو علينا

من المحظور هي قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالِدَمُّ وَالْحَمُّ الْخَنِزِيرِ﴾ المائدة: ٣^(٢).

ومن قراءة التفسيرين تبين لنا أن الإمامين اعتمدا في تفسيريهما تفسير القرآن بالقرآن وذكراه في مواطنه سواء كان منقولاً من الحديث عن النبي ﷺ أو عن الصحابة والتابعين أو ما نقلاه من مشايخهما أو ما ذكراه من اجتهادهما.

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٢/٢١٠.

(٢) المرجع السابق ١/٥٠٦.

المطلب الثاني:

تفسير القرآن بالقراءات عند الإمامين

تمهيد:

علم القراءات أشرف العلوم منزلة، وأرفعها مكانة، وهو مصدر جميع علوم العربية عموماً، وعلوم الشريعة خصوصاً، يحتاج إليه: المقرئ، والمفسر، والمحدث، والفقهاء، واللغوي على السواء، وبهذا العلم المبارك تتعلق علوم أخرى مباشرة: كعلم تراجم القراء، وعلم توجيه القراءات، وعلم رسم المصحف، وعلم الضبط، وعلم التجويد، وغيرها.

والقراءات وحي منزل من الله ﷻ، والصحابة تعلموا القرآن بالأحرف المنزلة من الرسول ﷺ، وكان كل واحد منهم يقرأ الحرف الذي أخذه منه ﷺ التزمه وداوم عليه، ثم جاء دور تلامذتهم، وقد توسعوا في أخذ الأحرف وتلقيها من أساتذتهم من التابعين، فاخترتوا بعض ما تعلموه وداوموا على تلاوته والتزموه، وكان هذا العصر هو عصر الأئمة القراء، وقد اشتهروا بتعليم كتاب الله تعالى، فأقرأوا بعض تلامذتهم بما التزموه، والبعض الآخرين بما يتلاءم وطبائعهم حسب اللغة واللهجة التي درجوا عليها، ولم يُقرئوهم باجتهادهم؛ بل بما تعلموه من أساتذتهم بالأسانيد المتصلة إلى الرسول ﷺ^(١). قال مجاهد: لو كنتُ قرأتُ قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجتُ أن أسأله عن كثير مما سألته عنه، فهذا هو تفسير القرآن بالقرآن، وهو ما كان يرجع إليه الصحابة في تعرف بعض معاني القرآن، وهو عمل يقوم على كثير من التدبر والتعقل^(٢). قال عمر ابن الخطاب ﷺ سمعت هشام ابن حكيم ابن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها وكان

(١) الإبانة عن معاني القراءات أبو محمد مكي ابن أبي طالب حمّوش ابن محمد ابن مختار القيسي القيرواني ثم

الأندلسي القرطبي المالكي، تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٠٦.

(٢) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي ٤/٢.

رسول الله ﷺ أقرأنيها وكدت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف ثم لببته بردائه، فجئت به رسول الله ﷺ، فقلت إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأتيها، فقال لي أرسله، ثم قال له اقرأ، فقرأ قال لي: هكذا أنزلت، ثم قال لي: اقرأ فقرأت، فقال: هكذا أنزلت إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا منه ما تيسر^(١).

وسمع عمرو ابن العاص ﷺ، رجلاً يقرأ آية من القرآن، فقال: من أقرأكها؟ قال: رسول الله ﷺ، قال: فقد أقرأنيها رسول الله ﷺ على غير هذا، فذهبا إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما: يا رسول الله آية كذا وكذا ثم قرأها، فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت فقال الآخر: يا رسول الله، فقرأها على رسول الله ﷺ، وقال: أليس هكذا يا رسول الله قال: هكذا أنزلت، فقال رسول الله ﷺ: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأبي ذلك قرأتهم فقد أصبتم، ولا تماروا فيه، فإن المرء فيه كفر أو آية الكفر^(٢). وعن أبي بكر عن النبي ﷺ قال: أتاني جبريل، وميكائيل، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف واحد، فقال ميكائيل: استزده، قال: اقرأه على سبعة أحرف، كلها شاف كاف، ما لم تختم آية رحمة بعذاب، أو آية عذاب برحمة^(٣).

فوائد علم القراءات:

١- تيسير القراءة على القراء حيث كانت لغات من أنزل عليهم القرآن مختلفة، ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على رده إلى لغة أخرى إلا بعد تكلف ومثونة شديدة، فيسر الله عليهم أن أنزل كتابه على سبع لغات متفرقات.

٢- فيها برهان عظيم على سمو بلاغة القرآن، ومنزلته في الإيجاز، كما تدعم أحكاماً متعددة تفهم من الآية.

(١) صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم على بعض، رقم ٢٤١٩، ٦ / ١٨٤.

(٢) مسند أحمد، مسند عمرو ابن العاص ﷺ، رقم ١٧٨٤٥، ٢٩ / ٣٥٥.

(٣) المرجع السابق، مسند أبي بكر نفيع ابن الحارث ﷺ، رقم ٢٠٢٤٥، ٣٤ / ٧٠.

- ٣- في تعدد القراءات آية بالغة وبرهان قاطع على صدق الرسول ﷺ وعظمة الآية القرآنية؛ إذ إنه برغم تعدد القراءات، وتنوع الأداء لم يتطرق إليه تناقض ولا تضاد، ولا تخالف بل يصدق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض.
- ٤- في تعدد القراءات تفسير معنى لغوياً في قراءة أخرى مثل قراءة ابن مسعود: وتكون الجبال كالصوف المنفوش فإنها مفسرة للقراءة الأخرى.
- ٥- ما يكون في حجة في قضية من قضايا العقيدة تأييداً لأهل الحق، ودفعاً لأهل الزيغ وذلك كقراءة: رأيت نعيماً ومَلِكًا كبيراً بفتح الميم، وكسر اللام، وهي قراءة ابن كثير وغيره، وهي دليل واضح على رؤية الله في الدار الآخرة.
- ٦- تأثير اختلاف القراءات في الأحكام الفقهية، فقد تأتي مرجحة لحكم مختلف فيه، كقراءة: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ المائدة: ٨٩ (مؤمنة) في كفارة اليمين، فكان في هذه القراءة ترجيح لما اشترطه الشافعي من الإيمان في العبد المقرر عتقه.
- ٧- تقدم قراءات القرآن لدارسها سجلاً عن اللغات المنتشرة عند العرب، واختلافاتها الصوتية وفي الابنية والإعراب^(١).

(١) مدخل في علوم القراءات ١٤٦ للسيد رزق الطويل، ط: ١: المكتبة الفيصلية، ط: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

تفسير القرآن بالقراءات عند الإمامين ابن جزي وابن الجوزي

تفسير الإمام ابن جزي:

ذكر الإمام ابن جزي في مقدمته فقال: "وأما القراءات فإنها بمنزلة الرواية في الحديث، فلا بد من ضبطها كما يضبط الحديث بروايته"^(١).

- ذكر القراءات السبع المشهورة المعتبرة وهي التي يذكرها في تفسيره، وكما هو معلوم فإن المغاربة وبلاد الأندلس يقرؤون القرآن برواية نافع، فقال: "القراءات على قسمين مشهورة وشاذة فالمشهورة هي القراءات السبع وما جرى مجراها، والشاذة ما سوى ذلك وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع لوجهين: أحدهما: أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس، وسائر بلاد المغرب الأخرى، اقتداء بالمدينة شرفها الله؛ لأنها قراءة أهل المدينة وقال مالك ابن أنس: قراءة نافع سنة".

- بيّن في تفسيره أنه حتى وإن كانت قراءات مشهورة ولكنها لا تتعلق بالمعنى والإعراب فهو لا يذكرها، فقال: "وذكرنا من سائر القراءات ما فيها فائدة في المعنى والإعراب وغير ذلك"^(٢).

- علّل سبب عدم استيعابه للقراءات لسببين الأول: قال: استغنينا عن استيفاء القراءات لكونها مذكورة في الكتب المؤلفة فيها. وقد ألفنا فيها كتبنا نفع الله بها". الثاني: قال: "لما عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه ما لا تدعو إليه الضرورة"^(٣).

- وقف الإمام ابن جزي في مقدمته مرتين مع القراءات، وقد بيّن في الوقفة الأولى قراءته وقراءة بلاده وبيّن تفسيره في تفسيره، والثانية: التعريف بالقراءات في الباب الثامن في

جوامع القراءات وقد وضح فيه ما يلي:

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١٦/١.

(٢) المرجع نفسه ١٦/١.

(٣) المرجع نفسه ١٦/١.

نوعي القراءة: الأولى: المشهورة، وهي القراءات السبع ومن جرى مجراهم.

الثانية: الشاذة: وهي التي خالفت شروط القراءات الثلاث: موافقته لمصحف عثمان ابن عفان رضي الله عنه، وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه أو في بعض اللغات، ونقله نقلا متواترا أو مستقيضا.

- وضح في مقدمته اختلاف القراء في الفرش والأصول، فالفرش ما لا يرجع إلى أصل مضطرد ولا قانون كلي وقد يتفق أو يختلف في المعنى. أما الأصول: فلها قواعد لا تؤثر في المعنى^(١).

- في توجيهه للقراءات قد يذكر ترجيح القراءات، وقد لا يرجح. وهذه بعض الأمثلة:

١- قال تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الفاتحة: ٤ (ملك) بدون الألف، وهي قراءة نافع ملك قراءة الجماعة بغير الألف من الملك، ثم ذكر القراءات الأخرى، ثم قال: وقراءة الجماعة أرجح من ثلاثة أوجه: الأول: أن الملك أعظم من المالك إذ قد يوصف كل أحد بالمالك لماله وأما الملك فهو سيد الناس. والثاني: لقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ الأنعام: ٧٣. والثالث: أنها لا تقتضي حذفاً^(٢).

٢- قال تعالى: ﴿يُخٰدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخٰدِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ البقرة: ٩ قرئ: وما يخدعون بفتح الياء من غير ألف من خدع، وهو أبلغ في المعنى؛ لأنه يقال: خادع إذا رام الخداع، وخدع إذا تم له^(٣).

٣- قال تعالى: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ الحجر: ١٥ قرئ

سكرت بالتشديد والتخفيف ويحتمل أن يكون مشتقا من السكر، فيكون معناه أجبرت

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢٣/١.

(٢) المرجع نفسه ٦٥/١.

(٣) المرجع نفسه ٣١/١.

أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته أو من السكر وهو السد أي منعت أبصارنا^(١).

٤- قال تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ يوسف: ٣١، وأعدت لهن متكأ أي أعدت لهن ما يتكأ عليه من الفرش ونحوها، وقيل: المتكأ طعام، وقرئ في الشاذ متكا بسكون التاء وتثوين الكاف، وهو الأترج وإعطاؤها السكاكين لهن يدل على أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين كالأترج، وقيل: كان لحما^(٢).

٥- قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَفُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾ الأنعام: ٥٧، (يُقْضُ الْحَقُّ) من القصص، وقرئ يقضي بالضاد المعجمة من القضاء، وهو أرجح لقوله: (وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ) أي الحاكمين^(٣).

تفسير الإمام ابن الجوزي:

يرى الباحث أن الإمام ابن الجوزي سار في تفسيره على النحو التالي:

- لم يذكر الإمام ابن الجوزي في مقدمته ما يتعلق بالقراءات.
- بين في تفسيره مواطن القراءات حيثما وجدت.
- ذكر القراءات المشهورة والشاذة وتوسع في ذكرها.
- يرجح بعض القراءات ويذكر تعليل ذلك، وقد يذكر القراءات بدون ترجيح.
- يسند القراءات إلى أصحابها من القراء المشهورين وغيرهم.
- ما يميّز تفسير ابن الجوزي وقوفه مع معاني الكلمات الواردة في القراءات وبيان معنى الآية من وجوه القراءات المتعددة. وهذه بعض الأمثلة:

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٤١٦/١.

(٢) المرجع نفسه ٣٨٦/١.

(٣) المرجع نفسه ٣٦/٢.

١- قال تعالى: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ الفاتحة: ٤، قرأ جمهور القراء (مَلِك) بفتح الميم مع كسر اللام، وهو أظهر في المدح؛ لأن كل ملك مالك، وليس كل مالك ملكاً^(١).

٢- قال تعالى: ﴿ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارُهُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ المائدة: ٨٩، وفي تتابع الثلاثة أيام قولان: أحدهما: أنه شرط، وكان أبي، وابن مسعود يقرآن: ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ ﴾^(٢).

٣- قال تعالى: ﴿ لَا جُرْمَ أَنْ هُمْ النَّارَ وَأَنْهُمْ مُفْرَطُونَ ﴾ النحل: ٦٢، قرأ أبو جعفر (مُفْرَطُونَ) بفتح الفاء وتشديد الراء وكسرها، وتصديق هذه القراءة قوله تعالى: ﴿ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ الزمر: ٥٦، وروى الوليد ابن مسلم^(٣) عن ابن عامر^(٤) (مُفْرَطُونَ) بفتح الفاء والراء وتشديدها، قال الزجاج: وتفسيرها كتفسير القراءة الأولى، فالمفراط والمفراط بمعنى واحد^(٥).

٤- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ البقرة: ٢٢٢ ﴿ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ ذكر أن لها قراءتان: الأولى: خفيفة أي ينقطع عنهن الدم، يقال: طهّرت المرأة وطهّرت: إذا رأت الطهر، وإن لم تغتسل بالماء. والثانية (يطهّرن) بتشديد الطاء والهاء وفتحهما، ومن قرأ يطهّرن بالتشديد أراد: يغتسلن بالماء، قال ابن عباس،

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١٩/١.

(٢) وبه قال ابن عباس، ومجاهد، وطاوس، وعطاء، وقتادة، أبو حنيفة، وهو قول أصحابنا. انظر زاد المسير ٥٨٠/١.

(٣) هو الوليد ابن مسلم أبو العباس الدمشقي مولى بني أمية الإمام الحافظ عالم أهل الشام روى عن كثير من التابعين، كان من أوعية العلم ثقة حافظ صنف التصانيف وتصدى للإمامة وكان كثير العلم والحديث ولد عام ١١٩ ورحل عام ١٩٤ ثم رجع فمات بالطريق. سير اعلام النبلاء للذهبي ٢١٩/١٧.

(٤) هو أبو عيسى سليم ابن عيسى ابن سليم ابن عامر الحنفي مولاهم شيخ القراء الحنفي مولاهم الكوفي تلميذ حمزة وأحذق أصحابه، تلا على حمزة ابن حبيب عشر ختم، وهو خلفه في الإقراء تلا عليه كثير من القراء كخلف وخلاد والدوري وروى عن حمزة والثوري مات عام ١٨٨ هجرية. سير اعلام النبلاء للذهبي ٣٨٧/١٧.

(٥) زاد المسير لابن الجوزي ٥٦٧/٣.

ومجاهد: حتى يطهرن من الدم، فاذا تطهرن اغتسلن بالماء^(١).

٥- قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ النساء: ٩٤

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ ذكر أن لها قراءتان الأولى: فتبينوا بالنون من التبيين للأمر قبل الإقدام عليه. والثانية: (فتنبتوا) بالثاء من الثبات وترك الاستعجال، وكذلك قرؤوا في الحجرات^(٢).

٦- قال تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ يوسف: ٣٠، وقرأت (قد شغفها) بالعين. أي كأنه

ذهب بها كل مذهب، والشَّغَفَ: رؤوس الجبال^(٣).

٧- قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ يوسف: ٢٣، (هَيْتَ) اسم فعل معناه تعال

وأقبل، وقرئ بفتح الهاء وكسرها وفتح التاء وضمها، والمعنى في ذلك كله واحد، وحركة التاء للأبناء، وأما من قرأ بالهمز، فهو فعل من تهيأت كقولك: جئت^(٤).

٨- قال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغَشَّىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ إبراهيم: ٥٠، وقرأت:

مِنْ قَطْرٍ بكسر القاف وسكون الطاء والتتوين (أَنْ) بقطع الهمزة وفتحها ومدها. والقَطْرُ: النحاس، وأن: قد انتهى حره^(٥).

ومن قراءة تفسير الإمامين تبين لنا أن الإمامين ذكرا في تفسيريهما تفسير القرآن

بالقراءات وكان الإمام ابن الجوزي مكثراً في ذلك.

(١) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص، عن عاصم { حتى يطهرن } خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر، عن عاصم { يَطْهَرْنَ } بتشديد الطاء والهاء وفتحهما. زاد المسير ١/١٩٠.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ١/٤٥٣ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: (فتبينوا) . وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف { فتنبتوا }.

(٣) قرأ عبد الله ابن عمرو، وعلي ابن الحسين، والحسن البصري، ومجاهد، وابن محيصن، وابن أبي عبله (قد شغفها) بالعين زاد المسير ٢/٤٣٤..

(٤) زاد المسير لابن الجوزي ١/٣٨٤.

(٥) وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو مجلز، وعكرمة، وقتادة، وأبو حاتم عن يعقوب: «مِنْ قَطْرٍ» زاد المسير ٢/٥٢٠.

المطلب الثالث

تفسير القرآن بالأشباه والنظائر عند الإمامين

تمهيد:

المتشابه: إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة ويكثر في إيراد القصص والأنبياء^(١)، بأن يأتي في موضع واحد مقدما وفي آخر مؤخرا، كقوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا أَبْأَبَ سُجْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ البقرة: ٥٨، وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا أَبْأَبَ سُجْدًا﴾ الأعراف: ١٦١، وفي موضع بزيادة وفي آخر بدونها^(٢). والموضوع مطلقا، سواء ورد في أثناء قصة قرآنية أو غيرها، مثل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ النساء: ١٣٥، وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ المائدة: ٨^(٣).

فالمتشابه اللفظي في آيات القرآن الكريم، هو أن تجيء الآيات القرآنية متكررة في القصة الواحدة من قصص القرآن، أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، تقديمًا وتأخيرًا، وزيادة ونقصًا، وذكرًا وحذفًا، وتعريفًا وتذكيرًا، وإفرادًا وجمعا، وإيجازًا وإطنابًا، وغيره وما في إحدى المتشابهتين مما ليس في الأخرى من تقديم أو تأخير أو زيادة^(٤).

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/١١٢.

(٢) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ٣/٣٩١.

(٣) درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله محمد ابن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، دراسة وتحقيق

وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها

(٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط/١: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ١/٥٣.

(٤) المرجع السابق ١/٥٥.

وأما الوجوه فهي اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان، كلفظ الهدى، فقد ورد له في القرآن سبعة عشر معنى، منها: بمعنى البيان، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ البقرة: ٥، وبمعنى الدين، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ أَلْهَدَىٰ اللَّهُ هُدًى لِّلَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ﴾ آل عمران: ٧٣، وبمعنى الإيمان، قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ مريم: ٧٦، وبمعنى الداعي، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ الرعد: ٧، وبمعنى الرسل والكتب، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ البقرة: ٣٨، وبمعنى المعرفة، قال تعالى: ﴿وَبِالتَّجْمِيمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ النحل: ١٦، وبمعنى الرشاد، قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٦^(١).

والنظائر كالألفاظ المتواطئة^(٢). وهي الألفاظ المتحدة الدالة على مسميات مختلفة الحقيقة باعتبار معنى مشترك بينها كدلالة الحيوان على أنواعه: الإنسان، والفرس والطائر^(٣). وقد استعمل المفسرون النظائر للدلالة على الألفاظ المختلفة لفظاً والمتفقة معنى، فقالوا: الابتلاء، والاختبار، والامتحان: نظائر، فيذكرون الكلمة الواحدة، ثم يذكرون معانيها المتعددة، ويستدلون على كل معنى بالآيات القرآنية^(٤).

مثال، قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ الانشقاق: ١، و قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ التكوير: ١، وما بعدها في السورة، و قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ الانفطار: ١، وما بعدها وقال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ الواقعة: ١.

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/١٠٣.

(٢) المرجع السابق ١/١٠٢، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/١٤٤.

(٣) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ليحيى ابن سلام ابن أبي ثعلبة البصري ثم الإفريقي القيرواني، قدمت له وحققته: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ط: ١٩٧٩ م، ١٧.

(٤) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم لسليمان القرعاوي ١/٣.

فوائد الأشباه والنظائر:

- ١- تأصيل الدراسات القرآنية والعلمية، وهو من الأنواع التي اشتمل عليها القرآن في بيان أنه وحي، لا عمل للبشر فيه مع تنوع استعمالاته من تقديم وتأخير، أو زيادة وحذف، أو تعريف وتكثير، أو إبدال شيء منه بشيء آخر في الموضوع الواحد.
- ٢- كثير من ألفاظ القرآن اختيرت اختياراً فيه وجه الإعجاز من هذا الاختيار، وبذلك نتعرف على أن لأسلوب القرآن الكريم طابعاً خاصاً يسلكه في اختيار ألفاظه وتراكيبه.
- ٣- يرد على بعض المشككين والملحددين الذين يطعنون في القرآن من خلال ما تشابه أو تماثل أو تكرر من ألفاظ القرآن وآياته، مدعين أنه غير مفهوم، أو تكرر لا هدف له.
- ٤- أكبر عون على حفظ كتاب الله تعالى، إذ أن التصنيف في هذا العلم يساعد حفاظ القرآن الكريم على ضبط حفظهم بأداء كل لفظ في موطنه، دون ما التباس بالمتشابه معه.
- ٥- يملأ النفس إيماناً بعظمة الله تعالى وقدرته حين يقف الإنسان في تفسير هذا النوع من الآيات على دقائق الأسلوب البياني للقرآن الكريم، ودراسته تعين على الفقه في كتاب الله، وإظهار إعجازه وجزارة معانيه وأسراره^(١).

تفسير القرآن بالأشباه والنظائر عند الإمامين ابن جزي وابن الجوزي

تفسير الإمام ابن جزي:

- يتبين للباحث في تفسير الإمام ابن جزي فيما يتعلق بالأشباه والنظائر ما يلي:
- بين الإمام ابن جزي في تفسيره الآيات التي لها أشباه ونظائر في تفسيره.

(١) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي ١/ ٦٢.

- ذكر الآيات من النظائر بعد بيان المعنى للآية وزيادة في توضيحها.

- وضح معاني الآيات بالأشباه والنظائر من القصص، وغيرها. وهذه بعض الأمثلة:

١- قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ الجاثية: ٢١، المراد بها إثبات الجزاء في الآخرة، وتفضيل المؤمنين على الكافرين في الآخرة، وهذا المعنى هو الأظهر والأرجح، فيكون معنى الآية كقوله تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ القلم: ٣٥، و كقوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ ص: ٢٨ (١).

٢- قال تعالى: ﴿ وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ الأعراف: ١٨٠، قيل: معنى ذروا الوعيد والتهديد، كقوله تعالى: ﴿ وَذُرِّي وَالْمُكَذِّبِينَ ﴾ المزمل: ١١، وهو الأظهر لما بعده (٢).

٣- قال تعالى: ﴿ يُضَعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ هود: ٢٠، المعنى وصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون، كقوله تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ البقرة: ٧ (٣).

٤- قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ﴾ الرعد: ٨، كقوله تعالى: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ لقمان: ٣٤ (٤).

٥- قال تعالى: ﴿ وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ الرعد: ٢٢، والأظهر يفعلون الحسنات

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢/٢٧١.

(٢) المرجع نفسه ١/٣١٤.

(٣) المرجع نفسه ١/٣٦٨.

(٤) المرجع نفسه ١/٤٠٤.

فيدرؤون بها السيئات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ هود: ١١٤^(١).

٦- قال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ هود: ٨٣، الضمير للمدائن، فالمعنى

ليست ببعيدة منهم أفلا يعتبرون بها، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمِطِرَتْ مَطَرَ

السَّوِّءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ الفرقان: ٤٠^(٢).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١١٦/٢.

(٢) المرجع السابق ٣٧٦/١.

تفسير الإمام ابن الجوزي:

يتبن للباحث كذلك في تفسير ابن الجوزي فيما يتعلق بالأشباه والنظائر ما يلي:

- بين في تفسيره آيات القرآن ما يوضحها من الأشباه والنظائر.
- ذكر الأشباه والنظائر في موضوعات القرآن وقصصه.
- توسع في ذكر الأشباه والنظائر مقارنة بالإمام ابن جزي، وذكرها في اللغة كذلك.

١- قال تعالى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ المائدة: ٨٩، أقلوا منها، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ البقرة: ٢٢٤^(١).

٢- قال تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ الشعراء: ٤، لما وصف الأعناق بالخضوع، وهو من صفات بني آدم، أخرج الفعل مخرج الأدميين كما في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأْيُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ يوسف: ٤^(٢).

٣- قال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ الدخان: ٢٩، المراد: أهل السماء وأهل الأرض، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ محمد: ٤، أي: أهل الحرب^(٣).

٤- قال تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ^ج فَتَمَتَّعُوا^ط فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ النحل: ٥٥، ليكفروا بأننا أنعمنا عليهم، فجعلوا نعمنا سبباً إلى الكفر، وهو كقوله تعالى: ﴿وَقَالَكَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ^ط﴾ يونس: ٨٨^(٤).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١/٥٨١.

(٢) المرجع نفسه ٣/٣٣٥.

(٣) المرجع نفسه ٤/٩٠.

(٤) المرجع نفسه ٢/٥٦٥.

٥- قال تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ الحجر: ٢، فإن قيل: كيف جاء بعد ربما مستقبل، وسبيلها أن يأتي بعدها الماضي، تقول: ربما لقيت عبد الله؟ فالجواب: أن ما وعد الله حقاً، فمستقبله بمنزلة الماضي، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ المائدة: ١١٦، وقوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ الأعراف: ٤٤، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾ سبأ: ٥١^(١).

ومن هنا نعرف أن الإمامان اتفقا في تفسيريهما على تفسير القرآن بالأشباه والنظائر، وقد ذكرا الآيات وما ناظرها وشابهها من الآيات التي ذكرت أحكاماً أو ذكرت قصصاً وما تحتاج من بيان وتوضيح.

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٥٢٢/٢.

المبحث الثاني

تفسير القرآن بالسنة

وفيه مطلبان

- المطلب الأول: معنى السنة وأهميتها في التفسير.**
- المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة عند الإمامين.**

المطلب الأول

معنى السنة وأهميتها في التفسير:

معنى السنة:

السنة في اللغة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة^(١)، و الطريقة مرضية كانت أو غير مرضية والعادة^(٢).

وفي الاصطلاح: هي ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير^(٣). وقد بين القرآن الكريم مهمة النبي ﷺ بالنسبة للتشريع، فإذا كان الخطاب الذي جاء به القرآن الكريم خطابا عاما مجملا، فهنا تأتي المهمة في البيان والتوضيح لمراد الله تعالى والتي كلف بها الرسول ﷺ حينما قال الله له: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴾ النحل: ٤٤، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ النحل: ٦٤. وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبْنَاكَ اللَّهُ ﴾ النساء: ١٠٥، وعن المقداد ابن معد يكرب^(٤): أن رسول الله ﷺ قال: ألا إنني أوتيت الكتاب ومثله معه^(٥)، وكان الرسول ﷺ يتلو على أصحابه القرآن الكريم، ويوضح لهم معانيه، ويبين لهم أحكامه، ويقص عليهم أخباره، ويطبق تعاليمه؛ ليكون لهم الأسوة والقودة في البيان والتوجيه والتنفيذ عليه الصلاة والسلام. وإذا جاء التفسير عن النبي ﷺ، فهو في

(١) لسان العرب لابن منظور ٢٢٠/١٣.

(٢) التعريفات لعلي ابن محمد الجرجاني، ت ابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: ١٤٠٥، ١/١٢٢.

(٣) الموسوعة القرآنية، خصائص السور، لجعفر شرف الدين، ت: عبد العزيز ابن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت، ط/١: ١٤٢١هـ، ٤٢/١٠.

(٤) المقداد ابن معد يكرب ابن عمرو ابن يزيد ابن معد يكرب، يكنى أبا كريمة، وقيل كنيته أبو يحيى. صحب النبي ﷺ، وروى عنه أحاديث، ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من أهل الشام، وقال: مات سنة سبع وثمانين، وهو

ابن إحدى وتسعين سنة، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ١٦١.

(٥) مسند أحمد، مسند المقدم ابن معدي كرب ﷺ، رقم ١٧١٧٣، ٤١٠/٢٨.

المرتبة الثانية، بعد تفسير القرآن، ورسول الله هو المبين للقرآن الكريم، والموضح لمراد الله في كتابه، وقد قال له ربه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾ النحل: ٤٤.

أهمية السنة في التفسير:

تفسير القرآن بالسنة هو المصدر الثاني من مصادر التفسير بالمأثور، وهو مصدر متفق عليه، وقد دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، كما دل على ذلك النظر الصحيح^(١). فإن لم يوجد تفسير للقرآن في القرآن، فليبحث عما ثبت وصح في السنة، والأحاديث؛ فإنها شارحة للقرآن، ومبينة له^(٢). قال ابن تيمية: فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة؛ فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له، قال الإمام الشافعي^(٣): كل ما حكم به رسول الله ﷺ، فهو مما فهمه من القرآن^(٤)، وعن مكحول^(٥) قال: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن، وقالوا: السنة قاضية على الكتاب، وليس الكتاب بقاض على السنة^(٦).
والسنة النبوية هي الشارحة للقرآن والمبينة والمقررة لأحكامه ومعانيه ومقاصده ومراميه

(١) تفسير القرآن بالسنة لمحمد المسند ١/١.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد أبو شهبة ٤٩.

(٣) هو محمد ابن إدريس ابن عثمان ابن شائع ابن السائب ابن عبيد ابن يزيد ابن هاشم ابن المطلب ابن عبد مناف ابن قصي ابن كلاب الامام عالم العصر ناصر الحديث فقيه الملة ابو عبد الله القرشي المكي الغزي ولد بغزة عام ١٥٠ هجرية مات ابوه شابا فانقل الى مكة وعمره عامين فكبر فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وحفظ الموطأ وهو ابن عشر سنين وتعلم العربية والشعر ثم حبيب اليه الفقه فساد اهل زمانه وافتى وتأهل للإمامة له مذهب ومصنفات. سير اعلام النبلاء للذهبي ٥/١٠.

(٤) الشرح اليسير على مقدمة أصول التفسير لمهران ماهر عثمان ٧٨.

(٥) هو الحافظ، الامام المحدث الرحال أبو عبد الرحمن محمد ابن عبد الله ابن عبد السلام ابن ايوب البيروتي ولقبه مكحول سمع من كثير من التابعين وروى عنه كثير من التابعين وكان ثقة من أئمة الحديث مات في اول جماد الاخرة سنة ٣٢١ هجرية. سير اعلام النبلاء للذهبي ٣٣/١٥.

(٦) الشرح اليسير على مقدمة أصول التفسير ٢/١.

وقصصه وأمثاله^(١)، وقد صح عن الأئمة الأربعة المجتهدين أن كل واحد منهم قال: إذا صح الحديث فهو مذهبي^(٢).

لغات:

الأولى: في تفسير النبي ﷺ للقرآن الكريم الذي بيّنه لأصحابه لم يكن ليفسر لهم كل آية من القرآن الكريم بل كان بيانه لهم فيما يتعلق بالأحكام الشرعية أو ما فيه الفائدة لأصحابه.

الثانية: أن ما نقل إلينا من تفسير النبي ﷺ، فهو من بيانه لأصحابه فيما أشكل عليهم من المعاني والأحكام مع ما هم عليه من العلم والصلاح والفهم للغة العرب وتزداد الفوارق بينهم وبين من أتى من بعدهم في العلم والفهم فتجعل المتأخر دون الصحابة في فهمه لكتاب الله.

الثالثة: وليس هناك كتاب جامع لتفسير القرآن بسنة النبي ﷺ، وقد ذكروا أن الترمذي في السنن هو أطول أهل السنن في التفسير وكذلك ابن العربي، وكذلك أيضاً السيوطي في كتاب (الدر المنثور) هذا من أجمع المراجع في تفسير القرآن بالسنة، والسيوطي^(٣) أيضاً له فصل، في كتابه الإتقان، وذكر فيه الأحاديث التي وقف عليها وقد فسرت القرآن^(٤).

(١) نحو تفسير أمثل لتفسير القرآن للدكتور أحمد ابن محمد الشرقاوي ٣٠.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد ابن محمد أبو شهبة ١٠٦/١.

(٣) هو أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن كمال الدين أبو بكر ابن عثمان ابن محمد ابن خضر ابن محمد ابن الشيخ الهمام الخضيرى السيوطي المصري الشافعي ولد في رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة بالقاهرة حفظ القرآن دون ثمان سنين ثم عمدة الأحكام ومنهاج النووي وغيره دون البلوغ ثم اشتغل بالعلم على عدة مشايخ مصنفاته نحو الستمائة مصنفات توفي سنة إحدى عشر وتسعمائة انظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر ٥١.

(٤) مقدمة التفسير لابن تيمية شرح خالد ابن علي المشيقح ١٠٨.

المطلب الثاني

تفسير القرآن بالسنة عند الإمامين

تفسير الإمام ابن جزى:

ذكر الإمام ابن جزى في مقدمته فقال: " وأما الحديث، فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه لوجهين: الأول: أن كثيرا من الآيات في القرآن نزلت في قوم مخصوصين، ونزلت بأسباب قضايا وقعت في زمن النبي ﷺ من الغزوات والنوازل والسؤالات، ولا بد من معرفة ذلك، ليعلم فيمن نزلت الآية وفيما نزلت ومتى نزلت، الثاني: أنه ورد عن النبي ﷺ كثير من تفسير القرآن فيجب معرفته، لأن قوله ﷺ مقدم على أقوال الناس^(١).

- بين أنه فسّر الآيات بالسنة النبوية من جهتين: الأولى: ما يتعلق بسبب النزول من أحداث وأسئلة فيجيب عنها؛ ليكون بيانه تفسير للآية. الثاني: ما ورد عنه ﷺ من أحاديث في تفسير القرآن غير متعلق بسبب النزول باعتبار أن القرآن الكريم ليس كله له أسباب نزول.

- يذكر الأحاديث في تفسيره مباشرة بعد ذكر الآية، وهذا يعني أنه يقدم الحديث على غيره من الأقوال.

- لم يلتزم بإيراد الأحاديث الصحيحة فقد أورد أحاديث ضعيفة.

- يبين ما يذكره من الصحاح، ولا يذكر ضعف الحديث من غيره في السنن، وغيرها، وقد يذكر مصدر الحديث، وقد لا يذكره.

- أورد الأحاديث وهي باللفظ وأورد أحاديث كثيرة بالمعنى.

- قد يذكر الحديث مكتملا والأكثر ما يذكر جزءاً منه.

وهذه بعض الأمثلة في تفسير القرآن بالسنة

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ١٧/١.

١- قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ الأنفال: ٦٠، من قوة، قال رسول الله ﷺ: «ألا إن القوة الرمي»^(١).

٢- قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ الإسراء: ٣٣، الحق الموجب لقتل النفس هو ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس أخرى»^(٢).

٣- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ آل عمران: ١٦١، وقد جاء ذلك مفسراً في الحديث قال رسول الله ﷺ: لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير لا ألفين أحدكم على رقبته فرس لا ألفين أحدكم على رقبته رقاع لا ألفين أحدكم على رقبته صامت، لا ألفين أحدكم على رقبته إنسان، فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك^(٣).

٤- قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ﴾ الحجرات: ١٣، بين الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب إنما هو بالتقوى قال رسول الله ﷺ: من أحب أن يكون أكرم الناس فليتيق الله^(٤).

٥- قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ ق: ٤، ما تنقص الأرض منهم من لحومهم وعظامهم فلا يصعب علينا بعثهم، قال رسول الله ﷺ: كل جسد ابن آدم تأكله

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٣٢٨/١، والحديث رواه مسلم، كتاب الامارة، باب فضل الرمي والحث عليه ونم من علمه ثم نسيه، رقم ٥٠٥٥، ٥٢/٦.

(٢) المرجع السابق ٤٤٥/١، الحديث رواه مسلم، كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم، رقم ٤٤٦٨، ١٠٦/٥.

(٣) المرجع السابق ١٧٠/١، والحديث رواه مسلم، كتاب الايمان، باب غلظ تحريم الغلول، رقم ٤٨٣٩، ١٠/٦.

(٤) المرجع السابق ٢٩٨ / ٢، والحديث ليس بهذا اللفظ- حيث لم أعثر عليه - وقد جاء في البخاري، باب قول الله تعالى: لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين عن أبي هريرة، رضي الله عنه، سئل رسول الله ﷺ: من أكرم الناس قال أنقاهم لله، رقم ٣٣٨٣، ١٨٢/٤.

الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب^(١).

٦- قال تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ النجم: ١٤، هي شجرة في السماء السابعة، قال

رسول الله ﷺ: ثمرتها كالقلال وورقها كأذان الفيلة^(٢).

تفسير الإمام ابن الجوزي:

أما الإمام ابن الجوزي فتفسيره في تفسير القرآن بالسنة على النحو التالي:

- ذكر الأحاديث المتعلقة بسبب النزول أو الأحاديث المبينة لمعنى الآية.
- يبيّن الأقوال في الآية حيث يذكر عدّة أقوال في الآية الواحدة ويذكر الأحاديث لهذه الأقوال إذا كانت متعلقة بها وينسب هذه الأقوال لأصحابها.
- بيّن في تفسيره بالأحاديث بصورة أوسع من الإمام ابن جزي.
- ذكر في تفسيره أحاديث صحيحة مبينا مصدرها من الصحاح، وأخرى ضعيفة مبينا مصدرها من السنن، وغيرها، ولكن لا يبيّن ضعفها، وقد يذكر أحاديث ولا يبيّن درجتها ولا مصدرها.
- أورد في تفسيره أحاديث ضعيفة كثيرة وموضوعة.
- ما يذكره من الأحاديث قد يكون باللفظ وقد يكون بالمعنى وهو الأكثر.
- قد يذكر الحديث مكتملاً وقد يذكره جزءاً منه المتعلق بالآية.

وهذه بعض الأمثلة:

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢/ ٣٠٠، والحديث في مسند أحمد رقم ١٠٤٧٧، مسند أبي هريرة قال رسول

الله ﷺ: يبلى كل عظم من ابن آدم إلا عجب الذنب، وفيه يركب الخلق يوم القيامة، ٢٩٠/١٦.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٣١٧، والحديث رواه احمد في مسنده رقم ١٢٥٠٥، مسند أنس ابن مالك قال رسول الله ﷺ ثم

ذهب بي إلى سدره المنتهى، وإذا ورقها كأذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال ٤٨٧/١٩.

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِتْمٌ﴾ (الحجرات: ١٢)، روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا ظننتم فلا تحققوا^(١)، وهذا من الظن الذي يعرض في قلب الإنسان في أخيه فيما يوجب الريبة فلا ينبغي له أن يحققه. فأما ما روي في الحديث: احتسروا من الناس بسوء الظن^(٢) فالمراد: الاحتراس بحفظ المال^(٣).

٢- قال تعالى: ﴿إِنْ تَجَتَبَوُا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (النساء: ٣١)، وفي الكبائر أحد عشر قولاً، وذكر أحاديث منها حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات^(٤).

٣- قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام: ٥٩)، ذكر حديث ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله، لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا تعلم نفس بأبي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله^(٥).

(١) الترغيب والترهيب لقوام السنة لأبي القاسم إسماعيل ابن محمد ابن الفضل الأصبهاني قوام السنة، ت: أيمن ابن صالح شعبان، دار الحديث - القاهرة، ط: ١٤١٤ هـ، باب الترهيب من التطير، رقم ٧٢٦، ٤١٦/١.

(٢) المعجم الأوسط لسليمان ابن أحمد ابن أيوب ابن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، ت: طارق ابن عوض الله ابن محمد، عبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، باب من اسمه أحمد، رقم ٥٩٨، ١٨٩/١.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ١٥١/٤.

(٤) المرجع السابق ٣٩٦/١ والحديث رواه البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ رقم ٢٧٦٦، ١٦٢/٧.

(٥) المرجع السابق ٣٧/٢، والحديث رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾، رقم ٤٦٩٧، ٧١/٦.

٤- قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(١) الزمر: ٦٧، وذكر حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثم يقول: أنا المَلِكُ، أين ملوكُ الأرض؟^(٢). وحديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: يطوي الله ﷻ السموات يومَ القيامة، ثم يأخذُهنَّ بيده اليمنى، ثم يقول: أنا المَلِكُ، أين الجبَّارون، أين المتكبرون؟^(٣). قال ابن عباس: الأَرْضُ والسموات كُلُّها بيمينه. وقال سعيد ابن جبير: السموات قَبْضَةٌ والأرضون قبضة^(٤).

٥- قال تعالى: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ الفرقان: ١٤، قال الزجاج: الثبور مصدر، فهو للقليل والكثير على لفظ الواحد، كما تقول: ضربته ضربا كثيرا، والمعنى: هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة، وروى أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: أول من يكسى من أهل النار يوم القيامة إبليس، يكسى حلة من النار فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته خلفه، وهو يقول: وا ثبوراه، وهم ينادون: يا ثبورهم، حتى يقفوا على النار، فينادي: يا ثبوراه، وينادون: يا ثبورهم، فيقول الله ﷻ: لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا^(٥).

والذي تبين لنا أن الإمامين ابن جزى وابن الجوزي ذكرا في تفسيريهما تفسير القرآن بالسنة وبيننا في مواطن عدة تفسير ذلك، وقد استشهدا بأحاديث منها صحيح ومنها ضعيف على خلاف ما شرطا على أنفسهما من ذكر الصحيح وذكر كذلك الحديث إما مجزأً أو مكتملا وباللفظ أو بالمعنى وما ذكرناه سواء ما بينه النبي ﷺ أو من اجتهادهما.

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله {والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه}، رقم ٤٨١٢، ٤٢/١٢.

(٢) رواه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفة الجنة والنار، رقم ٢٧٨٨، ١٢٥/٨.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ٢٦/٤.

(٤) المرجع السابق ٣/ ٣١٤، والحديث رواه أحمد في المسند، مسند أنس ابن مالك ﷺ، رقم ١٢٥٣٦، ١٥/٢٠.

المبحث الثالث

تفسير القرآن بقول الصحابي

وفيه مطلبان

المطلب الأول: تعريف الصحابي وأهميته.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بقول الصحابي عند الإمامين .

المطلب الأول:

تفسير القرآن بقول الصحابي

تعريف الصحابي:

الصحابي في اللغة: مأخوذ من مادة (صحب) صحبه يصحبه صحبة بالضم وصحابة بالفتح وصاحبه عاشره والصاحب المُعاشر^(١).

وفي الاصطلاح: هو من رأى النبي ﷺ وإن لم يختص به اختصاص المصحوب ولا روى عنه ولا طالت مدة صحبته، وذهب آخرون إلى أن الصحابي إنما يطلق على من رأى النبي ﷺ واختص به اختصاص المصحوب وطالت مدة صحبته وإن لم يرو عنه^(٢). وقيل: كل مسلم رأى رسول الله ﷺ ولو لحظة^(٣)، أو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام^(٤).

أهمية تفسير الصحابي:

وما نقل عن الصحابة ﷺ من التفسير لكتاب الله فيعتمد عليه ويؤخذ به؛ لأن القرآن أول ما خاطبهم وعليهم أنزل وفهمهم لكتاب الله حجة على من بعدهم خصوصاً إذا كان في أمر الأحكام أو في العقائد، إذا لم يؤثر في القرآن أو في السنة من بيان لكلام الله، وتوضيح لمعانيه، فما نُقل عن الصحابة ﷺ من التفسير لكتاب الله فيعتمد عليه ويؤخذ به. وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن تفسير الصحابي له حكم المرفوع إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول وكل ما ليس للرأي فيه مجال. أما ما يكون للرأي فيه مجال فهو

(١) لسان العرب لابن منظور ٥١٩/١.

(٢) الأحكام في أصول القرآن لابن حزم الظاهري الأندلسي ١٤٣.

(٣) نقل عن النووي وأحمد ابن حنبل والبخاري والمحدثين كافة انظر الحديث في علوم القرآن والحديث، لحسن محمد

أيوب، دار السلام - الإسكندرية، ط/٢: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ٢٣٣

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ محمد مال الله ٧/١٥.

موقوف عليه ما دام لم يُسندِه إلى رسول الله ﷺ (١). " فإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اقتصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح" (٢).

(١) مناهل العرفان للزرقاني ١/٣٤٧.

(٢) مقدمة في التفسير لابن تيمية ١٢.

المطلب الثاني:

تفسير القرآن بقول الصحابي عند الإمامين

تفسير الإمام ابن جزي:

يرى الباحث أن الإمام ابن جزي سار في تفسيره على النحو التالي:

- ذكر الإمام ابن جزي في وجوه الترجيح في أقوال المفسرين: " الثالث: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه. الرابع: أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة، وعبد الله ابن عباس: لقول رسول الله ﷺ: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"^(١).

وهذا يعني في تفسيره تقديم قول جمهور المفسرين على قول كبار الصحابة، وهذا الكلام فيه نظر، لأن كلام الصحابي معتبر بعد كلام رسول الله ﷺ إذا كان كلامه في العقائد والغيبات والتي لها حكم الرفع كما لا يخفى، وقد يكون الكلام سمعه من رسول الله ﷺ ولم يصرح به. وقد تتبعت مواضع عدّة من أقوال الصحابة؛ لأبحث في تفسيره من حيث التقديم والتأخير لأقوال الصحابة فظهر لي:

- لم تثبت له هذه المنهجية في تقديم قول الجمهور على الصحابة من حيث بيانه لمعنى الآية أو ذكرها في تفسيره للآية.

- يذكر أقوال الصحابة في الغالب بعد ذكر الآية.

- قد يذكر المعنى العام للآية أو جزء منها، ثم يذكر قول الصحابي.

- في تعدد الأقوال قد يذكر قول الصحابي ابتداء ثم يذكر الأقوال الأخرى وقد يؤخره.

وحسب رأي الباحث أن كلام المؤلف - رحمه الله - أقرب للتظهير من الواقع في هذه المسألة، لأن قول الصحابي معتبر بناء على ما سمع أو على ما فهم ففهمه حجة على

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/١٩.

الآخرين لأن الصحابة هم أركى وأولى من غيرهم في فهم وبيان معاني القرآن الكريم، وفي تقديم قول جمهور المفسرين على الصحابة هل قال الجمهور قولاً خالفوا فيه الصحابة حتى يقدم قولهم.

وقد وضح ذلك في طبقات المفسرين - والتي ذكرها في مقدمته - فقال: " واعلم أن المفسرين على طبقات: فالطبقة الأولى الصحابة رضي الله عنهم وأكثرهم كلاماً في التفسير ابن عباس رضي الله عنهما وكان علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يثني على تفسير ابن عباس ويقول: كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق. وقال ابن عباس: ما عندي من تفسير القرآن فهو من علي ابن أبي طالب وغيرهم، وكل ما جاء من التفسير عن الصحابة فهو حسن^(١). وهذه بعض الأمثلة:

١- قال تعالى: ﴿ مِرْطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ الفاتحة: ٧، قال ابن عباس: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون^(٢).

٢- قال تعالى: ﴿ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنِّ ﴾ النساء: ٣٦، قال ابن عباس: الرفيق في السعي، وقال عليّ ابن أبي طالب: الزوجة^(٣).

٣- قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾ فصلت: ٣٠، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: استقاموا على قولهم: ربنا الله، فصح إيمانهم ودام توحيدهم، وقال عمر: استقاموا على الطاعة وترك المعاصي، وقول عمر أكمل وأحوط، وقول أبي بكر أرجح^(٤).

٤- قال تعالى: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءآيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ ﴾

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢٠/١.

(٢) المرجع نفسه ٢١/١.

(٣) المرجع نفسه ٤٠٤/١.

(٤) المرجع نفسه ٢٤١/٢.

الأعراف: ١٧٥، قال ابن مسعود: هو رجل من بني إسرائيل بعثه موسى ﷺ إلى ملك مدين داعياً إلى الله، فرشاه الملك وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ففعل، وأضل الناس بذلك، وقال ابن عباس: هو رجل من الكنعانيين اسمه بلعم ابن باعوراء كان عنده اسم الله الأعظم، فلما أراد موسى قتال الكنعانيين وهو الجبارون: سألوهم من بلعم أن يدعو باسم الله الأعظم على موسى وعسكره فأبى، فألحوا عليه حتى دعا عليه ألا يدخل المدينة ودعا عليه موسى فالآيات التي أعطيها على هذا القول: هي اسم الله الأعظم، وعلى قول ابن مسعود هي ما علمه موسى من الشريعة، وقيل: كان عنده من صحف إبراهيم. وقيل: هو أمية ابن أبي الصلت، وكان قد أوتي علماً وحكمه وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر، ثم رجع عن ذلك ومات كافراً^(١).

٥- قال تعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ الدخان: ١٠، في هذا قولان: أحدهما قول علي ابن أبي طالب وابن عباس أن الدخان يكون قبل يوم القيامة يصيب المؤمن منه مثل الزكام، وينضج رؤوس الكافرين والمنافقين، وهو من أشراط الساعة، ورَوَى حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: (إن أول أشراط الساعة الدخان)، والثاني: قول ابن مسعود: إن الدخان عبارة عما أصاب قريشاً حين دعا عليهم رسول الله ﷺ بالجذب، فكان الرجل يرى دخاناً بينه وبين السماء من شدة الجوع^(٢).

تفسير الإمام ابن الجوزي:

الإمام ابن الجوزي لم يذكر في مقدمته ما يتعلق بتفسيره في تفسيره بأقوال الصحابة ولكن تعامله مع أقوال الصحابة في تفسير القرآن على النحو التالي:

- ذكر أقوال الصحابة وتوسع في ذكر أقوالهم مقارنة بما ذكره الإمام ابن جزي.
- ذكر الأقوال ويسندها إلى قائلها من الصحابة والتابعين ويتوسع في نسبة الأقوال.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٣١٣/١.

(٢) المرجع السابق ٢٦٦/٢.

- عدد قول الصحابي في المعنى أو المسألة أكثر من قول إذا وجد.
- ذكر أقوال التابعين عن الصحابة فيقول: رواه سعيد ابن جبير عن عباس مثلاً، وهذا كثير. وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

١- قال تعالى: ﴿ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ النساء: ٤٣، وفي المراد بالملامسة قولان: أحدهما: أنها الجماع، قاله: علي، وابن عباس، والثاني: أنها الملامسة باليد، قاله: ابن مسعود، وابن عمر^(١).

٢- قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً ﴾ الأنفال: ٣٥، المكاء: الصَّفير، قاله: ابن عمر، وابن عباس.

٣- قال تعالى: ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ يوسف: ٩٨، في سبب تأخيره لذلك أنه أخرهم لانتظار الوقت الذي هو مَظِنَّةُ الإجابة، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أخرهم إلى ليلة الجمعة، رواه ابن عباس، والثاني: إلى وقت السَّحَر من ليلة الجمعة، عن ابن عباس. قال طاووس: فوافق ذلك ليلة عاشوراء. والثالث: إلى وقت السَّحَر، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، وابن عمر^(٢).

٤- قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذْنَ بِكُمْ ﴾ النور: ٥٨، وفيهم قولان: أحدهما: أنه أراد الذكور دون الإناث، قاله: ابن عمر^(٣).

٥- قال تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴾ ق: ٤٠، وللمفسرين في هذا التسبيح ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الرُّكْعَتَانِ بعد صلاة المغرب، روي عن عمر، وعلي، وأبي هريرة وابن عباس. والثاني: أنه النوافل بعد المفروضات. والثالث: أنه التسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات، رواه مجاهد عن ابن عباس^(٤).

٦- قال تعالى: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ البروج: ٣، وفيها أقوال أحدها: أن الشاهد يوم

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٤١١/١.

(٢) المرجع نفسه ٤٧٢/٢.

(٣) المرجع نفسه ٣٠٥/٣.

(٤) المرجع نفسه ١٦٦/٤.

الجمعة، والمشهود. يوم عرفة، رواه أبو هريرة

عن رسول الله ﷺ^(١)، وبه قال علي، وابن عباس في رواية. والثاني: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم النحر، قاله ابن عمر. والثالث: أن الشاهد: الله ﷻ، والمشهود: يوم القيامة، روي عن ابن عباس. والرابع: أن الشاهد: يوم عرفة، والمشهود: يوم القيامة، رواه مجاهد عن ابن عباس. والخامس: أن الشاهد: محمد ﷺ، والمشهود: يوم القيامة، عن ابن عباس، والسادس: أن الشاهد: يوم القيامة والمشهود: الناس عن جابر ابن عبد الله^(٢).

ومن خلال ما وقفنا عليه من تفسير الإمامين ابن جزري وابن الجوزي تبين لنا أن الإمامين اعتمدا في تفسيريهما قول الصحابي في التفسير وذكرنا في مواطن عدّه من كلام الصحابة وكان الإمام ابن الجوزي أكثراً في ذلك مقارنة بما ذكره الإمام ابن جزري.

(١) مسند أحمد، مسند أبي هريرة ﷺ، رقم ٧٩٧٣، ٣٥٢/١٣.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٤/٤٢٤، وهو جابر ابن عبد الله ابن عمرو ابن حرام ابن كعب ابن غنم ابن كعب ابن سلمة يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، والأول أصح، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة، قال جابر: لم أشهد بدرا، ولا أحدا، منعتني أبي، فلما قتل يوم أحد، لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة قط وشهد صفين مع علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وعمي في آخر عمره، وتوفي جابر سنة أربع وسبعين، وقيل: سنة سبع وسبعين، وصلى عليه أبان ابن عثمان، وكان أمير المدينة، وكان عمر جابر أربعاً وتسعين سنة انظر أسد الغابة ١/ ٤٩٢.

المبحث الرابع

تفسير القرآن بقول التابعي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التابعي وأهمية تفسيره ومراتبه.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بقول التابعي عند الإمامين .

المطلب الأول:

تعريف التابعي وأهمية تفسيره ومراتبه

تعريف التابعي:

التابعي في اللغة: مأخوذ من مادة تبع: تبع الشيء تبعا وتباعا في الأفعال وتبعت الشيء تبوعا: سرت في إثره واتبعه وأتبعه وتتبعه قفاه وتطلبه متبعا له^(١).

وفي الاصطلاح: هو من لقي الصحابي^(٢)، وقيل: هو من لقي صحابيا في حالة الإيمان ومات على ذلك ويشترط لقبول روايته كونه ثقة^(٣).

أهمية تفسير التابعي:

يأتي تفسير التابعين في المرتبة الرابعة من مراتب التفسير وهو عند تعذر تفسير الآية القرآنية من القرآن الكريم ومن السنة النبوية ومن أقوال الصحابة نرجع فيه إلى أقوال التابعين، فهم الذين سمعوا القرآن وتفسيره وتعلموا شرائع الدين من الصحابة وتفقهوا على أيديهم وكانوا قريبي عهد بنزول القرآن.

قال ابن تيمية: إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين^(٤). وتأتي هذه المرتبة لتفسير التابعي في الاعتبار لمميزات أهمها: ١- أنه لا خلط فيه من حيث النواحي العقديّة. ٢- أن كلامهم قليل الألفاظ كثير المعاني كسمة تفاسير الصحابة. ٣- أن تفاسيرهم لا تخالف اللغة. ٤- أن تفاسير التابعين في كثير منها دُونت وأصبحت تنقل من طريق صحف أو من طريق أسانيد ثابتة عرفت تفاسير التابعين بها^(٥).

(١) لسان العرب لابن منظور ٢٧/٨.

(٢) التوضيح الأبهري لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر، لمحمد ابن عبد الرحمن ابن محمد السخاوي، ت: عبد الله ابن محمد عبد الرحيم البخاري، مكتبة أضواء السلف، ط/١: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ٨٧/١.

(٣) الفصول في مصطلح حديث الرسول، للشيخ حافظ ثناء الله الزاهدي رئيس الجامعة الإسلامية بمدينة صادق آباد - باكستان، ٥/١.

(٤) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ٤١.

(٥) شرح مقدمة التفسير لصالح ابن عبد العزيز آل الشيخ ٢٠.

مراتب تفسير التابعي:

تفسير التابعي على مرتبتين: الأولى: ما سمعوه من الصحابة وهو الأكثر ويأتي في المقام الأول، وهو المعتبر وله حجيته، الثانية: أن يجتهد التابعي في التفسير فيفسر باجتهاده، وهذا الاجتهاد راجع إلى نظره في الآيات أو نظره في السنة، أو إلى ما سمعه ويكون لديه من علوم مختلفة^(١). وهذا القسم الثاني من تفاسير التابعين هو الذي وقع عليه الخلاف في اعتباره حجيتة، وقد شرط ابن تيمية وكذلك الإمام ابن كثير^(٢) أن المعتبر من هذا التفسير هو ما أجمع عليه التابعون، وهذا الشرط بعيد المنال ومتعذر لهذه الأسباب:

١- اختلاف الفهم والاستنباط كما هو معلوم بين البشر.

٢- تفرق التابعين في البلدان واختلاف المدارس كمدرسة مكة ومدرسة المدينة والكوفة.

٣- أن الخلاف بينهم في التفسير أكثره خلاف لفظي تتعدد فيه الألفاظ حول معنى واحد ومفهوم واحد^(٣). وشرط بعضهم ما قاله كبار التابعين؛ لأنهم تلقوا ذلك غالبا عن الصحابة^(٤)، وفيه نظر لأن جيل التابعين هم لا زالوا من أهل الخيرية المذكورة في الحديث فإذا عرف بين الناس بصلاحه واستقامته ولم يعرف ببدعة أو كبيرة فإن كلامه معتبر في التفسير وله حجيته في ذلك. وإذا لم يسندوه عن الصحابي فإن قولهم ليس بحجة على من بعدهم إذا خالفهم؛ لأنهم ليسوا بمنزلة الصحابة ولكن قولهم أقرب إلى الصواب، وكلما قرب الناس من عهد النبوة كانوا أقرب إلى الصواب ممن بعدهم^(٥)، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة^(٦).

(١) شرح مقدمة التفسير لآل الشيخ ٢٠.

(٢) ابن جزري ومنهجه في التفسير ٣٦٧.

(٣) شرح مقدمة التفسير لآل الشيخ ١٦.

(٤) المدخل إلى مناهج المفسرين د. حسب الرسول العباس محمد ٨.

(٥) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ١٠٨.

(٦) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ١٦.

المطلب الثاني:

تفسير القرآن بقول التابعي عند الإمامين.

تفسير الإمام ابن جزي:

ذكر الإمام ابن جزي: الطبقة الثانية من طبقات المفسرين: التابعون وأحسنهم كلاماً في التفسير الحسن البصري، وسعيد ابن جبير ومجاهد وبتلوهم: عكرمة. وقتادة^(١). والضحاك ابن مزاحم^(٢). وأبو العالية^(٣)، ثم حمل تفسير القرآن عدول كل خلف^(٤)، وقد بيّن الإمام ابن جزي في تفسير القرآن بقول التابعي ما يلي:

- ذكر قول التابعي في تفسيره.
- ذكر مرتبة قول التابعي بعد مرتبة الصحابي.
- تمايز التابعين عن بعضهم حيث ذكر أحسنهم ممن لازموا كبار الصحابة.
- لا ينسب الأقوال إلا نادراً، فقال: " على أنني لست أنسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلاً، وذلك لقلّة صحة إسنادها إليهم، أو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم"^(٥). وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

(١) هو قتادة ابن دعامة ابن قتادة ابن عزيز السدوسي وقيل: قتادة ابن دعامة ابن عكابة، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي، البصري، الضرير، الأكمه. ولد سنة ستين وكان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ. قال ما في القرآن آية لا وقد سمعت فيها شيئاً وكان يرى القدر عفا الله عنه. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٤١/٩.

(٢) هو الضحاك ابن مزاحم الهلالي أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، صاحب (التفسير). كان من أوعية العلم، وليس بالموجود لحديثه، حدث عن: ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وابن عمر، وأنس ابن مالك. وعن: الأسود، وسعيد ابن جبير، وعطاء، وطاووس، وطائفة. توفي سنة اثنين ومائة. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ١٧٤/٨.

(٣) هو رفيع ابن مهران الرياحي البصري الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسر، أبو العالية الرياحي، البصري، أحد الأعلام. كان مولى لامرأة من بني رياح ابن يربوع، ثم من بني تميم. أدرك زمان النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه. قال: كان ابن عباس يرفعني على السرير، وقريش أسفل من السرير، فتغامزت بي قريش. فقال ابن عباس: هكذا العلم يزيد الشريف شرفاً، ويجلس المملوك على الأسرة مات في شوال سنة تسعين. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٢٣١/٧.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢٠/١.

(٥) المرجع السابق ١١/١.

١- قال تعالى: ﴿لَيْنُ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ المائدة: ٢٨، وكان واجباً عندهم أن لا يدافع أحد عن نفسه، وهو قول مجاهد، وأما في شرعنا فيجوز دفع الإنسان عن نفسه بل يجب^(١).

٢- قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ البقرة: ١٤٣، فيها قولان: أحدهما: أنها الكعبة، وهو قول ابن عباس. والآخر: هو بيت المقدس، وهو قول قتادة وعطاء^(٢)، وهذا مع ظاهر قوله: كنت عليها؛ لأن النبي ﷺ كان يصلي إلى بيت المقدس، ثم انصرف عنه إلى الكعبة^(٣).

٣- قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ البقرة: ١٥٢، قال سعيد ابن المسيب: معناه اذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب^(٤).

٤- قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ الأنعام: ١٩، قال سعيد ابن جبیر: من بلغه القرآن فكأنما رأى سيدنا محمداً ﷺ^(٥).

٥- قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ فاطر: ٣٢، قال الحسن: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والظالم لنفسه من رجحت سيئاته، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته، وجميعهم يدخلون الجنة. وقيل: الظالم الكافر والمقتصد المؤمن العاصي والسابق النقي^(٦).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/٢٢٨.

(٢) هو عطاء ابن أبي رباح أسلم القرشي مولاهم الإمام، شيخ الإسلام، مفتي الحرم، أبو محمد القرشي مولاهم، المكي. يقال: ولاؤه لبني جمح، كان من مولدي الجند، ونشأ بمكة، ولد في أثناء خلافة عثمان. حدث عن عائشة، وأم سلمة، وأم هانئ، وأبي هريرة، وابن عباس، وغيرهم كان من أوعية العلم، كان عطاء أسود، أعور، أفتس، أشل، أعرج، ثم عمي، وكان ثقة، فقيها، عالما، كثير الحديث، قال: أدركت مائتين من أصحاب رسول الله ﷺ، مات سنة خمس عشرة ومائة وعمره ثمان وثمانين سنة. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٩/٩٢.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/٩٩.

(٤) المرجع السابق ١/١٠١.

(٥) المرجع السابق ١/٢٥٦.

تفسير الإمام ابن الجوزي:

يرى الباحث أن الإمام ابن الجوزي سار في تفسيره على النحو التالي:

- لم يذكر الإمام ابن الجوزي في مقدمته عن قول التابعي، ولكنه ذكره في تفسيره.
- أكثر من نسبة الأقوال عن التابعين، وهذه من مميزات تفسيره مع ذكره للصحابة.
- يذكر الأقوال ويسندها إلى أصحابها، وقد يرجح، وقد يذكر الأقوال دون ذلك.
- في إيراد أقوال الصحابة والتابعين قد يقدم ذكر التابعي.
- يذكر القول وفي نسبه للصحابي يذكر راويه من التابعين عن الصحابي. وهذه بعض الأمثلة:

١- قال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ البقرة: ١٩٦، وفي إتمامها أربعة أقوال: أحدها: أن معنى إتمامها: أن يفصل بينهما، فيأتي بالعمرة في غير أشهر الحج، قاله: عمر ابن الخطاب، والحسن، وعطاء. والثاني: أن يحرم الرجل من دويرة أهله، قاله: علي ابن أبي طالب، وطاووس، وابن جبير، والثالث: إذا شرع في أحدهما لم يفسخه حتى يتم، قاله: ابن عباس. والرابع: أنه فعل ما أمر الله فيهما، قاله: مجاهد^(٢).

٢- قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران: ١٩٩، اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في النجاشي^(٣) لأنه لما مات صلى عليه النبي ﷺ، فقال قائل: يصلي على هذا العج النصراني، وهو في أرضه؟! فنزلت هذه الآية، قال الحسن وقتادة: فيه وفي أصحابه، والثاني: أنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب، قاله: مجاهد. والثالث: في عبد الله ابن سلام، وأصحابه، قاله: ابن جريج^(٤)،

(١) المرجع السابق ١٧٦/٢.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ١٨٥/١.

(٣) النجاشي ملك الحبشة واسمه: أصحمة، معدود في الصحابة - رضي الله عنهم - وكان ممن حسن إسلامه، ولم يهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صاحب من وجه. وقد توفي في حياة النبي ﷺ فصلى عليه بالناس صلاة الغائب، ولم يثبت أنه صلى ﷺ على غائب سواه، انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٣٧٣/١.

(٤) هو عبد الملك ابن عبد العزيز ابن جريج الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الحرم، أبو خالد، وأبو الوليد القرشي،

ومقاتل^(١). والرابع: في أربعين من أهل نجران، وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى، فأمنوا بالنبي ﷺ، قاله: عطاء^(٢).

٣- قال تعالى: ﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ المائدة: ٣٢، فيها خمسة أقوال: أحدها: أن عليه إثم من قتل الناس جميعاً، قاله: الحسن، والثاني: أنه يصلى النار بقتل المسلم، كما لو قتل الناس جميعاً، قاله: مجاهد، وعطاء، وقيل: يُعَذَّبُ كما يُعَذَّبُ قَاتِلُ النَّاسِ جَمِيعًا. والثالث: أنه يجب عليه من القصاص مثل ما لو قتل الناس جميعاً. والرابع: أن معنى الكلام ينبغي لجميع الناس أن يُعِينُوا ولي المقتول حتى يُقِيدُوهُ منه، كما لو قتل أولياءهم جميعاً، والخامس: أن المعنى: من قتل نبياً أو إماماً عادلاً، فكأنما قتل الناس جميعاً، رواه عكرمة عن ابن عباس.

٤- قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ الأحزاب: ٩، قال ابن عباس: يعني الملائكة، وفي عددهم يومئذ ثلاثة أقوال. أحدها: ستة عشر ألفاً، قاله: الحسن. والثاني: خمسة آلاف، قاله: سعيد ابن جبير. والثالث: ثمانية آلاف، قاله: مجاهد^(٣).

٥- قال تعالى: ﴿ وَوَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾ الحجر: ١٦، في البروج ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بروج الشمس والقمر، أي: منازلهما، والثاني: هي قصور في السماء فيها الحرس. والثالث: أنها الكواكب، قاله: مجاهد، وقتادة، ومقاتل وقيل: هي النجوم العظام^(٤).

٦- قال تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ ﴾ السجدة: ٢١، وفيه أقوال: أحدها:

الأموي، المكي، صاحب التصانيف، وأول من دون العلم بمكة وهو أول من صنف الكتب لزم عطاء ثمانية عشر سنة وتعلم عليه قيل لعطاء من نسأل بعدك؟ قال هذا الفتى إن عاش يعني ابن جريج مات سنة مائة وخمسون انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٤٠٥/١١.

(١) هو مقاتل ابن حيان ابن دوال دور أبو بسطام النبطي الإمام، العالم، المحدث، الثقة، أبو بسطام النبطي، البلخي، الخراز له حديث في (صحيح مسلم) ، من رواية علقمة، عنه، وكان من العلماء العاملين، ذا نسك وفضل، صاحب سنة. توفي في حدود الخمسين ومائة. انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٤١٤/١١.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٣٦٤/١.

(٣) المرجع السابق ٢٤٧/٢.

(٤) المرجع السابق ٥٢٦/٢.

أنه ما أصابهم يوم بدر، رواه مسروق^(١) عن ابن مسعود، وبه قال قتادة، والثاني: سنون أخذوا بها، رواه أبو عبيدة^(٢) عن ابن مسعود، وقال مقاتل: أخذوا بالجوع سبع سنين. والثالث: مصائب الدنيا، قاله أبي ابن كعب، وابن عباس في رواية أبو العالية^(٣)، والحسن، وقتادة. والرابع: الحدود، رواه عكرمة عن ابن عباس. والخامس: عذاب القبر، والسادس: القتل والجوع، قاله مجاهد^(٤).

وهذا يبيّن لنا أن الإمامين ذكرا في تفسيريهما تفسير القرآن بقول التابعي وذكرنا ذلك في مواطن عدّة وقد كان الإمام ابن الجوزي أكثرًا في ذكر الأقوال ونسبتها إلى التابعين مقارنة بما ذكره الإمام ابن جزى.

-
- (١) هو مسروق ابن الأجدع ابن مالك الوادعي الهمداني الإمام، القدوة، العلم، أبو عائشة الوادعي، الهمداني، الكوفي. سرق وهو صغير، ثم وجد، فسمي مسروقا، وأسلم أبوه الأجدع. حدث هو عن أبي ابن كعب، وعمر، وعن أبي بكر الصديق وعدّ في كبار التابعين، وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ، سير اعلام النبلاء ٦٦/٧.
- (٢) هو أبو عبيدة ابن عبد الله ابن مسعود الهذلي الكوفي، أخو عبد الرحمن. يقال اسمه: عامر، ولكن لا يرد إلا بالكنية. روى عن: أبيه شيئا، وأرسل عنه أشياء، وروى عن أبي موسى الأشعري، وعائشة، وكعب ابن عجرة، توفي سنة إحدى وثمانين، انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٤١٠/٧.
- (٣) هو أبو العالية رفيع ابن مهران الرياحي البصري الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسر، أبو العالية الرياحي، البصري، أحد الأعلام. كان مولى لامرأة من بني رياح ابن يربوع، ثم من بني تميم. أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه. وسمع من: عمر، وعلي، وأبي، وأبي ذر، وابن مسعود، وعائشة، وأبي موسى، وأبي أيوب، وابن عباس، وزيد ابن ثابت. وحفظ القرآن، وقرأه على: أبي ابن كعب، وتصدر لإفادة العلم. مات سنة تسعين انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٢٣٧/٧.
- (٤) زاد المسير لابن الجوزي ٤٤٢/٣.

الفصل الثاني

التفسير بالرأي

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: تعريف الرأي، وحكمه، ومباحثه.

المبحث الثاني: تفسير الإمامين في أصول الفقه.

المبحث الثالث: تفسير الإمامين في اللغة.

المبحث الأول

تعريف الرأي، وحكمه، ومباحثه

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: تعريف التفسير بالرأي

المطلب الثاني: حكم التفسير بالرأي

المطلب الثالث: مباحث في التفسير بالرأي

المطلب الأول

تعريف التفسير بالرأي

الرأي في اللغة: من رأى يرى رأياً و رؤيةً، والرأي معروف وجمعه آراء يقال: رأى في الفقه رأياً^(١)، والرأي رأي القلب والجميع الآراء، ويقولون: لا أفعل كذا حتى يريني حين برأيه، أي حتى أرى الطريق الواضح^(٢).

والتفسير: "هو علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"^(٣).

والتفسير بالرأي: "عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفة بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر"^(٤).

وقد بين العلماء أنواع العلوم التي يجب توافرها في المفسر، فقالوا: هي اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة وعلم أصول الفقه وعلم التوحيد ومعرفة أسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ والأحاديث المبيّنة للمجمل والمبهم وعلم الموهبة - وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم^(٥).

(١) مختار الصحاح لزين الدين أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر ابن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط/٥: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ٢٦٧/١.

(٢) المحيط في اللغة لابن عباد ٤٤٨/٢.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٣/١ ، الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤٦٢/٢.

(٤) التفسير والمفسرون للذهبي ٤١/٤.

(٥) مناهل العرفان للزرقاني ٥١/٢.

المطلب الثاني

حكم التفسير بالرأي

اختلف العلماء في حكمه بين مانع ومجيز وسيعرض الباحث أدلة الطرفين ثم يرجح:

أولاً: أدلة المانعين

١- أنه قول على الله بغير علم.

٢- ورود النهي عنه في السنة لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»^(١). وعن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»^(٢).

٣- ما روي عن السلف الصالح من الصحابة، فمن بعدهم من التخرج من الكلام في تفسير القرآن، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأبي، وروي أنه سئل عن قوله سبحانه: ﴿وَفَكَهْمًا وَأَبًّا﴾ عبس: ٣١ ما الأب؟ فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم^(٣). وقول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: إياكم وأصحاب الرأي، فإنهم أعداء السنن أعييتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا برأيهم، فضلوا وأضلوا^(٤)، وعن أنس أن عمر ابن الخطاب قرأ على المنبر ﴿وَفَكَهْمًا وَأَبًّا﴾، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب، ثم رجع إلى نفسه، فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر^(٥).

(١) سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب الذي يفسر القرآن برأيه رقم ٢٩٥١، ١٩٩/٥.

(٢) المرجع السابق، باب الذي يفسر القرآن برأيه، رقم ٢٩٥٢، ٢٠٠/٥.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، باب من كره أن يفسر القرآن، رقم ٣٣، ١٣٦/٦.

(٤) سنن الدار قطنية، كتاب النوادر، رقم ٤٢٨٠، ١٤٦/٤.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة، باب من كره أن يفسر القرآن، رقم ٣٠١٠٥، ١٣٦/٦.

ثانياً: أدلة المجيزين

١- إن القول في هذا التفسير فيما لا يوجد فيه نص قاطع ولا دليل عقلي، فهو كقوله تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة: ٢٨٦، وقول النبي ﷺ: « من اجتهد وأخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران»^(١).

٢- أن ما ورد من أحاديث في النهي عن التفسير بالرأي، فتحمل على من قال برأيه في مشكل القرآن ومتشابهه مما لا يُعلم إلا من طريق النقل عن النبي ﷺ وأصحابه أو من الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى .. ، وعلى من قال في القرآن قولاً، وهو يعلم أن الحق خلافه كأصحاب المذاهب الفاسدة، وإنما قاله بمجرد رأيه وهواه، وقد يكون مع الجهل كما يصنع بعض الذين يدعون العلم، ويتهمون على تفسير كتاب الله بالهوى والاستحسان^(٢).

٣- أن الله أمر بالتدبر لكتابه الكريم، فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ النساء: ٨٣، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ثُمَّ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ محمد: ٢٤، وقال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ص: ٢٩، وهذا يدل على أن أولي الألباب بما لهم من العقل السليم واللب الصافي عليهم أن يتأولوا ما لم يستأثر الله بعلمه إذ التدبر والاتعاظ فرع الفهم و التفقه في كتاب الله.

٤- دعاء النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، فلو كان التأويل مقصوراً على السماع والنقل للفظ التنزيل لما كان هناك فائدة لتخصيصه، فدل على أن التأويل خلاف النقل، ولقول رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: « بِمَ تَحْكُم؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله، قال: فإن لم

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم ٧٣٥٢، ١٣٣/٩.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد ابن أبي شهبة ٩٨.

تجدد؟ قال: أجتهد رأيي، فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله»^(١)، وعمرو ابن العاص ﷺ تيمم في غزوة ذات السلاسل ولما سأله النبي ﷺ عن سبب ذلك قال له: ذكرت قول الله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء: ٢٩، فتيمنت، ثم صليت، فضحك نبينا ﷺ ولم يقل شيئاً^(٢).

٥- ما روي عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فهو معارض بما يخالفه، فقد روي عن الصديق ﷺ أنه سئل عن الكلالة، فقال: أقول فيها برأيي؛ فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه، الكلالة: من لا ولد له، ولا والد، فلما ولي الخلافة الفاروق عمر ﷺ قال: إني لأستحي أن أخالف أبا بكر في رأيي^(٣). وما ورد عن عمر في قوله لشريح لما بعثه على قضاء الكوفة: "انظر ما تبين لك في كتاب الله؛ فلا تسأل عنه أحداً، وما لم يتبين لك في كتاب الله، فاتبع فيه سنة رسول الله وما لم يتبين لك فيه سنة، فاجتهد رأيك"^(٤). وعن أبي جحيفة قال: قلت لعلي: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله، قال: "لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن"^(٥). وثبت من أن الصحابة ﷺ قرأوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه، ومعلوم أنهم لم يسمعوا كل ما قالوه في تفسير القرآن من النبي ﷺ إذ أنه لم يُبين لهم كل معاني القرآن، بل بيّن لهم بعض معانيه، وبعضه الآخر توصلوا إلى معرفته بعقولهم واجتهادهم، ولو كان القول بالرأي في القرآن محظوراً لكانت الصحابة قد خالفت ووقعت فيما حرم الله، ونحن نُعيذ الصحابة من ذلك^(٦).

(١) سنن أبي داود، كتاب الاقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، رقم ٣٥٩٢، ٣٣٣/٣٦.

(٢) المرجع السابق، كتاب الطهارة، باب إذا خاف الجنب البرد أتيتم، رقم ٣٣٤، ١٣٢/١.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الفرائض، باب حجب الاخوة والاخوات، رقم ١٢٢٧٣، ١١٣/٩.

(٤) المرجع السابق، كتاب آداب القاضي، باب موضع المشاورة، رقم ٢٠٣١٢، ١٠/١٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الاسير، رقم ٢٨٨٢، ١٧/٨.

(٦) التفسير والمفسرون للذهبي ٤٣/٢.

٦- ومن ذلك ما روي عن التابعين، فقد قال الإمام الشافعي: " تطلبت دليلاً على حجية الإجماع، فظفرت به في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: ١١٥^(١). وقال الغزالي والقرطبي: لا يصح أن يكون كل ما قاله الصحابة في التفسير مسموعاً من النبي ﷺ لوجهين: أحدهما: أن النبي ﷺ لم يثبت عنه من التفسير إلا تفسير آيات قليلة، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله ﷺ يفسر من آيات الله إلا آيات معدودات علمه جبريل إياهن. الثاني: أنهم اختلفوا في التفسير على وجوه مختلفة لا يمكن الجمع بينها^(٢).

٧- لو كان التفسير بالرأي غير جائز لما كان الاجتهاد جائزاً، ولتعطل كثير من الأحكام، وهذا باطل بين البطلان، وذلك لأن باب الاجتهاد لا يزال مفتوحاً إلى اليوم أمام أربابه، والمجتهد في حكم الشرع مأجور، أصاب أو أخطأ^(٣).

٨- تكلم الإمام ابن جزري في هذه المسألة، فقال: " اعلم أن السلف الصالح انقسموا إلى فرقتين: فمنهم من فسر القرآن وتكلم في معانيه. وهم الأكثرون. ومنهم من توقف عن الكلام فيه احتياطاً لما ورد من التشديد في ذلك. فقد قالت عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله ﷺ يفسر من القرآن الآيات إلا بعد علمه إياهن من جبريل. وقال ﷺ: « من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ ». وتأول المفسرون حديث عائشة رضي الله عنها بأنه في مغيبات القرآن التي لا تعلم إلا بتوقيف من الله تعالى. وتأول الحديث الآخر بأنه فيمن تكلم في القرآن بغير علم ولا أدوات لا فيمن تكلم فيما تقتضيه أدوات العلوم ونظر

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر ابن محمد

ابن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، دار التونسية للنشر - تونس، ط/١: ١٩٨٤هـ، ٢٩/١.

(٢) المرجع السابق ٢٨/١.

(٣) التفسير والمفسرون للذهبي ٤٣/٢.

في أقوال العلماء المتقدمين، فإنّ هذا لم يقل في القرآن برأيه^(١).

رأي الباحث

بعد عرض أدلة الفريقين وبيان حجة كل منهما تبين للباحث ما يلي:

أولاً: مما لا خلاف فيه حرمة تفسير أهل الأهواء، وأصحاب المعتقد الفاسد الذين حرفوا معاني القرآن الكريم حسب أهوائهم، وكذلك تفسير الجاهل؛ لأنه يقول على الله بغير علم، ولعل من أغلق باب التفسير بالرأي إجمالاً كان سدا للذريعة من حصول ذلك.

ثانياً: أن حجة المجيزين للتفسير بالرأي وأدلتهم أقوى من أدلة المانعين، مع اعتبار أن الأصل تقديم التفسير المأثور على التفسير بالرأي.

ثالثاً: قد تظل المسألة خلافية عند البعض لكن هذا الخلاف نسبي، باعتبار أن أغلب علماء الأمة ومفسريها من المتقدمين والمتأخرين ذكروا التفسير بالرأي في تفاسيرهم. والراجح جواز التفسير بالرأي واعتباره مصدراً لفهم معاني القرآن الكريم إذا استوفى شروطه وضوابطه والله أعلم.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/١٩.

المطلب الثالث

مباحث في التفسير بالرأي

معالم:

من مدرسة التفسير بالرأي ومع ما نعيشه اليوم من حقائق وأحداث لا بد أن نعرف:

أولاً: إن المفسرين السابقين قد صنفوا هذه التفاسير الكثيرة وما نقلوا عن غيرهم من سلف هذه الأمة تكلموا في التفسير بالرأي مع ما نقلوه من التفسير بالمأثور كتفسيرية ثابتة لهم، وتعتبر مدارس للتفسير بالرأي باعتبار تفسيرية المفسر ذات الطابع اللغوي أو الطابع الفقهي أو الطابع القصصي أو الطابع البلاغي والبياني وغيره.

ثانياً: من تكلم في التفسير من علماء الأمة المعاصرين أو ألف في التفسير فإن التفسير بالرأي يكاد يكون السمة البارزة لهؤلاء جميعاً وإن تعددت المصادر وتباعدت الأساليب لإيضاح المعنى حيث أن التفسير بالرأي هو الطابع العام لتفسيرهم جميعاً.

ثالثاً: ظهور الكشوفات العلمية اليوم وما وصل إليه العلم التجريبي من حقائق علمية في ميادين الحياة المتعددة، والتي ما كانت تخطر على بال أحد من حقائق في الأنفس وفي الفضاء وفي البحار وفي الأرض، وقد جاءت هذه النصوص القرآنية مطابقة لما تحدث به العلم الحديث اليوم، وهو تحقيق لوعده الله سبحانه، قال تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ فصلت: ٥٣؛ ليظهر لنا تفسيراً جديداً لهذه النصوص وفق ما قاله لنا العلم الحديث وأراه داخل في دائرة التفسير بالرأي.

رابعاً: ترجمة التفاسير إلى هذه اللغات المتعددة مع توسع الدعوة الإسلامية اليوم ودخولها إلى بلاد الكفر وتعليم الداخلين للإسلام معاني القرآن بما يقرب وصول المعنى

القرآني إلى عقول هؤلاء الداخلين للإسلام وبصورة سهلة تتناسب معهم هذه التفسيرات والتراجم تمثل صورة أخرى للتفسير بالرأي.

خامسا: علوم التنمية البشرية وهي تتكلم عن العلاقات الاجتماعية العامة، هذه العلوم كثيرا ما تقف عند الآيات القرآنية، وتنزلها عند هذه الدراسات المتعددة لها، وهي تمثل صورة جديدة من صور التفسير بالرأي.

سادسا: العلوم المعاصرة والمتعلقة بالسياسة والإدارة والاقتصاد والإعلام وغيرها، أخذ العلماء أطيب ما فيها، بما يوافق ذلك من نصوص القرآن والسنة، وقد مثلت هذه الدراسات صورة جديدة أخرى من التفسير بالرأي.

سابعا: حياة الناس العامة وما تطرأ على حياتهم من أحداث ووقائع في حياتهم العامة والخاصة، وما تتطلب من ردود وحلول، وأمام هذه الأحداث يرجع العلماء والدعاة لإيجاد حلول واتخاذ مواقف، مسترشدين بنصوص من القرآن، يمثل صورة جديدة أخرى للتفسير بالرأي.

ثامنا: الصراع العقدي والفكري بين المسلمين وغيرهم من دعاة الكفر أو الانحراف، وردود العلماء عليهم مستنبطين النصوص من القرآن موضحين مراد الله من هذه النصوص يمثل صورة جديدة أخرى للتفسير بالرأي.

تاسعا: القرآن لا تنقضي عجائبه ولا يزال فيه معالم لم تظهر بعد تمثل ميادين للتفسير.

منهج المفسرين بالرأي:

- إن لم يظفر المفسر بالمعنى في الكتاب والسنة ومأثورات الصحابة وجب عليه:
- ١- البدء بما يتعلق بالألفاظ المفردة من اللغة والصرف والاشتقاق ملاحظا المعاني التي كانت مستعملة زمن نزول القرآن الكريم.
 - ٢- إرداف ذلك بالكلام على التراكيب من جهة الإعراب والبلاغة.
 - ٣- تقديم المعنى الحقيقي على المجازي، فلا يصر إلى المجاز إلا بتعذر الحقيقة.
 - ٤- ملاحظة سبب النزول فإن لسبب النزول مدخلا كبيرا في بيان المعنى المراد كما سبق تحقيقه في مبحث أسباب النزول.
 - ٥- مراعاة التناسب بين السابق واللاحق بين فقرات الآية الواحدة وبين الآيات بعضها وبعض.
 - ٦- مراعاة المقصود من سياق الكلام.
 - ٧- مطابقة التفسير للمفسر من غير نقص ولا زيادة.
 - ٨- مطابقة التفسير لما هو معروف من علوم الكون وسنن الاجتماع وتاريخ البشر العام وتاريخ العرب الخاص أيام نزول القرآن.
 - ٩- مطابقة التفسير لما كان عليه النبي ﷺ في هديه وسيرته؛ لأنه هو الشارح المعصوم لأقواله وأفعاله وشمائله وقريراته.
 - ١٠- بيان الأحكام المستنبطة منه في حدود قوانين اللغة والشريعة والعلوم الكونية^(١).

(١) مناهل العرفان للزرقاني ٦٠/٢.

علاقة التفسير بالرأي مع التفسير بالمأثور:

إذا لم يكن تعارض بين التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور، فكل منهما يؤيد الآخر ويثبتته، وذلك أكثر ما نجده في كتب التفسير فإذا تيسر الجمع بين المعقول والمنقول فلا نلجأ إلى الترجيح، وإذا وجد بينهما تعارض، فالتفسير بالرأي حتى مع استيفائه جميع الشروط التي تجعله محموداً لا مسوغ له إذا عارضه التفسير بالمأثور الذي ثبت لنا بالنص القطعي؛ لأن الرأي اجتهاد، ولا مجال للاجتهاد في مورد النص^(١).

وإذا تعارض التفسير بالرأي مع ما ثبت من أقوال الصحابة، فيقدم قول الصحابي؛ لأن ما يصح نسبه إلى الصحابة في التفسير النفس إليه أميل لاحتمال سماعه من الرسول ﷺ ولما امتازوا به من الفهم الصحيح والعمل الصالح ولما اقتصوا به من معاينة أسباب التنزيل.

وأما قول التابعي، فإذا كان إجماعاً للتابعين، فإنه يقدم على التفسير بالرأي، أو كان التابعي ممن لم يعرف بالأخذ عن أهل الكتاب، أو كان التفسير في ما ليس فيه مجال للرأي^(٢). وإذا كان منقولاً عن أهل الكتاب قُدم التفسير بالرأي عليه^(٣). وذهب السيوطي إلى أن قول التابعي إذا كان صريحاً في سبب النزول فإنه يُقبل، ويكون مُرسلاً، إذا صح المُسند إليه وكان من أئمة التفسير الذين أخذوا عن الصحابة^(٤).

(١) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ٢٩٣.

(٢) اختلاف المفسرين أسبابه وضوابطه لأحمد محمد الشرقاوى ٤٨.

(٣) مناهل العرفان للزرقاني ٦٢/٢.

(٤) مباحث في علوم القرآن للقطان ٧٧.

المبحث الثاني

تفسير القرآن بأصول الفقه عند الإمامين

وفيه مطلبان

المطلب الأول: تعريف أصول الفقه.

المطلب الثاني: تفسير الإمامين في أصول الفقه.

المطلب الأول:

تعريف أصول الفقه

الأصول: جمع أصل واستأصله قلعه من أصوله وقولهم لا أصل له لا حسب له
ورجل أصيل الرأي أي محكم الرأي^(١)، والفقه: الفهم وقد فقه الرجل بالكسر فقهاً صار فقيهاً
وفاقهه باحثه في العلم^(٢)

وعلم أصول الفقه: هو العلم بأدلة الأحكام الشرعية، ووجوه دلالتها إجمالاً لا
تفصيلاً^(٣)، وبه يعرف كيف يستنبط الأحكام من الآيات ويستدل عليها، ويعرف الإجمال
والتبيين، والعموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد، ودلالة الأمر والنهي، وما سوى ذلك
من كل ما يرجع إلى هذا العلم^(٤). ولا بد من معرفة قواعد أصول الفقه فإنه من أعظم
الطرق في استثمار الأحكام من الآيات^(٥)، ويتولد من بين الفقه والقرآن والحديث علم
يسمى أصول الفقه ويرجع إلى ضبط قوانين الاستدلال بالآيات والأخبار على أحكام
الشريعة^(٦). وقد أودعت مسائل كثيرة هي من طرق استعمال كلام العرب، وفهم موارد
اللغة أهمل التنبيه عليها علماء العربية مثل مسائل الفحوى، ومفهوم المخالفة، وقد عدَّ
الغزالي علم الأصول من جملة العلوم التي تتعلق بالقرآن وبأحكامه؛ فلا جرم أن يكون
مادة للتفسير^(٧).

(١) مختار الصحاح ١/١٩.

(٢) المرجع السابق ١/٢٤٣.

(٣) شرح مختصر الروضة لسليمان ابن عبد القوي ابن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين، ت: عبد
الله ابن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط/١: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ١/١٠٦.

(٤) التفسير والمفسرون للذهبي ٤/٤٥.

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/٦.

(٦) جواهر القرآن، لابي حامد الغزالي، دار إحياء العلوم بيروت، ط/١: ١٩٨٥، ت: د. محمد رشيد القباني، ٤٠.

(٧) مدخل لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور لمحمد ابن إبراهيم الحمد ٦١.

المطلب الثاني

تفسير الإمامين في أصول الفقه

تفسير الإمام ابن جزى

يرى الباحث أن الإمام ابن جزى سار في تفسيره على النحو التالي:

- ذكر الإمام ابن جزى في تفسيره أصول الفقه فقال: وأما أصول الفقه فإنها من أدوات تفسير القرآن، على أن كثيراً من المفسرين لم يشتغلوا بها. وإنما لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال، وما أحوج المفسر إلى معرفة النص، والظاهر، والمجمل والمبين، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، وفحوى الخطاب ولحن الخطاب ودليل الخطاب، وشروط النسخ ووجوه التعارض، وأسباب الخلاف، وغير ذلك^(١).

- ذكر أن من أسباب الخلاف بين المفسرين وجوهاً تتعلق بأصول الفقه، منها احتمال العموم والخصوص، واحتمال الإطلاق والتقييد، واحتمال الحقيقة والمجاز، واحتمال الإضمار والاستقلال، واحتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير واحتمال أن يكون الحكم منسوخاً أو محكماً^(٢).

- ذكر في وجوه الترجيح لأقوال المفسرين ما يتعلق بأصول الفقه منها:

الأول: تقديم الحقيقة على المجاز فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين، وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالاً من الحقيقة ويسمى مجازاً راجحاً والحقيقة مرجوحة، وقد اختلف العلماء أيهما يقدم: فمذهب أبي حنيفة تقديم الحقيقة؛ لأنها الأصل ومذهب أبي يوسف تقديم المجاز الراجح لرجحانه، وقد يكون المجاز أفصح وأبرع فيكون أرجح.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ١/١٨.

(٢) المرجع نفسه ١/١٩.

الثاني: تقديم العمومي على الخصوصي فإن العمومي أولى؛ لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص.

الثالث: تقديم الإطلاق على التقييد، إلا أن يدل دليل على التقييد^(١).

- بين الأحكام الفقهية من القواعد الأصولية بناء على مذهب الإمام مالك.

- اعتمد القواعد الأصولية التي بينها العلماء وأنزلها على النص لاستخراج الحكم،

حيث يذكر الحكم في المسألة ثم يذكر القاعدة، ومن هذه المسائل الأصولية:

١- الخاص والعام: قال تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ﴾ الأنعام: ١٥٢، والوصية في المعنى أعم من التحريم؛ لأن الوصية تكون بتحريم

وبتحليل، وبوجوب وندب، ولا ينكر أن يريد بالتحريم؛ لأن الوصية تكون بتحريم وبتحليل،

وبوجوب وندب، ولا ينكر أن يريد بالتحريم الوصية؛ لأن العرب قد تذكر اللفظ الخاص

وتريد به العموم، كما تذكر اللفظ العام وتريد به الخصوص^(٢).

٢- المحكم والمتشابه: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ

الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ آل عمران: ٧، المحكم من القرآن: هو البين المعنى، الثابت الحكم،

والمتشابه: هو الذي يحتاج إلى التأويل، قال ابن عباس: المحكمات: الناسخات والحلال

والحرام، والمتشابهات المنسوخات والمقدم والمؤخر^(٣).

٣- المفهوم: قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَدِوٌّ فِي الْمَسْجِدِ﴾ البقرة: ١٨٧

دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، لا في غيرها خلافا لمن أجازها في

غيرها من مفهوم الآية. وكذلك قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/١٩.

(٢) المرجع نفسه ١/٢٨٠.

(٣) المرجع نفسه ١/١٤٥.

مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴿ المائدة: ٩٥ ، مفهوم الآية يقتضي أن جزاء الصيد على المتعمد لا على الناسي، وبذلك قال أهل الظاهر، وقال جمهور الفقهاء: المتعمد والناسي سواء في وجوب الجزاء^(١).

٤- العبرة بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني: قال تعالى: ﴿ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأحزاب: ٥٠، هبة المرأة نفسها مزية خاصة بالنبي ﷺ دون غيره ومذهب مالك أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد بخلاف أبي حنيفة^(٢).

٥- سد الذريعة: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ الإسراء: ٣٤، النهي عن القرب يعم وجوه التصرف، وفيه سدّ الذريعة؛ لأنه إذا نهى عن أن يقرب المال، فالنهي عن أكله أولى وأحرى^(٣). وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدَاوَةً بَغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الأنعام: ١٠٨ ، أي لا تسبوا آلهتهم فيكون ذلك سبباً لأن يسبوا الله، واستدل المالكية بهذا على سدّ الذرائع^(٤). وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَوْا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ الحجرات: ١٢، حيث قال: استدل بعضهم بهذه الآية على صحة سدّ الذرائع في الشرع؛ لأنه أمر باجتناب كثير من الظن، وأخبر أن بعضه إثم باجتناب الأكثر من الإثم احترازاً من الوقوع في البعض الذي هو إثم^(٥).

٧- الأمر يقتضي الوجوب والفور: قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ الأعراف: ١٢، استدل به بعض الأصوليين على أن الأمر يقتضي الوجوب والفور، ولذلك وقع

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢٤٤/١.

(٢) المرجع نفسه ١٥٥/٢.

(٣) المرجع نفسه ٢٨١/١.

(٤) المرجع نفسه ٢٧٢/١.

(٥) المرجع نفسه ٢٩٧/٢.

العقاب على ترك المبادرة بالسجود^(١).

٨- حجية الإجماع: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ

غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ النساء: ١١٥، استدلل الأصوليون بها على صحة إجماع المسلمين وأنه لا يجوز مخالفته؛ لأن من خالفه اتبع غير سبيل المؤمنين، وفي ذلك نظر^(٢).

٩- المطلق والمقيد: قال تعالى: ﴿ وَأَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا

شَفَعَةٌ ﴾ البقرة: ٤٨، حيث قال: ليس نفي الشفاعة مطلقاً، فإن مذهب أهل الحق ثبوت

الشفاعة لسيدنا محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ البقرة: ٢٥٥،

وقال تعالى: ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ يونس: ٣، وقال تعالى: ﴿ وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ

إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ سبأ: ٢٣، وانظر ما ورد أن رسول الله ﷺ يستأذن في الشفاعة فيقال له:

اشفع تشفع^(٣)، فكل ما ورد في القرآن من نفي الشفاعة مطلقاً يحمل على هذا؛ لأن

المطلق يحمل على المقيد. وكذلك قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ

يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ

كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ المائدة: ٨٩، اشترط مالك فيها أن تكون مؤمنة؛ لتقيدها بذلك في

كفارة القتل، فحمل هذا المطلق على ذلك المقيد^(٤).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٢٨٥/١.

(٢) المرجع السابق ٢١٠/١.

(٣) رواه مسلم، كتاب الايمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم ٣٢٢، ١٨٠/١.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٢٤٢/١.

تفسير الإمام ابن الجوزي

يرى الباحث أن الإمام ابن الجوزي سار في تفسيره على النحو التالي:

- ذكر الإمام ابن الجوزي مسائل في أصول الفقه في تفسيره.
- لم يكثر من ذكر المسائل الأصولية وقواعدها.
- قد يذكر ترجيحات الإمام أحمد وقد يذكر الأقوال فقط.
- يذكر الأقوال في المسألة أو في معنى الآية ويذكر القواعد الأصولية بين هذه الأقوال. وهذه بعض الأمثلة:

١- الرخصة والعزيمة: قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَةً﴾ آل عمران: ٢٨ ، والتقية رخصة، وليست بعزيمة. قال الإمام أحمد: وقد قيل: إن عرضت على السيف تجيب؟ قال: لا. وقال إذا أجاب العالم تقية، والجاهل بجهل، فمتى يتبين الحق؟^(١).

٢- المطلق والمقيد: قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ المائدة: ٨٩، واختلفوا في إيمان الرقبة المذكورة في هذه الكفارة على قولين: أحدهما: أنه شرط وبه قال الشافعي؛ لأن الله تعالى قيد بذكر الإيمان في كفارة القتل، فوجب حمل المطلق على المقيد. والثاني: ليس بشرط وبه قال أبو حنيفة، وعن أحمد رضي الله عنه روايتان^(٢).

٣- العام والخاص: قال تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة: ١٢٢، يعني: على عالمي زمانهم، قاله ابن عباس، وهو من العام الذي

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٢٧٢/١.

(٢) المرجع نفسه ٥٨٠/١.

أريد به الخاص^(١). وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ البقرة: ٤٨، قالوا: المراد بالنفس ههنا: النفس الكافرة، فعلى هذا يكون من العام الذي أريد به الخاص^(٢). وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي أَلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ الأنعام: ٣٨، الكتاب القرآن، روى عن ابن عباس: ما تركنا من شيء إلا وقد بيناه لكم، فعلى هذا يكون من العام الذي أريد به الخاص^(٣)، كقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ النحل: ٨٩، أي: لكل شيء يحتاج إليه في أمر الدين^(٤).

٥- التغليب: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ البقرة: ١٦١، حيث قال: إنما شرط الموت على الكفر؛ لأن حكمه يستقر بالموت عليه، فان قيل: كيف قال: (وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) وأهل دينه لا يلعنونه، فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنهم يلعنونه في الآخرة قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ العنكبوت: ٢٥، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا﴾ الأعراف: ٣٨، والثاني: أن المراد بالناس ههنا: المؤمنون، قاله ابن مسعود، وقتادة، ومقاتل. فيكون على هذا من العام الذي أريد به الخاص. والثالث: أن اللعنة من الأكثر يطلق عليها: لعنة جميع الناس تغليباً لحكم الأكثر على الأقل^(٥).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٦٢/١.

(٢) المرجع نفسه ٦٢/١.

(٣) المرجع نفسه ٢٦/٢.

(٤) المرجع نفسه ٢٦/٢.

(٥) المرجع نفسه ١٢٨/١.

المبحث الثالث

تفسير القرآن باللغة عند الإمامين

وفيه مطلبان

المطلب الأول: تفسير ابن جزي في اللغة

المطلب الثاني: تفسير ابن الجوزي في اللغة

تمهيد:

نزل القرآن الكريم يخاطب العرب ابتداء حيث شرف الله العرب إذ جعل القرآن بلغتهم قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الزخرف: ٣، وقال تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ الشعراء: ١٩٥، والعرب أهل فصاحة وبيان، وهذا الخطاب الذي خاطبهم الله به فاق بلاغتهم وفصاحتهم، فلقد تحداهم أن يأتوا بمثله فعجزوا، فتحداهم على أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا، فتحداهم أن يأتوا بسورة مثله، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَدْعَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ يونس: ٣٨، وعلى ضوء هذا الخطاب فهم العربي خطاب الله له بلغته، ومراد الله منه من غير ترجمة إلا ما أشكل عليه في بعض الغيبيات والمنتشابهات، لقد استخدم القرآن ما كانت العرب تستخدمه في الخطاب من بلاغة وبيان، وما ضبط به اللغة من حركات وإعراب، وما اعتمد عليه في توصيل المعنى للمخاطب من الألفاظ والإشارات. وقد اعتمد المفسرون لغة العرب طريقة ثابتة في تفسير القرآن الكريم وبيان ألفاظه من خلال ما كانت العرب تتكلم به وما قالوه في أشعارهم ليكون حجة في توضيح المعنى القرآني للمتأخرين، فلا يخلو مفسر يتكلم في معاني القرآن الكريم إلا وهو ملمّ بلغة العرب؛ ليبين معنى اللفظ من حيث اللغة.

وليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر^(١).

ومعرفة هذا الفن للمفسر ضروري وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى، قال مالك ابن أنس: لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا.

(١) البرهان لعلم القرآن للزركشي ٢٩٥/١.

وقال مجاهد^(١): لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب^(٢). ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليماً من القادح وإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة، فهو من تعاهد النظم، والبلاغة على مراحل^(٣). قال السيوطي: جاز لمن عرف لغات العرب وأسباب النزول أن يفسره وأما من لم يعرف وجوه اللغة فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما سمع، فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على وجه التفسير^(٤).

قال العلماء: يجب على المفسر البداءة بالعلوم اللفظية وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة ثم التصريف ثم الاشتقاق ثم يتكلم عليها بحسب التركيب فيبدأ بالإعراب ثم بما يتعلق بالمعاني ثم البيان ثم البديع ثم يبين المعنى المراد ثم الاستنباط ثم الإشارات^(٥).

(١) الإمام، شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب ابن أبي السائب المخزومي. روى عن: ابن عباس - فأكثر وأطاب - وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه. وعن: أبي هريرة، وعائشة، وسعد ابن أبي وقاص، وعبد الله ابن عمرو، وابن عمر، وغيرهم قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة.

وقال: عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أفقه عند كل آية، أسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ قال ابو نعيم مات مجاهد وهو ساجد سنة ثنتين ومائة. سير اعلام النبلاء ١١/٨ .

(٢) البرهان لعلوم القرآن للزركشي ٢٩٢/١.

(٣) المرجع السابق ٣١١/١.

(٤) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤٧٦/٢.

(٥) المرجع السابق ٤٨٨/٢.

المطلب الأول

تفسير الإمام ابن جزي في اللغة

يرى الباحث أن الإمام ابن جزي سار في تفسيره على النحو التالي:

- اعتمد الإمام ابن جزي لغة العرب في تفسيره لبيان المعنى القرآني حيث قال في المقدمة: وأما اللغة فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها، وهي غريب القرآن وهي من فنون التفسير، وقال في النحو: وأما النحو فلا بد للمفسر من معرفته. فإنّ القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى معرفة اللسان. والنحو ينقسم إلى قسمين: أحدهما: عوامل الإعراب. وهي أحكام الكلام المركب. والآخر: التصريف وهي أحكام الكلمات من قبل تركيبها، وقال في البيان: وأما علم البيان: فهو علم شريف تظهر به فصاحة القرآن^(١).

- بيّن ما ذكره في تفسيره أنه ما كان يحتاج إليه لبيان المعنى وتوضيحه وما لا فائدة كبيرة في ذكره فإنه لا يذكره، فقال في النحو: وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه من المشكل والمختلف، أو ما يفيد فهم المعنى، أو ما يختلف المعنى باختلافه ولم نتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلاّ المبتدئ فإنّ ذلك يطول بغير فائدة كبيرة، وقال في علم البيان: وقد ذكرنا منه في هذا الكتاب فوائد فائقة، ونكات مستحسنة رائقة^(٢).

- ذكر في المقدمة باباً في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان، فقال: أما الفصاحة فلها خمسة شروط: الأوّل: أن تكون الألفاظ عربية لا مما أحدثه المولدون ولا مما غلّطت فيه العامّة، الثاني: أن تكون من الألفاظ المستعملة لا من الوحشية المستقلة، الثالث: أن تكون العبارة واقعة على المعنى موفية له لا قاصرة عنه، الرابع: أن تكون العبارة سهلة سالمة من التعقيد، الخامس: أن يكون الكلام سالماً من الحشو الذي لا يحتاج إليه. وأما

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/١٨٠.

(٢) المرجع نفسه ١/١٨٠.

البلاغة فهي سياق الكلام على ما يقتضيه الحال والمقال من الإيجاز والإطناب، ومن التهويل والتعظيم والتحقير، ومن التصريح والكناية والإشارة وشبه ذلك، بحيث يهز النفوس ويؤثر في القلوب، ويقود السامع إلى المراد أو يكاد. وأما أدوات البيان: فهي صناعة البديع، وهو تزيين الكلام كما يزين العلم الثوب^(١).

- ذكر أنواع البيان في القرآن، فقال: وقد وجدنا في القرآن منها اثنين وعشرين نوعا، ونبهننا على كل نوع في المواضع التي وقع فيها من القرآن وقد ذكر هذه الأنواع في المقدمة^(٢).

- ذكر ما قالته العرب في كلامها وأشعارها.

- ذكر قليلا من الشواهد الشعرية في تفسيره.

- بين المعنى القرآني من خلال اللغة أو الإعراب أو لفات بلاغية وغيرها.

- يختصر في إعراب الجمل والتقدير. وهذه بعض الأمثلة:

١- قال تعالى: ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ البقرة: ٩٣، سمعنا قولك وعصينا أمرك، ويحتمل أن يكونوا قالوه بلسان المقال، أو بلسان الحال وأشربوا عبارة عن تمكن حب العجل في قلوبهم، فهو مجاز، تشبيها بشرب الماء، أو بشرب الصبغ في الثوب وفي الكلام محذوف أي أشربوا حب العجل^(٣).

٢- قال تعالى: ﴿ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ المائدة: ١٠٦، شهادة بينكم مرفوع بالابتداء وخبره: اثنان التقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو مقيم شهادة بينكم اثنان إذا حضر أي قارب الحضور، والعامل في إذا المصدر الذي هو شهادة، وهذا على أن يكون إذا بمنزلة حين لا تحتاج جوابا، ويجوز أن تكون

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١٤/١.

(٢) المرجع نفسه ٢٤/١.

(٣) المرجع نفسه ٩٠/١.

شرطية، وجوابها محذوف يدل عليه ما تقدم قبلها فإنّ المعنى: إذا حضر أحدكم الموت، فينبغي أن يشهد حين الوصية، ظرف العامل فيه حضر، ويكون بدلا من إذا. (١)

٣- قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَىٰ ﴾ طه: ١٥ المعروف في اللغة أن يقال: أخفى بالألف من الإخفاء، وخفي بغير ألف بمعنى أظهر، فلو كان بمعنى الظهور لقال: أخفيها بفتح همزة المضارع، وقد قرئ بذلك من الشاذ، وقال الزمخشري: قد جاء في بعض اللغات أخفى بمعنى خفي: أي أظهر، فلا يكون هذا القول مختلا على هذه اللغة، فالأخفى على معناه المعروف في اللغة، وكاد على معناها من مقارنة الشيء دون وقوعه، وهذا المعنى هو اختيار المحققين (٢).

٤- قال تعالى: ﴿ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ طه: ١٠٧، المعروف في اللغة أن العوج بالكسر في المعاني، وبالفتح في الأشخاص والأرض شخص، فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح، وإنما قاله بالكسر مبالغة في نفيه، فإن الذي في المعاني أدق من الذي في الأشخاص، فنفاه ليكون غاية في نفي العوج من كل وجه (٣).

٥- قال تعالى: ﴿ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَمِمَّا فَدَاءَ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ محمد: ٤، وانتصب منّا وفداء على المصدرية، والعامل فيهما فعلان مضمران والأوزار في اللغة: الأثقال، فالمعنى حتى تذهب وتزول أثقالها، وهي آلتها وقيل: الأوزار: الآثام؛ لأن الحرب لا بد أن يكون فيها إثم في أحد الجانبين (٤).

٦- قال تعالى: ﴿ يُوَسِّفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ يوسف: ٤٦، يقدر قبله محذوف لا بد منه وهو فأرسلوه فقال: يا يوسف، وسماه صديقا؛ لأنه كان قد جرب صدقه في تعبير الرؤيا

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢٤٧/١.

(٢) المرجع نفسه ٦/٢.

(٣) المرجع نفسه ١٤/٢.

(٤) المرجع نفسه ٢٨١/٢.

وغيرها، والصديق مبالغة من الصدق^(١).

٧- قال تعالى: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾ (١٠٠) خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ

الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿طه: ١٠٠ - ١٠١، الوزر في اللغة الثقل، ويعني هنا العذاب لقوله: (خَلِيدِينَ فِيهِ) أو الذنوب؛ لأنها سبب العذاب ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾ شبه الوزر بالحمل لنقله^(٢).

٨- قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا

نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (الشورى: ٢٠)، حَرْثُ الْآخِرَةِ عبارة عن العمل لها، وكذلك حَرْثُ الدُّنْيَا، وهو مستعار من حَرْثِ الْأَرْضِ؛ لأن الحراث يعمل وينتظر المنفعة بما عمل^(٣).

٩- قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾ (الحديد: ٢٠)، تشبيه الدنيا بالزرع

الذي ينبت الغيث في سرعة تغيره بعد حسنه، وتحطمه بعد ظهوره والكفار هنا يراد به الزراع فهو من قوله: كَفَرْتُ الْحَبَّ إِذَا سَتَرْتَهُ تَحْتَ الْأَرْضِ، وخصهم بالذكر؛ لأنهم أهل البصر بالزرع والفلاحة، فلا يعجبهم إلا ما هو حقيق أن يعجب^(٤).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٣٨٨/١.

(٢) المرجع نفسه ١٤/٢.

(٣) المرجع نفسه ٢٤٧/٢.

(٤) المرجع نفسه ٣٤٧/٢.

المطلب الثاني

تفسير ابن الجوزي في اللغة

يرى الباحث أن الإمام ابن الجوزي سار في تفسيره على النحو التالي:

- ذكر الإمام ابن الجوزي كذلك لغة العرب لبيان المعنى القرآني.
- ذكر في تفسيره كثيراً من معالم اللغة والإعراب والصرف.
- ذكر كثيراً من اللفظات البلاغية لبيان المعنى القرآني.
- مقارنة بما ذكره الإمام ابن جزي فقد أكثر الإمام ابن الجوزي من ذكر اللغة.
- ذكر ما ذكرته العرب من كلامها وأشعارها لبيان المعنى القرآني. وسنقف عند بعض النصوص التي ذكرها في تفسيره، وهو يذكر المعنى من كلام العرب أو ما استعملته فلا تخلو صفحة من كتابه إلا وفيها ذكر للغة العرب ومدلولاتها.

١- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ

﴿آل عمران: ٧﴾، فإن قيل: فما فائدة إنزال المتشابه، والمراد بالقرآن البيان والهدى؟ فعنه أجوبة. أحدها: أنه لما كان كلام العرب على ضربين. أحدهما: الموجز الذي لا يخفى على سامعه، ولا يحتمل غير ظاهره. والثاني: المجاز، والكنائيات، والإشارات، والتلويحات، وهذا الضرب الثاني هو المستطلى عند العرب، والبديع في كلامهم، أنزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين، ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله. ومتى وقع في الكلام إشارة أو كناية، أو تعريض أو تشبيه، كان أفصح وأغرب^(١).

٢- قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ

قَرَارٍ﴾ إبراهيم: ٢٦، ومعنى تشبيه الكافر بهذه الشجرة أنه لا يصعد للكافر عمل صالح،

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٢٥٩/١.

ولا قول طيب، ولا لقوله أصل ثابت^(١).

٣- قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ

تَكْفُرُونَ﴾ آل عمران: ١٠٦، أصل الذوق إنما يكون بالفم، وهذا استعارة منه، فكانهم جعلوا ما يُتَعَرَّفُ ويُعْرَفُ مَذُوقًا على وجه التشبيه بالذي يعرف عند التطعم، تقول العرب: قد دُقتُ من إكرام فلان ما يُرغبني في قصده^(٢).

٤- قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ محمد: ٢٤، ذكر الأقفال

استعارة، والمراد أن القلب يكون كالبيت المقل لا يصل إليه الهدى^(٣).

٥- قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ الأنعام: ١٤٦، وفيه

ثلاث لغات. أعلاهن: ظُفر؛ ويقال: ظُفر، وأظفور. قال الشاعر:

ألم تر أن الموت أدرك من مَضَى. . . فلم يُبْقِ منه ذا جناح وذا ظُفر.

وقال الآخر:

لقد كنتُ ذا نابٍ وظُفرٍ على العدى. . . فأصبحتُ ما يَحْشُونَ نابي ولا ظُفري.

وقال الآخر:

ما بين لُقمته الأولى إذا انحدرت. . . وبين أخرى تليها قيدُ أظفور^(٤).

٦- قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

الأعراف: ٨، والمراد بموازينه: وزنه. والعرب تقول: هل لك في درهم بميزان درهمك، ووزن

درهمك، ويقولون: داري بميزان دارك، ووزن دارك؛ ويريدون: حذاء دارك^(٥).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٥١٢/٢.

(٢) المرجع نفسه ٣١٣/١.

(٣) المرجع نفسه ١٢٠/٤.

(٤) المرجع نفسه ٨٨/٢.

(٥) المرجع نفسه ١٠٢/٢.

٧- قال تعالى: ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ الأعراف: ٣٢ ، خالصة نصب على الحال من لام مضمره، تقديرها: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة، وهي لهم في الآخرة خالصة، فحذفت اللام لوضوح معناها، كما تحذف العرب أشياء لا يُلَبَسُ سقوطها^(١).

٨- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ﴾ الأعراف: ١٧٩، هذه اللام يسميها بعض أهل المعاني لام العاقبة، كقوله تعالى: ﴿ فَالْقَطْعَةُ ءَأَلٌ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ القصص: ٨^(٢).

٩- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الأنفال: ٢، يقال: وجِلَّ يُوَجِّلُ ويأجِلُ ويبيجِلُ ويبيجلُ، هذه أربع لغات حكاها سيبويه. وأجودها: يُوَجِّلُ^(٣).

١٠- قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ هود: ٧٧، الأصل فيه: وضاق ذرعه بهم، فنقل الفعل عن الذرع إلى ضمير لوط، ونُصب الذرع بتحول الفعل عنه، قال تعالى: ﴿ وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ مريم: ٤، ومعناه: اشتعل شيب الرأس^(٤).

١١- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ ﴾ الإسراء: ٧٠، وكَرَّمْنَا أشد مبالغة من أكرمنا^(٥). أكرمنا^(٥). و قال تعالى: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ المنافقون: ٤، وهذه مبالغة في الجبن^(٦).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١١٥/٢.

(٢) المرجع نفسه ١٧١/٢.

(٣) المرجع نفسه ١٨٨/٢.

(٤) المرجع نفسه ٣٨٩/٢.

(٥) المرجع نفسه ٣٩/٣.

الجبن^(١). و قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ النساء: ١٣٥ القوام:
مبالغة من قائم^(٢).

(١) المرجع نفسه ٤/٢٨٧.

(٢) المرجع نفسه ١/٤٨٤.

الباب الثالث

الدراسة التطبيقية عند الإمامين ابن جزي، وابن الجوزي

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول: العقائد

الفصل الثاني: العبادات

الفصل الثالث: السلوك

الفصل الرابع: القصص

الفصل الأول

الدراسة التطبيقية عند الإمامين في العقائد

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: تفسير الإمامين في الآيات الكونية

المبحث الثاني: تفسير الإمامين في آيات الإيمان

المبحث الثالث: تفسير الإمامين في الأسماء والصفات

تمهيد

العقد في اللغة: الضمان، والعهد^(١)، وهو نقيض الحل؛ عقده يعقده عقداً وتَعَقَدَا وهي أوكد العهود. والمعاقدة: المعاهدة. وعاقده: عهده. وتعاقد القوم: تعاهدوا. وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ المائدة: ١^(٢). وهو: الربط والشدُّ بقوة وإحكام، ونحو ذلك مما فيه توثق وجزم، ولذا يطلق العقد على البيع والعهد والنكاح واليمين ونحوهما من الموثيق والعقود لارتباط كل من الطرفين بهذا العقد عرفاً وشرعاً، إلى غير ذلك مما يجب الوفاء به.

وفي الاصطلاح: ما ينعقد عليه قلب المرء ويجزم به فلا يتطرق إليه الشك فيه^(٣).

والتوحيد أخص أمور العقيدة؛ لأنه يتعلق بإثبات ما يجب لله تعالى، ونفي ما لا يليق به سبحانه وتعالى، والقيام بحقه وفق شرعه ابتغاء وجهه، والبراءة مما خالف ذلك ومن مخالفه من المكلفين، وإنما سُمي دين الإسلام توحيداً؛ لأن مبناه على أن الله واحد في ربوبيته وخلقته وملكه وتدبيره، فلا شريك له، وواحد في إلهيته وعبادته، فلا ند له، وواحد في أسمائه وصفاته وأفعاله، فلا سمي له ولا مثل له، فإطلاق التوحيد على العقيدة تغليباً وتنبهياً على شرفه^(٤).

وقد عرفنا ربنا بنفسه، ودعانا إلى الإيمان به، وعبادته وحده سبحانه، والعمل بما أمر، واجتناب ما نهى وحذر. وقد خاطبنا ربنا في كتابه الكريم بالبيان الواضح، ودعانا إلى قراءته والتأمل فيه، ودعانا إلى نظرة أخرى في هذا الكون وما فيه لتكون رديفة التأمل القرآني حتى نصل إلى النتيجة الكاملة في معرفة الله ومعرفة مراده.

وأهم ما دعانا إليه القرآن ما يدور حول العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية ووجه المسلم إلى الطريق الأمثل للتعامل مع هذا الوجود الدال على عظمة الله والسير فيه، وفق مراد الله. ومما لا يخفى في دعوة القرآن إلى التفكير في الكون وما أودع الله فيه من أسرار

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي ٣٠٠.

(٢) لسان العرب لابن منظور ٣/ ٢٩٦.

(٣) أركان الإيمان للشحود ١.

(٤) المرجع السابق ٣.

وتدبير هذه دعوة ليست مجردة للعين لتتنظر وليس هذا مراد القرآن من النظرة المجردة بل هي دعوة يذيلها في كل آية إلى نظر العقل والتفكر والتأمل حتى يصل إلى معرفة مراد الله بعد معرفة الله.

وعلى هذا فبمقدار ما يقف المسلم متأملاً لآيات القرآن الكريم ومتأملاً لهذا الكون يستسلم لمولاه الحق سبحانه ويستقيم على شرعه ويلتزم بمنهجه. ومن هنا قسّم العلماء مسائل التوحيد على المسائل الثلاث: في توحيد الربوبية وهي توحيد الله في فعله وخلقه، وتوحيد الألوهية في أمره ونهيه، وتوحيد الأسماء والصفات الدالة على عظمته وتدبيره، وعليها مدار الإيمان.

المبحث الأول

تفسير الإمامين ابن جزى وابن الجوزى في الآيات الكونية

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: تفسير الإمام ابن جزى في الآيات الكونية

المطلب الثاني: تفسير الإمام ابن الجوزى في الآيات الكونية

المطلب الثالث: المقارنة بين تفسير الإمامين في الآيات الكونية

المطلب الأول

تفسير الإمام ابن جزى في الآيات الكونية

- ذكر الإمام ابن جزى في المقدمة فقال: "اعلم أن معاني القرآن سبعة: هي علم الربوبية، والنبوة، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد والقصص، فأما علم الربوبية: فمنه إثبات وجود الباري جل جلاله، والاستدلال عليه بمخلوقاته، فكل ما جاء في القرآن من التنبيه على المخلوقات، فهو دليل على خالقه، ومنه إثبات الوجدانية، والردّ على المشركين، والتعريف بصفات الله من الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر، وغير ذلك من أسمائه وصفاته، والتنزيه عما لا يليق به^(١).

- من أهم ما يميز تفسير ابن جزى تفسيره للآيات الكونية ثم عرضه للشاهد منها وربط الكلام بالدعوة إلى الإيمان أو التحذير من الشرك في الآيات التي تتحدث عن الخلق وعن تدبير الكون، وهو منهج القرآن الكريم في تذييله لكل الآيات.

- يبيّن معنى الآية بأسلوب مختصر وهادف في توظيف الآية، لتحقيق الهدف. وسنقف مع بعض الأمثلة:

١- قال تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ ﴾ الأنعام: ١٢
القصد بالآية إقامة البرهان على صحة التوحيد وإبطال الشرك، وجاء ذلك بصفة الاستفهام لإقامة الحجة على الكفار فسأل أولاً، لمن ما في السموات والأرض؟ ثم أجاب عن السؤال بقوله قل لله؛ لأن الكفار يوافقون على ذلك بالضرورة، فيثبت بذلك أن الإله الحق هو الله الذي له ما في السموات وما في الأرض^(٢).

٢- قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ ﴾ البقرة: ١٦٤
ذكر فيها ثمانية أصناف من المخلوقات تنبئها على ما فيها من العبر والاستدلال على التوحيد المذكور قبلها في قوله: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ﴾ البقرة: ١٦٣ ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ١ / ١٤.

(٢) المرجع السابق ١ / ٢٥٥ والحديث رواه البخاري، كتاب العلم، باب وكان عرشه على الماء، رقم ٦٩٨٦، ٩ / ١٥٣.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ﴿ أَي اختلاف وصفهما من الضياء والظلام والطول والقصر، وقيل إن أحدهما يخلف الآخر ﴿ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ من التجارة وغيرها ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ﴾ إرسالها من جهات مختلفة، وهي الجهات الأربع، وما بينهما وبصفات مختلفة منها ملقحة للشجر، وعقيم، وللنصر، وللهلاك^(١).

٣- قال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ يس: ٨١، هذا دليل على البعث، بأن الإله الذي قدر على خلق السموات والأرض على عظمها وكبر أجرامها قادر على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها، ﴿ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ ذكر في هذين الاسمين أيضا استدلال على البعث، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ يس: ٨٢ لأن هذا عبارة عن قدرته على جميع الأشياء ولا شك أن الخلاق العليم لا يصعب عليه إعادة الأجساد^(٢).

٤- قال تعالى: ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ الزمر: ٤، نزه تعالى نفسه من اتخاذ الولد، ثم وصف نفسه بالواحد؛ لأن الوحدانية تنافي اتخاذ الولد؛ لأنه لو كان له ولد لكان من جنسه، ولا جنس له لأنه واحد، ووصف نفسه بالقهار ليدل على نفي الشركاء والأنداد؛ لأن كل شيء مقهور تحت قهره تعالى، فكيف يكون شريكا له؟^(٣).

٥- قال تعالى: ﴿ أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ق: ١٥، الخلق الأول: خلق الإنسان من نطفة ثم من علقة، وقيل: يعني خلق آدم، وقيل: خلق السموات والأرض، والأول أظهر، ومقصود الآية الاستدلال بالخلقة الأولى على البعث^(٤).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/ ١٠٥.

(٢) المرجع نفسه ٢/ ١٨٢.

(٣) المرجع نفسه ٢/ ٢١٦.

(٤) المرجع نفسه ٢/ ٣٠١.

المطلب الثاني

تفسير الإمام ابن الجوزي في الآيات الكونية

يرى الباحث أن الإمام ابن الجوزي سار في تفسيره على النحو التالي:

- تكلم ابن الجوزي في عرضه للآيات التي تكلمت عن ربوبية الله سبحانه و ذكر في تفسيره الأقوال، وقد ينسبها إلى أصحابها.

- بين مفردات الآية من اللغة أو الأثر كمنهج سار عليه في تفسيره العام.

- قد يذكر المعنى العام أو توجيه الآية لبيان التوحيد أو ردود على المشركين عند عرض الآيات التي تتكلم عن الكون والخلق أحياناً.

- يذكر الآية مجزأة ويذكر معناها. وهذه بعض الأمثلة:

١- قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ

كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿ الشعراء: ٢٣ - ٢٤، أجابه بما يدل عليه من مصنوعاته. وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ قولان: أحدهما: أنه خَلَقَ السموات والأرض. والثاني: إن كنتم موقنين أن ما تعابنونه كما تعابنونه، فكذاك، فأيقنوا أن رب العالمين رب السموات والأرض^(١).

٢- قال تعالى: ﴿ مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ النمل: ٦٠، أي: ما ينبغي لكم

ذلك؛ لأنكم لا تقدرن عليه^(٢).

٣- قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ

بَعْدِهِ ﴾ فاطر: ٤١، أي: يمنعهما من الزوال والذهاب والوقوع. لما قالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت اليهود: عزيز ابن الله، كادت السموات يتفطرن والجال أن تزول والأرض أن تتشق، فأمسكها الله عز وجل وإنما وحد الأرض مع جمع السموات؛ لأن الأرض تدل على الأرضيين. ﴿ وَلَئِن زَالَتَا ﴾ تحتل وجهين: أحدهما: زوالهما يوم القيامة، والثاني: أن

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٣/ ٣٣٨.

(٢) المرجع نفسه ٣/ ٣٦٧.

يُقال قديراً وإن لم تزولا، وهذا مكان يدل على القدرة، غير أنه ذكر الحلم فيه؛ لأنه لما أمسكهما عند قولهم حلم فلم يعجل لهم العقوبة^(١).

٤- قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي

فِي الْبَحْرِ﴾ البقرة: ١٦٤

فأما السماوات، فتدل على صانعها، إذ هي قائمة بغير عمد، وفيها من الآيات الظاهرة، ما يدل يسيره على مبدعه، وكذلك الأرض في ظهور ثمارها، وتمهيد سهولها وإرساء جبالها، إلى غير ذلك. واختلاف الليل والنهار كل واحد منهما حادث بعد أن لم يكن، وزائل بعد أن كان، والفلك: السفن. والبحر: الماء الغزير بما ينفع الناس من المعاش. والمطر ينزل على معنى واحد، وأجزاء الأرض والهواء على معنى واحد، والأنواع تختلف في النبات والطعوم والألوان والأشكال المختلفة^(٢).

٥- قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ عبس: ٢٤، لينظر الإنسان كيف خلق الله

طعامه الذي جعله سببا لحياته؟ والمعنى: فلينظر الإنسان إلى أنا صبينا. قال المفسرون: أراد بصب الماء: المطر^(٣).

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣/ ٥١٤.

(٢) المرجع نفسه ١/ ١٢٩.

(٣) المرجع نفسه ٤/ ٤٠٢.

المطلب الثالث

المقارنة بين تفسير الإمامين

لما أنزل الله القرآن الكريم يخاطب الناس ويدعوهم إلى الإيمان بالله كان من ضمن ما وجه الله به دعوته للخلق وهو يدعوهم إلى الإيمان دعوته للنظر في الكون والتأمل فيه والتدبر في صنعته وقد دعا القرآن إلى نظرة شاملة في الكون بدء من الإنسان نفسه ثم إلى الأرض وما فيها من جبال ونبات وغيرها ثم إلى السموات وما فيها من مجرات ونجوم ومشاهد وهي دعوة إلى نظرة شاملة في كل آفاق الكون لتفعيل العقل ودعوته إلى الإيمان بالله وحده.

وفي هذه الدعوة التي دعا إليها القرآن كانت الدعوة كذلك إلى نبذ الجاهلية بكل صورها ومعتقداتها وترك عبادة غير الله من أصنام وطواغيت وغيرها لأنها لم تخلق شيئاً ولا تملك لنفسها شيئاً وأنها لا تستحق العبادة.

وقد اتفق الإمامان ابن جزري وابن الجوزي في منهجهما في تفسير الآيات الكونية على بيان الآيات في دعوتها إلى الإيمان بالله وهذا خطاب القرآن الذي خاطب الله به الناس وهو يدعوهم إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ومعالم الإيمان وأركانه.

وكذلك اتفق الإمامان في تفسيرهما على بيان دعوة القرآن في عرضه للآيات الكونية أن يدعو الناس إلى تفعيل العقل والتدبر في هذا الكون الذي يدلهم على الله الذي له ملكوت الكون كله وهذه دلائل ربوبيته وتدبيره.

وكذلك اتفق الإمامان في تفسيرهما على بيان دعوة القرآن في عرضه للآيات الكونية أن يدعو القارئ إلى نبذ ما سوى الله من المعبودات التي عبدت من دون الله وأنها لم تخلق شيئاً من الكون حتى تعبد وأنها لا تملك لنفسها الخير والشر فكيف تهبه لغيرها. واتفق الإمامان في عرض الآية مكتملة أو مجزأة وبيان معناها.

لكن الفرق في بيانهما لمعنى الآية وتوضيح مراد الله منها أن الإمام ابن جزري أجاد أوضح من الإمام ابن الجوزي في بيانه لمفهوم الآية وتكلم في توجيه الآية بالمعنى العام أفضل من الإمام ابن الجوزي وكذلك في دعوة القرآن للمخالفين والرد عليهم.

وإذا كان هذا منهج القرآن في عرضه للآيات الكونية بدعوته للقارئ للإيمان والتفكير والتدبر فقد سار المفسرون على هذا المنهج ونقف معهم في قوله تعالى: ﴿وَالذَّرِيَّتِ ذَرَّوَا

﴿١﴾ فَأَلْحَمَلَتِ وَقْرًا ﴿٢﴾ فَأَلْجَرِيَّتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَأَلْمُقْسِمَتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

الذاريات: ١ - ٦

ذكر الإمام ابن جزي معاني الآيات فذكر الذاريات وهي الرياح وذكر الحاملات وهي السحب وذكر الجاريات وهي السفن وذكر المقسمات وهي الملائكة (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ) الأظهر أنه يراد به البعث في الآخرة وهو يشمل الوعد والوعيد (وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) الدين هنا الجزاء، وقيل: الحساب^(١).

وهو ما ذكره الإمام ابن الجوزي: وإنما أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته. ثم ذكر المقسم عليه فقال: إنما توعدون: من الثواب والعقاب يوم القيامة لصادق أي: لحق. وإن الدين فيه قولان: أحدهما: الحساب. والثاني: الجزاء لواقع أي: لكائن^(٢). فاتفقا على معنى الآيات وأن المراد منها أن الله أقسم بهذه المخلوقات لإثبات حقيقة البعث وهو ذكره الإمام الطبري فقال: إن الذي توعدون أيها الناس من قيام الساعة، وبعث الموتى من قبورهم لصادق، يقول: لكائن حق يقين^(٣).

وقال ابن كثير: وهذا قسم من الله عز وجل على وقوع المعاد؛ ولهذا قال: {إنما توعدون لصادق} أي: لخبر صادق، {وإن الدين} وهو: الحساب {لواقع} أي: لكائن لا محالة^(٤). وقال البغوي^(٥): ثم ذكر المقسم عليه فقال: إنما توعدون، من الثواب والعقاب، لصادق،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢/ ٣٠٦.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٤/ ١٦٧.

(٣) جامع البيان للطبري ٢٢/ ٣٩٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٤١٤.

(٥) أبو محمد الحسين ابن مسعود ابن محمد البغوي الشيخ، الإمام، العلامة، القدوة، الحافظ، شيخ الإسلام، محيي السنة، أبو محمد الحسين ابن مسعود ابن محمد ابن الفراء البغوي، الشافعي، المفسر، صاحب التصانيف، وكان البغوي يلقب بمحيي السنة وبركن الدين، وكان سيذا إماما، عالما علامة، زاهدا قانعا باليسير، بورك له في تصانيفه، ورزق فيها القبول التام، وتنافس العلماء في تحصيلها، وكان لا يلقي الدرس إلا على طهارة، وله القدم الراسخ في التفسير، والباع المديد في الفقه، توفي: بمرور الروذ - مدينة من مدائن خراسان - في شوال، سنة ست عشرة وخمس مائة، وعاش بضعا وسبعين سنة - رحمه الله -، انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٣٧/ ٤١٤.

وإن الدين، الحساب والجزاء، لواقع، لكائن^(١).

فقد ذكر المفسرون ما أقسم الله به من الرياح والسحب والسفن والتي أقسم الله بها لبيان الحقيقة الثابتة وهي القيامة ليذكر لنا ربنا بما أقسم به من حقائق في الوجود لتكون برهان على إثبات اليوم الآخر.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَعْزِمْ اللَّهُ بَلِّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ النمل: ٦٠

قال الإمام ابن جزري: أقام عليهم الحجة بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض، وبغير

ذلك مما ذكره إلى تمام هذه الآيات، وأعقب كل برهان منها بقوله: أله مع الله على وجه التقرير لهم، على أنه لم يفعل ذلك كله إلا الله وحده، فقامت عليهم الحجة بذلك^(٢).

وقال الإمام ابن الجوزي: قوله تعالى: أمن خلق السموات تقديره: أما يشركون خيراً، أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أي: ما ينبغي لكم ذلك لأنكم لا تقدرون عليه. ثم قال مستفهما منكراً عليهم: أَلَمْ يَعْزِمِ اللَّهُ أَي: ليس معه إله بل هم يعني: كفار مكة قوم يعدلون^(٣).

فقد بين الإمامان معنى الآية في خلق السموات والأرض وإنزال المطر وإنبات النبات أن الله هو الخالق وهو الذي أنزل المطر وأنبت النبات وليس في الوجود إله سواه فكما أنه خلق الخلق وحده فله العبادة وحده وأن ما سواه لم يخلق شيئاً وبهذا المعنى قال السمرقندي: الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء يعني: المطر ما كان لكم أن تنبتوا شجرها يعني: ما كان لمعبودكم قوة. ويقال: ما كان ينبغي لكم أن تنبتوا شجرها. ويقال: ما قدرتم عليه^(٤).

وقال البيضاوي: خلق السموات والأرض التي هي أصول الكائنات ومبادئ المنافع. وأنزل لكم لأجلكم. من السماء ماء، والتنبية على أن إنبات الحدائق البهية المختلفة الأنواع

(١) معالم التنزيل للبغوي ٤ / ٢٨١.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزري ٢ / ١٠٥.

(٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣ / ٣٦٧.

(٤) بحر العلوم للسمرقندي ٢ / ٥٨٩.

المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما أشار إليه بقوله: ما كان لكم أن تنبتوا شجرها **أَلَهُ مَعَ اللَّهِ** أغیره يقرن به ويجعل له شريكاً، وهو المنفرد بالخلق والتكوين^(١).

وقال أبو السعود^(٢): حملهم على الإقرار بالحق على وجه الاضطرار فإنه لا يتمالك أحد ممن له أدنى تمييز ولا يقدر على أن لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وأفاض على كل منها ما يليق به من منافع^(٣).

ذكر المفسرون أن الله سبحانه خلق السموات والأرض وإنزال المطر وإنبات النبات والشجر دليلاً على ألوهيته سبحانه ونفيها عن سواه حينما قال سبحانه **[أَلَهُ مَعَ اللَّهِ]** لتكون الآيات الكونية برهان على ألوهيته وأنه الإله الحق دون سواه والدليل على ذلك تلك الآيات الكونية التي أوجدها الله وسيّرها ولم يشاركه أحد، فكيف تصرف العبادة لغيره.

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٤ / ١٦٤.

(٢) محمد ابن محمد ابن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. ولد بقرب القسطنطينية، ودرس ودرس في بلاد متعددة، وتقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم ايلي. وأضيف إليه الإفتاء سنة ٩٥٢ هـ وكان حاضر الذهن سريع البديهة، وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه (إرشاد العقل السليم إلى مرآة الكتاب الكريم، توفي عام ٩٨٢ هجرية، انظر الاعلام للزركلي ٧/٥٩.

(٣) إرشاد العقل السليم لابي السعود ٦ / ٢٩٣.

المبحث الثاني:

تفسير الإمامين في آيات الإيمان

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: تفسير الإمام ابن جزى في آيات الإيمان

المطلب الثاني: تفسير الإمام ابن جوزى في آيات الإيمان

المطلب الثالث: المقارنة بين تفسير الإمامين في آيات الإيمان

المطلب الأول

تفسير الإمام ابن جزى في الإيمان

- تكلم الإمام ابن جزى في الآيات التي تتكلم عن التوحيد والعبادة والشرك وغيرها بالمعنى العام من مضمون الآية وهذا منهجه في تفسيره.

- تكلم في توجيه الآية لبيان أمر الله فيها من الدعوة للإيمان، أو نفي الشرك والتحذير منه، أو الرد على المشركين، أو التوجه إليه بالقصد والدعاء، إما أن يختم بها في تفسير الآية أو يبتدأ بها.

- يرد على المشركين من معنى الآية بعد عرض شبهتهم وقد بيّن معنى الآية ويذكر شبهة الكفار والرد عليهم. وهذه بعض الأمثلة:

١- قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ الرحمن: ٢٩،

المعنى أن كل من في السموات والأرض يسأل حاجته من الله، فمنهم من يسأله بلسان المقال، وهم المؤمنون، ومنهم من يسأله بلسان الحال لافتقار الجميع إليه^(١).

٢- قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أُرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الحج: ٧٧، عموم في العبادة بعد ذكر الصلاة التي عبّر عنها بالركوع والسجود، وإنما قدمها؛ لأنها أهم العبادات [وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ]، قيل: المراد صلة الرحم، وقيل: هي في الندب فيما عدا الواجبات، واللفظ أعم من ذلك كله^(٢).

٣- قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مَنَّاعًا حَسَنًا﴾ هود: ٣، أي استغفروه مما تقدم من الشرك والمعاصي، ثم ارجعوا إليه بالطاعة والاستقامة عليها

﴿ يُمْنِعْكُمْ مَنَّاعًا حَسَنًا ﴾ أي ينفعكم في الدنيا بالأرزاق، والنعم، والخيرات، وقيل: هو طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه لأن الكافر قد يتمتع في الدنيا

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٣٢٩/٢، والحديث في سنن ابن ماجة، كتاب الإيمان، باب فيما انكرت الجهمية، رقم ٢٠٢، ٧٣/١.

(٢) المرجع السابق ٤٧/٢ .

بالأرزاق^(١).

٤- قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ البينة: ٥، أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال، وهذا الإخلاص في التوحيد من الشرك الجليّ، وهذا الإخلاص في الأعمال من الشرك الخفيّ، وهو الرياء. قال رسول الله ﷺ: الرياء الشرك الأصغر^(٢). وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه إنه قال: أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشريكه^(٣).

٥- قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢، أي أعمالني في حين حياتي وعند موتي لله أي خالصاً لوجهه وطلب رضاه، ثم أكد ذلك بقوله لا شريك له: أي لا أريد بأعمالني غير الله، فيكون نفياً للشرك الأصغر وهو الرياء، ويحتمل أن يريد لا أعبد غير الله، فيكون نفياً للشرك الأكبر^(٤).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٣٦٥/١.

(٢) المستدرک علی الصحیحین للحاکم، کتاب الرقاق، رقم ٧٩٣٧، ٣٢٩/٤.

(٣) صحیح مسلم، کتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم ٧٦٦٦، ٢٢٣/٨، انظر التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٥٠٢/٢.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢٨٣/١.

المطلب الثاني

تفسير الإمام ابن الجوزي في الإيمان

يرى الباحث أن الإمام ابن الجوزي سار في تفسيره على النحو التالي:

- تكلم في تفسيره معنى مفردات الآية أو المعنى الإجمالي.
- ذكر معنى الآية وهي مجزأة بما يرتبط بالمعنى الإجمالي للآية.
- ذكر من أقوال الصحابة والتابعين فيما يتعلق بمعنى الآية.
- بين مضمون الآية التي تدعو إلى الإيمان والتوحيد أو الرد على الكفار والمخالفين.
- ذكر أقوالاً في معنى الآية من خلال بيانه لمعنى الآية.
- ذكر المعنى مع القراءات أو اللغة وغيرها، وقد لا يبين المعنى العام للآية، ومن الأمثلة على ذلك:

١- قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ دَعَوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ فاطر: ٤٠، المعنى: أخبروني عن الذين عبدتم من دون الله واتخذتموهم شركاء بزعمكم، بأي شيء أوجبتم لهم الشركة في العبادة؟! أي شيء خلقوه من الأرض، أم شاركوا خالق السموات في خلقها؟! (١).

٢- قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾ الأنعام: ١٤٨، أي: إذا لزمتمهم الحجة، وتيقنوا باطل ما هم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله [لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا]، فجعلوا هذا حجة لهم في إقامتهم على الباطل فكأنهم قالوا: لو لم يرض ما نحن عليه، لحال بيننا وبينه، وإنما قالوا ذلك مستهزئين، فيقال لهم: لم تقولون عن مخالفيكم: إنهم ضاللون، وإنما هم على المشيئة أيضاً؟ فلا حجة لهم؛ لأنهم تعلقوا بالمشيئة، وتركوا الأمر، ومشية الله تعم جميع الكائنات، وأمره لا يعم

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٣ / ٥١٤.

مراداته، فعلى العبد اتباع الأمر، وليس له أن يتعلل بالمشيئة بعد ورود الأمر^(١).

٣- قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْدُومًا﴾ الإسراء: ٢٢، لا تجعل مع الله إلها آخر الخطاب للنبي ﷺ والمعنى عام لجميع المكلفين، والمخدول: الذي لا ناصر له، والخذلان: ترك العون^(٢).

٤- قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهْمُ إِلَى الْبِرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ العنكبوت: ٦٥، أي: أفردوه بالدعاء. والدين بمعنى التوحيد والمعنى أنهم لا يدعون من يدعونه شريكا له، فلما نجاهم أي: خلصهم من أهوال البحر، وأفضوا إلى البر إذا هم يشركون في البر، وهذا إخبار عن عنادهم^(٣).

٥- قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر: ٦٠، ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: وحدوني وابدوني أثبكم، قاله ابن عباس. والثاني: سلوني أعطكم، ﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فيه قولان: أحدهما: عن توحيدي. والثاني: عن دعائي ومسألتي سيدخلون جهنم^(٤).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٩٠/٢.

(٢) المرجع نفسه ١٧/٣.

(٣) المرجع نفسه ٤١٣/٣.

(٤) المرجع نفسه ٤٣/٤.

المطلب الثالث

المقارنة بين تفسير الإمامين في آيات الإيمان

نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ يدعو للإيمان بالله وتوحيده ونبذ ما سواه من أصنام وأحجار ونجوم وغيرها، ودعا القرآن الناس أن يتوجهوا إلى الله في الملمات والشدائد لأنه وحده سبحانه القادر على الضر والنفع وبيده الخير والشر.

وقد بين القرآن الكريم بآيات كثيرة دعوته إلى عبادة الله والامتثال لما أمر واجتناب ما نهى، وبيان أن غاية وجود الإنسان هي عبادة الله وتعظيمه، وأن مهمة العبد القيام بأمر وفق ما أراد الله وبيّنه رسول الله ﷺ.

وقد تكلم الإمامان في تفسيريهما عن الإيمان ودعوة القرآن إليه من خلال عرض الآيات التي تتكلم عن الإيمان، أو الدعاء أو ذكر الشرك والرد على المشركين ومعتقداتهم، وقد اتفقا في بيان عرض الآية وبيان معناها وتوجيه المعنى لما أشارت إليه الآية من الإيمان والدعوة إليه أو التحذير من الشرك والكفر. وبينا في معنى الآية جملة أو مجزأة معنى اجمالياً.

ولكن في بيان أسلوب الإمام ابن جزري فقد كان بيانه أوضح وأسلوبه أشمل للمعنى الإجمالي للآية، وفي توجيهه كذلك للآية في الرد على المشركين والمخالفين، بينما كان الإمام ابن الجوزي في عرضه للأقوال وكذلك نسبة الأقوال أوسع من الإمام ابن جزري.

١- قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ البقرة: ٢١

قال الإمام ابن جزري: دعوة الخلق إلى عبادة الله، وجاء بالدعوة عامة للجميع لأن النبي ﷺ بعث إلى جميع الناس [اَعْبُدُوا رَبَّكُمْ] يدخل فيه الإيمان به سبحانه وتوحيده وطاعته، فالأمر بالإيمان به لمن كان جاحداً، والأمر بالتوحيد لمن كان مشركاً، والأمر بالطاعة لمن كان مؤمناً^(١).

وقال الإمام ابن الجوزي: اختلف العلماء فيمن عنى بهذا الخطاب على أربعة أقوال: أحدها: أنه عام في جميع الناس، وهو قول ابن عباس. والثاني: أنه خطاب لليهود دون غيرهم، قاله الحسن ومجاهد. والثالث: أنه خطاب للكفار من مشركي العرب وغيرهم، قاله

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزري ١ / ٧٤

السدي^(١). والرابع: أنه خطاب للمنافقين واليهود، قاله مقاتل، وفي المراد بالعبادة ها هنا قولان: أحدهما: التوحيد. والثاني: الطاعة، روي عن ابن عباس. والخلق: الإيجاد. وإنما ذكر من قبلهم، لأنه أبلغ في التذكير، وأقطع للجحد، وأحوط في الحجة. وقيل: إنما ذكر من قبلهم، لينبهم على الاعتبار بأحوالهم في إثابة مطيع، ومعاقبة عاص^(٢).

وهنا بين الإمامان أن الله سبحانه وجه دعوته للخلق لعبادته وقد اتفق الإمامان أن الله دعا الخلق كافة والدعوة عامة لجميع الخلق بينما ذكر الإمام ابن الجوزي أقوالاً أخرى وفي هذا المعنى قال ابن كثير: شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبده بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغهم عليهم النعم الظاهرة والباطنة^(٣)، وقال ابن عطية^(٤): معناه وحدوه وخصوه بالعبادة، وذكر تعالى خلقه لهم من بين سائر صفاته إذ كانت العرب مقرة بأن الله خلقها، فذكر ذلك حجة عليهم^(٥).

وقال البغوي: اعبدوا: وحدوا. قال ابن عباس: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد، ريكم الذي خلقكم: والخلق اختراع الشيء على غير مثال سبق، والذين من قبلكم، أي: وخلق الذين من قبلكم. لعلمك تتقون: لعلمك تتجون من العذاب، وقيل: معناه كونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله^(٦).

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْزِمُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَعْفُو مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٤٨، قال الإمام ابن جزي: هذه الآية هي الحاكمة في مسألة الوعيد.

(١) هو الإمام المفسر أبو محمد إسماعيل ابن عبد الرحمن ابن أبي كريمة السدي أحد موالى قريش حدث عن أنس وبين عباس كان عالماً بالتفسير، وكان عظيم اللحية جداً وقد ضعفه بعض أئمة الحديث كابن معين ووثقه أحمد ابن حنبل، ومر عليه إبراهيم النخعي وهو يفسر فقال: إنه ليفسر تفسير القوم، توفي ١٢٧هـ انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ٢٦٥/٥.

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١/ ٤٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٠٣.

(٤) عبد الحق ابن أبي بكر أبو محمد ابن غالب ابن عطية المحاربي، الإمام، العلامة، شيخ المفسرين، أبو محمد عبد الحق ابن الحافظ أبي بكر غالب ابن عطية المحاربي، الغرناطي. مولده: سنة ثمانين وأربع مائة، اعتنى به والده، ولحق به الكبار، وطلب العلم وهو مراهق، وكان يتوقد نكاه ، توفي سنة اثنتين وأربعين. سير اعلام النبلاء للذهبي ٣٨/ ٤٦.

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ١٠٥.

(٦) معالم التنزيل للبغوي ١/ ٩٣.

وهي المبينة لما تعارض فيها من الآيات، وهي الحجة لأهل السنة، وذلك أن مذهب أهل السنة أن العصاة من المؤمنين في مشيئة الله، إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم، وحجتهم هذه الآية، فإنها نص في هذا المعنى^(١)، وقال ابن الجوزي: لا يغفر لمشرك مات على شركه. وفي قوله تعالى: لمن يشاء نعمة عظيمة من وجهين: أحدهما: أنها تقتضي أن كل ميت على ذنب دون الشرك لا يقطع عليه بالعذاب، وإن مات مصرا. والثاني: أن تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين، وهو أن يكونوا على خوف وطمع^(٢).

فقد ذكر الإمامان ما دلّت عليه الآية وهي أن الله تعالى لا يغفر للمشرك وأوجب له النار وحرّم عليه الجنّة إذا مات على الشرك وأما أهل المعاصي فإنهم تحت المشيئة إن شاء غفر لهم وإن شاء عذبهم وهذا ما يدين به ويعتقده أهل السنة والجماعة وهو ما ذكره المفسرون، قال الشوكاني^(٣): هذا الحكم يشمل جميع طوائف الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، لا خلاف بين المسلمين أن المشرك إذا مات على شركه لم يكن من أهل المغفرة التي تفضل الله بها على غير أهل الشرك حسبما تقتضيه مشيئته وأما غير أهل الشرك من عصاة المسلمين فداخلون تحت المشيئة، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء^(٤).

وقال أبو السعود: تأكيد وجوب الامتثال بالأمر بالإيمان ببيان استحالة المغفرة بدونه لاقتضائه جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من أنواع الكفر أي لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وإيمان لأن الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا إيمان مما يؤدي إلى فتحه^(٥)، قال القرطبي: وأجمع أصحابنا على أنه لا تخليد إلا للكافر، وأن الفاسق من أهل القبلة إذا مات غير تائب فإنه إن عذب بالنار فلا محالة أنه يخرج منها بشفاعة الرسول، أو بابتداء رحمة من الله تعالى^(٦).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/ ١٩٥.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ١/ ٤١٨.

(٣) محمد ابن علي ابن محمد ابن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) عام ١١٧٣هـ، ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها، عام ١٢٥٠هـ، وكان يرى تحريم التقليد. له ١١٤ مؤلفا، منها نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار ثمانى مجلدات، و البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع مجلدان، الأعلام للزركلي ٦/ ٢٩٨.

(٤) فتح القدير لمحمد ابن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق، ط/١: ١٤١٤ هـ، ١/ ٥٤٩.

(٥) إرشاد العقل السليم لابي السعود ٢/ ١٨٧.

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/ ٣٨٦.

المبحث الثالث

تفسير الإمامين في الأسماء والصفات

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: أهمية الإيمان بالأسماء والصفات ومنهج السلف فيه.

المطلب الثاني: تفسير الإمام ابن جزي في الأسماء والصفات.

المطلب الثالث: تفسير الإمام ابن الجوزي في الأسماء والصفات.

المطلب الرابع: المقارنة بين تفسير الإمامين في الأسماء والصفات.

المطلب الأول

أهمية الإيمان بالأسماء والصفات ومنهج السلف فيه

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف: ١٨٠، وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الحشر: ٢٣، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١، ففي هذا الإثبات ما يقرر معنى النفي ففهم أن المراد انفراده سبحانه بصفات الكمال، فهو سبحانه وتعالى موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسله ليس كمثل شيء في صفاته أولاً في أسمائه ولا في أفعاله مما أخبرنا به من صفاته وله صفات لم يطلع عليها أحد من خلقه كما قال رسوله الصادق عليه السلام في دعاء الكرب: «أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي»^(١).

قال أبو حنيفة: لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا وقيل: من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه وقيل: من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله، فهو كافر بالله العظيم^(٢). ومنهج أهل السنة في الأسماء والصفات: إن أمرها كما جاءت، من غير تأويل، ولا تفسير، ولا تجسيم، ولا تشبيه، كما فعلت الصحابة والتابعون فهو الواجب عليه^(٣). والتأويل في كتاب الله وسنة رسوله: هو الحقيقة التي يتوكل إليها الكلام. فتأويل الخبر: هو عين المخبر به، وتأويل الأمر نفس الفعل المأمور به. كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي يتأول القرآن. وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾

(١) شرح العقيدة الطحاوية لصدر الدين محمد ابن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذري

الصالحى دمشقى، ت: أحمد شاكى ط/١: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد ١٤١٨ هـ، ١٠٦.

(٢) المرجع السابق ١١٧.

(٣) الاعتقاد لابن أبي يعلى ٣١.

يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا مِنَّا بِالْحَقِّ ﴿ الأعراف: ٥٣. ومنه تأويل الرؤيا، وتأويل العمل، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَتَابَتَ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ يوسف: ١٠٠، وقوله تعالى: ﴿ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ يوسف: ٦^(١).

ويريدون بالتأويل تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالف، وهذا اصطلاح معروف. وهذا التأويل كالتفسير، يحمد حقه، ويرد باطله^(٢).

والتأويل في كلام المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين: هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدلالة توجب ذلك. وهذا هو التأويل الذي يتنازع الناس فيه في كثير من الأمور الخبرية والطلبية. فالتأويل الصحيح منه: الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد^(٣).

وقد سرى منهج السلف في الأسماء والصفات التي ذكرها الله في كتابه أو ذكرها النبي ﷺ في السنة المطهرة على منهجين: الأول: الإثبات: وهي إثبات ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء والصفات من دون تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل. الثاني: التأويل الصحيح وحثهم قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ الشورى: ١١، وهروبا من التشبيه التي ضلت به بعض الفرق، وهذا المنهج روى عن السلف، وهو التأويل الصحيح حتى لا ينزلق مع أهل الأهواء.

وفي هذه المسألة عن سلف الأمة أن المسألة على القولين من الإثبات أو التأويل لم تكن بالقدر الذي يطرحه بعض العلماء والدعاة على أن الإثبات هو الحق الفاصل وأن المؤولة لا نصيب لهم من الحق، وهذا غلو ومجافاة.

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١٨٣ .

(٢) المرجع نفسه ١٨٤ .

(٣) المرجع نفسه ١٨٥ .

المطلب الثاني

تفسير الإمام ابن جزى في توحيد الأسماء والصفات

يرى الباحث أن الإمام ابن جزى سار في تفسيره على النحو التالي:

- أثبت الصفات التي مر عليها في الآيات التي ورد فيها ذكر الصفات في الغالب.
- ذكر كذلك التأويل في بعض النصوص، مثل النور في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور: ٣٥، وذكرها عن سلف الأمة كعلي ابن أبي طالب عليه السلام.
- في بيان المعنى يذكر القولين مع بيان الترجيح في بعض الأقوال.
- يكون حسم الترجيح بيان النص أو أن يعضده نص آخر من القرآن أو السنة مثل إثبات الساق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ القلم: ٤٢، لوروده في الحديث الصحيح كما سيأتي. وهذه بعض الأمثلة:

١- قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ ص: ٧٥ بيدي: من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به، وتسليم علم حقيقته إلى الله، وقال المتأولون: هو عبارة عن القدرة^(١).

٢- قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ البقرة: ٢٥٥ الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، وهو أعظم من السموات والأرض، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شيء، وقيل: كرسيه علمه. وقيل: كرسيه ملكه^(٢).

٣- قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور: ٣٥، النور يطلق حقيقة على الضوء الذي يدرك بالأبصار، ومجازاً على المعاني التي تدرك بالقلوب، والله ليس كمثل شيء، فتأويل الآية الله ذو نور. فمعنى نور السموات والأرض أنه خلق النور الذي فيهما من الشمس والقمر والنجوم، أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود، فإنما ظهرت

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٢/ ٢١٣.

(٢) المرجع نفسه ١/ ١٣٢.

به كما تظهر الأشياء بالضوء، ومن هذا المعنى قرأ عليّ ابن أبي طالب: «الله نور السموات والأرض» بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو: أي جعل فيهما النور، وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب، فمعنى نور السموات والأرض جاعل النور في قلوب أهل السموات والأرض ولهذا قال ابن عباس: معناه هادي أهل السموات والأرض^(١).

٤- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الفتح: ١٠، هذا تشريف للنبي ﷺ حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله، ثم أكد هذا المعنى بقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وذلك على وجه التخييل والتمثيل، يريد أن يد رسول الله ﷺ التي تعلق يد المبايعين له هي يد الله في المعنى، وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، وإنما المراد أن عقد ميثاق البيعة مع الرسول عليه الصلاة والسلام، كعقده مع الله كقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ النساء: ٨٠، وتأول المتأولون ذلك بأن يد الله معناها النعمة أو القوة، وهذا بعيد^(٢).

٥- قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف: ١٨٠، قال رسول الله ﷺ: إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة. وسبب نزول الآية: أن أبا جهل لعنه الله سمع بعض الصحابة يقرأ فيذكر الله مرة، والرحمن أخرى، فقال: يزعم محمد أن الإله واحد وها هو يعبد آلهة كثيرة، فنزلت الآية مبينة أن تلك الأسماء الكثيرة هي لمسمى واحد^(٣).

٦- قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ القصص: ٨٨، الوجه من المتشابه الذي يجب التسليم له من غير تكييف، ويردّ علمه إلى الله، وقال الأصوليون: هو عبارة عن الذات أو عن الوجود، وقال بعضهم: هو صفة ثابتة بالسمع^(٤).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢/ ٦٩.

(٢) المرجع نفسه ٢/ ٢٨٧.

(٣) المرجع نفسه ١/ ٣١٤.

(٤) المرجع نفسه ١/ ٩٥.

المطلب الثالث:

تفسير ابن الجوزي في الأسماء والصفات

يرى الباحث أن الإمام ابن الجوزي سار في تفسيره على النحو التالي:

- ذكر الصفات التي وردت في القرآن الكريم وأثبتها في تفسيره.
- يذكر الأقوال في الآية بذكر إثبات الصفة والأقوال بتأويلها.
- ينسب الأقوال إلى قائلها.
- يرد على المخالف إذا كان من التأويل الفاسد كإثبات النظر لوجه الله.
- في بيان المعنى يذكر القولين مع بيان الترجيح في بعض الأقوال.
- يرجح معنى النص بنص آخر من القرآن أو السنة مثل إثبات الساق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ القلم: ٤٢، لوروده في الحديث الصحيح. وهذه بعض الأمثلة:
- ١- قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف: ١٨٠، ومعنى الآية أن أسماء الله حسنى، وليس المراد أن فيها ما ليس بحسن. والمراد بذلك ما مالت إليه النفوس من ذكره بالعفو والرحمة دون السخط والنقمة^(١).

- ٢- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الفتح: ١٠ فيه أربعة أقوال: أحدها: يد الله في الوفاء فوق أيديهم. والثاني: يد الله في الثواب فوق أيديهم. والثالث: يد الله عليهم في المنّة بالهداية فوق أيديهم بالطاعة. والرابع: قُوَّةُ الله ونُصْرَتُهُ فوق قُوَّتِهِمْ ونُصْرَتِهِمْ^(٢).

٣- قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ القصص: ٨٨، إلا وجهه فيه قولان:

أحدهما: إلا ما أريد به وجهه، والثاني: إلا هو^(٣).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٢ / ١٧٢.

(٢) المرجع نفسه ٤ / ١٣٠.

(٣) المرجع نفسه ٣ / ٣٩٧.

٤- قال تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ ﴾ البقرة: ٢٥٥، وفي المراد بالكرسي ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كرسي فوق السماء السابعة دون العرش قال النبي ﷺ: ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة^(١). والثاني: أن المراد بالكرسي علم الله تعالى، والثالث: أن الكرسي هو العرش^(٢).

٥- قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ الأعراف: ١٤٣، وفي هذه الآية دلالة على جواز الرؤية؛ لأن موسى مع علمه بالله تعالى، سألها، ولو كانت مما يستحيل لما جاز لموسى أن يسألها، ولا يجوز أن يجهل موسى مثل ذلك؛ لأن معرفة الأنبياء لله ليس فيها نقص؛ ولأن الله تعالى لم ينكر عليه المسألة وإنما منعه من الرؤية، ولو استحالت عليه لقال: لا أرى ألا ترى أن نوحا لما قال: ﴿ إِنَّ أَبْنِيَّ مِنَ أَهْلِي ﴾ هود: ٤٥، أنكر عليه بقوله: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ هود: ٤٦، ومما يدل على جواز الرؤية أنه علّقها باستقرار الجبل، وذلك جائز غير مستحيل، فدل على أنها جائزة، ألا ترى أن دخول الكفار الجنة لما استحال علّقه بمستحيل فقال: ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ الأعراف: ٤٠^(٣).

(١) صحيح ابن حبان، كتاب البر والاحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، رقم ٣٦١، ٧٦/٢.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ١/ ٢٢٩.

(٣) المرجع السابق ٢/ ١٥١.

المطلب الرابع:

المقارنة بين تفسير الإمامين في الأسماء والصفات.

ذكر الله سبحانه في كتابه الكريم كثيرا من أسمائه وصفاته وقد سمعها صحابة رسول الله ﷺ وآمنوا بها كما أنزلت وما فهموها من خلال اللفظة العربية التي يفهمها العربي. لم يكن لبس عند الصحابة في معاني هذه الأسماء حيث لم ينقل عن أحد الصحابة أن سأل النبي ﷺ عن معنى الساق أو الوجه أو غيره، وكان فهم الصحابة حجة على من أتى بعدهم حتى جاءت الفرق التي انحرفت عن هدي القرآن ودخلوا في وادي الأهواء التي جرفتهم إلى الضلال. ما نقل عن السلف من معاني الصفات على طرق الإثبات أو التأويل وكان هذا تفسير الإمامين ابن جزي وابن الجوزي.

فقد اتفق الإمامان في تفسيريهما على بيان آيات الأسماء والصفات على منهج السلف ببيان معنى الآية من خلال إثبات الصفة كما وردت في كتاب الله من دون تشبيه أو تكييف أو تمثيل، أو تأويلها بالتأويل الذي يليق بجلال الله وبما نقلوا عن سلف هذه الأمة من معاني هذه الصفات وتأويلها.

واتفق الإمامان على ذكر القولين في معظم الآيات التي وردت في القرآن الكريم. لكن الإمام ابن الجوزي كان أوسع من الإمام ابن جزي في نقل الأقوال عن السلف وكذلك في نسبة هذه الأقوال لقائلها.

بينما كان الإمام ابن جزي في رده على المخالف وذكر رأيه أوسع مما تكلم فيه الإمام ابن الجوزي وهذه من لفتات الإمام ابن جزي على ما كان عليه الإمام ابن الجوزي من شدة وتصلب مع الشيعة لكن تفسيره لم يذكر فيه قول المبتدعة والرد عليهم إلا قليلا مقارنة بما ذكره الإمام ابن جزي.

كذلك ما يميز تفسير الإمام ابن جزي هو بيانه للفريقين من أهل الإثبات أو التأويل وقد يرد على أهل التأويل كما في إثبات الساق الذي ورد في الحديث الصحيح.

وهذا منهج المفسرين من أهل الحق والإيمان وهم يذكرون ما وصف الله به نفسه من الأسماء والصفات ثم يبيّنون معاني الآيات على ما فهمها وبني عدول هذه الأمة وأئمتها الأخيار.

١- قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ الزمر: ٦٧ قال الإمام ابن جزري: المقصود بهذا تعظيم جلال الله والردّ على الكفار الذين ما قدروا الله حق قدره، ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم في غيرها من المشكلات، فقالت المتأولة: إن القبضة واليمين عبارة عن القدرة، وقيل إنها صفة زائدة على صفات الذات، وأما السلف الصالح فسلموا علم ذلك إلى الله، ورأوا أن هذا من المتشابه الذي لا يعلم علم حقيقته إلا الله، وقد قال ابن عباس ما معناه: إن الأرض في قبضته والسموات مطويات كل ذلك بيمينه^(١).

وذكر الإمام ابن الجوزي من الأحاديث التي تثبت ذلك فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟^(٢). وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: يطوي الله عزّ وجلّ السموات يوم القيامة، ثم يأخذهنّ بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون، أين المتكبرون؟^(٣). قال ابن عباس: الأرض والسموات كلّها بيمينه، وقال سعيد ابن جبير: السموات قبضة والأرضون قبضة^(٤).

وقال الألويسي: والسلف يقولون: إن الكلام تنبيه على مزيد جلالته تعالى وعظّمته سبحانه ورمز إلى أن آلهتهم أرضية أم سماوية مقهورة تحت سلطانه عزّ وجلّ إلا أنهم لا يقولون: إن القبضة مجاز عن الملك أو التصرف ولا اليمين مجاز عن القدرة بل ينزهون الله تعالى عن الأعضاء والجوارح ويؤمنون بما نسبه إلى ذاته بالمعنى الذي أراده سبحانه وكذا يفعلون في الأخبار الواردة في هذا

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزري ٢ / ٢٢٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله { والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه }، رقم ٧٣٨٢، ١٤٢/٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٧٢٢٨، ١٢٦/٨.

(٤) زاد المسير لابن الجوزي ٤ / ٢٦.

المقام^(١). وذكر الطبري عن ابن عباس: قد قبض الأرضين والسموات جميعا بيمينه. ألم تسمع أنه قال: ﴿مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ﴾ الزمر: ٦٧ يعني: الأرض والسموات بيمينه جميعا^(٢).

قال ابن كثير: وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة، والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تحريف^(٣). فهذا بعض ما ورد عن السلف من إثبات اليمين لله سبحانه فنحن نثبت لله ما أثبتته لنفسه ونمررها كما جاءت من غير تحريف ولا تمثيل ولا تكيف، وما تأول به بعضهم من القوة لله سبحانه وتعالى.

٢- قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ القلم: ٤٢،

قال الإمام ابن جزري: قال المتأولون ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدته، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: ينادي مناد يوم القيامة: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع الشمس من كان يعبد الشمس، ويتبع القمر من كان يعبد القمر، ويتبع كل أحد ما كان يعبد، ثم تبقى هذه الأمة وغبرات من أهل الكتاب معهم منافقوهم فيقال لهم: ما شأنكم فيقولون ننتظر ربنا قال فيجيئهم الله في غير الصورة التي عرفوه فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك، قال فيقول: أتعرفونه بعلامة ترونها فيقولون نعم فيكشف لهم عن ساق فيقولون: نعم أنت ربنا ويخرون للسجود فيسجد كل مؤمن، وترجع أصلاب المنافقين عظما واحدا، فلا يستطيعون سجودا^(٤).

وقال الإمام ابن الجوزي: [يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ] قال: يكشف عن شدة.

فاستعيرت الساق في موضع الشدة، وقد أضيف هذا الأمر إلى الله تعالى. فعن أبي

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألويسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١: ١٤١٥ هـ، ١٢/ ٢٨٠.

(٢) جامع البيان للطبري ٢١/ ٣٢٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ١١٣.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزري ٢/ ٤٠٢، والحديث في صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم ٣٠٢، ١/ ١٦٧.

سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه يكشف عن ساقه، وهذا إضافة إليه؛ لأن الكل له وفعله. والساق: يراد بها النفس، ومنه قول عليّ ؓ: أقاتلهم ولو تلفت ساقى، أي: نفسي. فعلى هذا يكون المعنى: يتجلى لهم^(١).

ذكر ابن عطية الحديث: " فيكشف لهم عن ساق، فيقولون: نعم أنت ربنا، ويخرون للسجود فيسجد كل مؤمن" وعلى كل وجه فما ذكر فيه من كشف الساق وما في الآية أيضا من ذلك، فإنما هو عبارة عن شدة الهول وعظم القدرة التي يرى الله تعالى ذلك اليوم حتى يقع العلم أن تلك القدرة إنما هي لله تعالى وحده^(٢).

قال أبو السعود: أي يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب وكشف الساق وقيل ساق الشيء أصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الإنسان أي يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصولها بحيث تصير عيانا وتكثيره للتحويل أو التعظيم من الأهوال وعظائم الأحوال مالا يبلغه الوصف^(٣).

قال ابن كثير: يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام. لحديث: "يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة"^(٤). وما تكلم فيه المفسرون أن الآية أخبرت عن شدة يوم القيامة وأهواله، وقد وضع الحديث الصحيح معنى الآية أن الهول شديد وأن الله سبحانه يكشف ساقه.

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٤/ ٣٢٥.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ٣٥٢.

(٣) إرشاد العقل السليم لابي السعود ٩/ ١٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ١٩٩.

الفصل الثاني

الدراسة التطبيقية عند الإمامين في العبادات

وفيه مبحثان

المبحث الأول: المسائل الفقهية

المبحث الثاني: النسخ والمنسوخ

المبحث الأول

المسائل الفقهية

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: تفسير الإمام بن جزى في المسائل الفقهية

المطلب الثاني: تفسير الإمام بن الجوزى في المسائل الفقهية

المطلب الثالث: المقارنة بين تفسير الإمامين في المسائل الفقهية

المطلب الأول

تفسير الإمام بن جزي في المسائل الفقهية

- ذكر الإمام ابن جزي في مقدمته الأحكام الفقهية، فقال: وأما الأحكام: فهي الأوامر والنواهي وتنقسم خمسة أنواع: واجب، ومندوب، وحرام، ومكروه، ومباح. ومنها ما يتعلق بالأبدان: كالصلاة والصيام، وما يتعلق بالأموال كالزكاة، وما يتعلق بالقلوب كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك.

- بيان مذهب الإمام مالك باعتباره مذهب.

- ذكر المذاهب الأخرى بصور متعددة من حيث ذكر الأقوال والأدلة.

- في بيانه للأقوال لا يرجح إلا على سبيل النادر.

- التزم الاختصار كما شرط على نفسه في ذكر الأقوال والأدلة.

- يذكر الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأبو حنيفة غالباً والناذر ذكره للإمام أحمد^(١).

وهذه بعض الأمثلة:

١- يذكر الخلاف في المسألة بذكر بعض الأقوال دون ذكر الأدلة مثل قوله تعالى:

﴿فَإِنْ آتَسَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ النساء: ٦، اعتبر مالك البلوغ والرشد، وحينئذ يدفع المال، واعتبر

أبو حنيفة البلوغ وحده ما لم يظهر سفه، وقوله مخالف للقرآن^(٢). وكذلك قوله تعالى: ﴿

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْرَضُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا

طَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ البقرة: ٢٢٢، عند مالك والشافعي لا يجوز عندهما وطء

(١) لعل ما تكلم الإمام بن جزي من أئمة المذاهب الثلاثة ما كان يعرف عند الفقهاء أن الإمام أحمد محدث وأن مذهبه

أقرب ما يكون لأهل الظاهر ولذلك لم يكن رايه معتبرا عند بعض الفقهاء وربما كان هذا عند الإمام بن جزي فلم

يذكره إلا نادرا.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/١٧٩.

حتى تغتسل، عند أبي حنيفة أجاز الوطء عند انقطاع الدم وقبل الغسل، وقرئ حتى يطهرن بالتشديد، وذلك حجة لمالك^(١).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ البقرة: ٢٣٤، الحامل عدتها وضع حملها، سواء وضعت قبل الأربعة الأشهر والعشر أو بعدها عند مالك والشافعي وجمهور العلماء، وقال علي بن أبي طالب: عدتها أبعـد الأجلين، وخص مالك من ذلك الأمة فعدتها في الوفاة شهران وخمس ليال^(٢).

٢- وقد يذكر المسألة وتفصيلها في المذهب مع ذكر أقوال أخرى دون ترجيح كما هو منهجه في الغالب، مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ آل عمران: ٩٧، والاستطاعة عند مالك هي: القدرة على الوصول إلى مكة بصحة البدن، إما راجلاً وإما ركباً، مع الزاد المبلغ والطريق الآمن. وقيل: الاستطاعة الزاد والراحلة، وهو مذهب الشافعي^(٣).

٣- وقد يذكر المسألة وحجية مالك فيها، ويذكر دليل المخالف ورد مالك عليها، مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْنِغُونَ الْكُتُبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتَبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ النور: ٣٣، حيث قال: هذا الأمر على النـدب عند مالك والجمهور، وقال الظاهرية وغيرهم هو على الوجوب وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنس بن مالك حين سأله مملوكه سيرين الكتابة فتلكأ أنس، فقال له عمر: لتكاتبنه أو لأوجعنك بالدره، وإنما حمـله مالك على الندب؛ لأن الكتابة كالبيع، فكما لا يجبر على البيع لا يجبر عليها، واختلف هل يجبر السيد عبده على الكتابة أم لا؟ على قولين في المذهب^(٤).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/١٢١.

(٢) المرجع نفسه ١/١٢٦.

(٣) المرجع نفسه ١/١٦٠.

(٤) المرجع نفسه ٢/٦٨.

٤- وقد يذكر قول الإمام مالك ويوضحه في تفصيل المسألة، ويذكر الأقوال الأخرى دون بسط وتوضيح، مثل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ ﴾ النور: ٦، وموجب اللعان عند مالك شيئان: أحدهما أن يدعي الزوج أنه رأى امرأته تزني، والآخر أن ينفي حملها ويدعى الاستبراء قبله، فإذا تلاعن الزوج تعلقت به ثلاثة أحكام: نفي حدّ القذف عنه، وانتفاء سبب الولد منه، ووجوب حدّ الزنا عليها إن لم تلاعن، فإن تلاعنت سقط الحدّ عنها، ولفظ الآية عام في الزوجات الحرائر والمماليك، والمسلمات والكافرات والعدول وغيرهم، وبذلك أخذ مالك واشترط في الزوج الإسلام واشترط أبو حنيفة أن يكونا مسلمين حرين عدلين^(١).

٥- ومما يظهره الإمام ابن جزى بيان مذهبه المالكي وكذلك الدفاع عنه وعن الإمام مالك مثل قوله تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ البقرة: ٢٢٣، يوهم الإتيان في الدبر، وقد افتري من نسب جوازه إلى مالك، وقد تبرأ هو من ذلك وقال: إنما الحرث في موضع الزرع^(٢).

٦- وقد يذكر الأقوال في المسألة مع بيان قول مالك وحجته مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ النور: ٣١، إلا ما ظهر منها يعني الثياب، فعلى هذا يجب ستر جميع جسدها، وقيل: الثياب والوجه والكفان، وهذا مذهب مالك؛ لأنه أباح كشف وجهها وكفيها في الصلاة، وزاد أبو حنيفة القدمين^(٣).

٧- وقد يذكر الأقوال دون ذكر الأدلة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ النور: ٣٢، وفي الآية دليل على عدم استقلال النساء

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٦٢/٢.

(٢) المرجع نفسه ١٢١/١.

(٣) المرجع نفسه ٦٧/٢.

بالإنكاح، واشتراك الولاية فيه، وهو مذهب مالك والشافعي خلافاً لأبي حنيفة ومذهب الشافعي أن السيد يجبر على تزويج عبيده على هذه الآية خلافاً لمالك، ومذهب مالك أن السيد يجبر عبده وأمته على النكاح خلافاً للشافعي^(١). ومثل قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ البقرة: ٢٢٥، وهو عند مالك قولك نعم والله، ولا والله، الجاري على اللسان من غير قصد، وفاقاً للشافعي، وقيل أن يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه، ثم يظهر خلافه وفاقاً لأبي حنيفة، وقال ابن عباس: اللغو الحلف حين الغضب، وقيل: اللغو اليمين على المعصية، والمواخظة العقاب أو وجوب الكفارة^(٢).

٨. - وقد يذكر الأقوال في المسألة ويرد على الأقوال الغريبة والبعيدة باختصار مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ البقرة: ١٨٤ لم يفعل الظاهرية فرأوا أن صيام المسافر والمريض لا يصح، وأوجبوا عليه عدّة من أيام آخر، وإن صام في رمضان، وهذا منهم جهلاً بكلام العرب، وليس في الآية ما يقتضي تحديد السفر، وبذلك قال الظاهرية، وحده في مشهور مذهب مالك أربعة بُرْد^(٣). وكذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ البقرة: ١٧٨، العلماء أجمعوا على قتل الذكر بالأنثى، وزاد قوم: أن يُعطى أولياؤها حينئذٍ نصف الدية لأولياء الرجل المقتص منه، خلافاً لمالك وللشافعي وأبو حنيفة، وأما قتل الحرّ بالعبد، فهو مذهب أبي حنيفة خلافاً لمالك والشافعي، وقد يتوجّه قول مالك على نسخ جميعها، ثم يكون عدم قتل الحرّ بالعبد من السنة، وهو قوله ﷺ: لا يقتل حرّ

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٦٨/٢.

(٢) المرجع نفسه ١٢١/١.

(٣) المرجع نفسه ١١٠/١.

بعبد^(١)، والناسخ لها على القول بالنسخ: عموم قوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ
النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ المائدة: ٤٥، على أن هذا ضعيف؛ لأنه إخبار عن حكم بني إسرائيل^(٢).

٩- ويذكر الأقوال ويذكر الأدلة لها دون ترجيح، مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا
عَلَى الْأُخْرَىٰ فَجَلِدُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ الحجرات: ٩، الفتن التي تقع بين المسلمين؛
فاختلف العلماء فيها على قولين: أحدهما أنه لا يجوز النهوض في شيء منها ولا القتال،
وهو مذهب سعد بن أبي وقاص وأبي ذر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وحجتهم قول رسول
الله ﷺ: قتال المسلم كفر^(٣) وأمره ﷺ بكسر السيوف في الفتن^(٤)، والقول الثاني: أن
النهوض فيها واجب لتكف الطائفة الباغية، وهذا قول علي وعائشة وطلحة والزبير وأكثر
الصحابة، وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء، وحجتهم هذه الآية^(٥).

١٠- وقد يذكر المسألة ويذكر تفرعات لها بذكر الأقوال مع ذكر الأدلة لهذه الأقوال
دون ترجيح لها مثل قوله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ النور: ٢،
وصفة الجلد عند مالك في الظهر والمجلود جالس، وقال الشافعي: يفرق على جميع
الأعضاء والمجلود قائم، وتستر المرأة بثوب لا يقيها الضرب، ويجرد الرجل عند مالك
وقال قوم يجلد على قميص ويكون الضرب في الزنا كالضرب في القذف غير مبرح، وهو
مذهب مالك والشافعي، واختلف: هل يجوز أن يجمع مائة سوط يضرب بها مرة واحدة؟

(١) سنن أبي داود، كتاب الديات، باب من قتل عبده أو مثل به أيقاد منه، رقم ٤٥١٧، ٤/٢٩٧.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/١٠٩.

(٣) سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب قتال المسلم، رقم ٣٥٦٧، ٧/١٢١.

(٤) أشار فيه إلى حديث مسلم بن أبي بكر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: "إنها ستكون فتن يكون المضطجع فيها

خيبرا من الجالس، والجالس خيبرا من القائم، والقائم خيبرا من الماشي، والماشي خيبرا من الساعي"، قال رجل: يا

رسول الله، ما تأمرني؟ قال: "من كانت له إبل، فليحلق بابله، ومن كان له غنم فليحلق بغنمه، ومن كانت له

أرض فليحلق بأرضه، ومن لم يكن له شيء من ذلك، فليعمد إلى سيفة فليضرب بحدة على صخرة، ثم لينج ان

استطاع النجاة. صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب نزول الفتن كمواقع القطر، رقم ٧٤٣٢، ٨/١٦٩.

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢/٢٩٦.

فمنعه مالك وأجازه أبو حنيفة لما ورد في قصة أيوب عليه السلام^(١)، وأجازه الشافعي للمريض لورود ذلك في الحديث^(٢).

١١- وقد يرجح عند تعدد الأقوال، وهو النادر والقليل، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأعراف: ٢٠٤، حيث قال: فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة، والثاني: أنه الإنصات للخطبة، والثالث: أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق، وهو الراجح لوجهين: أحدهما: أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه، والثاني أن الآية مكية، والخطبة إنما شرعت بالمدينة^(٣).

(١) ذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاصْرَبْ بِهِ، وَلَا تَحْنَثْ﴾ ص: ٤٤، أن امرأة نبي الله أيوب عليه السلام باعت ذوائبها برغيفين إذ لم تجد شيئاً تحمله إلى أيوب، وكان أيوب يتعلق بها إذا أراد القيام، فلها حلف ليضربنها، فلما شفاه الله أمره أن يأخذ ضغثاً فيضرب به، فأخذ شمراخ قدر مائة فضربها ضربة واحدة. وقيل: الضغث قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس. وقال ابن عباس: إنه إنكال النخل الجامع بشماريخه. انظر تفسير القرطبي ٢١٢/١٥

(٢) لحديث أبي أمامه بن سهل بن حنيف أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار أنه اشتكى رجل منهم حتى أضنى فعاد جلدة على عظم فدخلت عليه جارية لبعضهم فهش لها فوق علبها فلما دخل عليه رجال قومه يعودونه أخبرهم بذلك وقال استفتوا لي رسول الله ﷺ فإني قد وقعت على جارية دخلت على. فذكروا ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقالوا ما رأينا بأحد من الناس من الضر مثل الذي هو به لو حملناه إليك لتفسخت عظامه ما هو إلا جلد على عظم فأمر رسول الله ﷺ أن يأخذوا له مائة شمراخ فيضربوه بها ضربة واحدة. رواه أبو داود في السنن، باب إقامة الحد على المريض، رقم ٤٤٧٤، ٤/٢٧٥.

(٣) التسهيل لعلم التنزيل لابن جزى ٣١٩/١.

المطلب الثاني

تفسير الإمام بن الجوزي في المسائل الفقهية

- تكلم الإمام بن الجوزي في تفسير الآيات المتعلقة بالأحكام الفقهية، وهناك بعض الاعتبارات التي ذكرها في تفسيره:

- بين مذهب الإمام أحمد بن حنبل باعتباره مذهبه.

- لا يقتصر في ذكر الأقوال على ذكر المذاهب الأربعة بل يذكر أقوال الصحابة ومن بعدهم من العلماء.

- في بيانه للأقوال لا يرجح إلا على سبيل النادر.

- في بيانه للآية وتوضيح معناها أقرب ما تكون لفتات تتعلق بالمسألة أو تفرعاتها يظهر ذلك في توضيح الأحكام الفقهية المتعلقة بالآية. وهذه بعض الأمثلة تبين منهجه:

١- يذكر مذهب الإمام أحمد في المسألة، وقد يقرن ذكره بالرضوان فيقول ﷺ حيث يذكره في المسألة مع آخرين، وقد يذكره بمفرده، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي فَسَادٍ أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ المائدة: ٣٣ ، اختلف العلماء هل هذه العقوبة على الترتيب، أم على التخيير؟ فمذهب أحمد ﷺ أنها على الترتيب، وأنهم إذا قتلوا، وأخذوا المال، أو قتلوا ولم يأخذوا، قُتِلُوا وَصَلَّبُوا، وإن أخذوا المال، ولم يقتلوا، قطعت أيديهم وأرجلهم من خلف، وإن لم يأخذوا المال نُفُوا^(١). وكذلك قوله تعالى: ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَةً ﴾ آل عمران: ٢٨، قال مجاهد: إلا مُصَانَعَةً في الدنيا. قال أبو العالية: النقاة باللسان، لا

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١/٥٤٢.

بالعمل والتقية رخصة، وليست بعزيمة. قال الإمام أحمد رحمته الله: وقد قيل: إن عرضت على السيف تجيب؟ قال: لا. وقال إذا أجاب العالم تقية، والجاهل بجهل، فمتى يتبين الحق؟^(١).

٢- وقد يذكر المسألة ويذكر الأقوال فيها ويذكر أدلتهم مع عدم الترجيح في المسألة مثل قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ البقرة: ٢٢٥ حيث قال: وفي المراد باللغو هنا خمسة أقوال. أحدها: أن يحلف على الشيء يظن أنه كما حلف، ثم يتبين له أنه بخلافه. وإلى هذا المعنى ذهب أبو هريرة، وابن عباس، والحسن، وعطاء، والشعبي، وابن جبیر، ومجاهد، وقتادة، ومالك، ومقاتل. والثاني: أنه لا والله، وبلى والله، من غير قصد لعقد اليمين، وهو قول عائشة، وطاووس، والشافعي واستدل أرباب هذا القول بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ البقرة: ٢٢٥ وكسب القلب: عقده وقصده، وهذان القولان منقولان عن الإمام أحمد، روى عنه ابنه عبد الله أنه قال: اللغو عندي أن يحلف على اليمين، يرى أنها كذلك، ولا كفارة. والرجل يحلف ولا يعقد قلبه على شيء، فلا كفارة. والثالث: أنه يمين الرجل وهو غضبان، رواه طاووس عن ابن عباس. والرابع: أنه حلف الرجل على معصية، فليحنت، وليكفر، ولا إثم عليه. قاله سعيد بن جبیر. والخامس: أن يحلف الرجل على شيء، ثم ينسأه. قاله النخعي. وقول عائشة أصح الجميع. قال حنبل: سئل أحمد عن اللغو فقال: الرجل يحلف فيقول: لا والله، وبلى والله، لا يريد عقد اليمين، فاذا عقد على اليمين لزمته الكفارة^(٢).

٣- وقد يذكر الأقوال في المسألة دون ذكر الدليل ودون ترجيح، مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ النحل: ١٠٦، الإكراه على كلمة الكفر يبيح النطق بها، وفي الإكراه المبيح لذلك عن أحمد روايتان:

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٢٧٢/١.

(٢) المرجع نفسه ١٩٥/١.

إحداهما: أنه يخاف على نفسه أو على بعض أعضائه التلف إن لم يفعل ما أمر به، والثانية: أن التخويف لا يكون إكراها حتى يُنال بعذاب، وإذا ثبت جواز التقيّة فالأفضل ألاّ يفعل نصّ عليه أحمد في أسير خيّر بين القتل وشرب الخمر فقال: إن صبر على القتل فله الشرف، وإن لم يصبر فله الرخصة، فظاهر هذا الجواز. وروى عنه أنه سئل عن التقيّة في شرب الخمر فقال: إنما التقيّة في القول فظاهر هذا أنه لا يجوز له ذلك. فأما إذا أكره على الزنا لم يجز له الفعل، ولم يصح إكراهه، نص عليه أحمد، فإن أكره على الطلاق لم يقع طلاقه، نص عليه أحمد، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: يقع^(١). وكذلك قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ ﴾ النساء: ٢٣، واختلفوا هل يعتبر في الرضاع العدد، أم لا؟ فنقل حنبل، عن أحمد: أنه يتعلق التحريم بالرضعة الواحدة وهو قول عمر، وعلي، وابن عباس، وابن عمر، والحسن، ومالك، وأبي حنيفة، وأصحابه. ونقل عن أحمد: أنه يتعلق التحريم بثلاث رضعات. ونقل عنه: لا يتعلق بأقل من خمس رضعات متفرقات وهو قول الشافعي^(٢).

٤- قد يذكر المسألة ويذكر تفريعات لها ويذكر الأقوال فيها، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَأَىٰ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ عَدَا ۗ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ ﴾ الكهف: ٢٣ - ٢٤، لا تختلف الرواية عن أحمد أنه لا يصح الاستثناء في الطلاق والعناق، وأنه إذا قال: أنت طالق إن شاء الله، وأنت حرٌّ إن شاء الله، أن ذلك يقع، وهو قول مالك؛ وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يقع شيء من ذلك. وأما اليمين بالله تعالى؛ فإن الاستثناء فيها يصح، بخلاف الطلاق، وكذلك الاستثناء في كل ما يكفر، كالظهار، والنذر؛ لأن الطلاق والعناق لفظ إيقاع، وإذا علّق به المشيئة، علمنا وجودها، لوجود لفظ الإيقاع من جهته، بخلاف سائر

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٥٨٧/٢.

(٢) المرجع نفسه ٣٨٨/١.

الأيمان؛ لأنها ليست بموجبات للحكم، وإنما تتعلق بأفعال مستقبلية. وقد اختلف في الوقت الذي يصح فيه الاستثناء على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لا يصح الاستثناء إلا موصولاً بالكلام، وقد روي عن أحمد نحو هذا، وبه قال أكثر الفقهاء. والثاني: أنه يصح ما دام في المجلس، قاله: الحسن وطاووس، وعن أحمد نحوه. والثالث: أنه لو استثنى بعد سنة، جاز، قاله: ابن عباس، ومجاهد، وسعيد ابن جبير، وأبو العالية. وقال ابن جرير الطبري: الصواب للإنسان أن يستثنى ولو بعد حنثه في يمينه، فيقول: إن شاء الله، ليخرج بذلك مما ألزمه الله في هذه الآية، فيسقط عنه الحرج، فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال، إلا أن يكون الاستثناء موصولاً بيمينه^(١). وكذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تُودَىٰ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الجمعة: ٩، تجب الجمعة على من سمع النداء من مصر، إذا كان المؤذن صبيئاً، والريح ساكنة. وقد حدّه مالك بفرسخ، ولم يحدّه الشافعي، وعن أحمد في التحديد نحوهما. وتجب الجمعة على أهل القرى. وقال أبو حنيفة: لا تجب إلا على أهل الأمصار. ويجوز لأهل مصر أن يقيموا الجمعة في الصحراء القريبة من مصر خلافاً للشافعي. ولا تتعد الجمعة بأقل من أربعين. وعن أحمد: أقله خمسون. وعنه: أقله ثلاثة. وقال أبو حنيفة: تتعد بثلاثة والإمام، والعدد شرط في الجمعة وقال أبو حنيفة في إحدى الروايتين: يصح أن يخطب منفرداً. وهل تجب الجمعة على العبيد؟ فيه عن أحمد روايتان. وعندنا: تجب على الأعمى إذا وجد قائداً، خلافاً لأبي حنيفة. ولا تتعد الجمعة بالعبيد والمسافرين، خلافاً لأبي حنيفة. وهل تجب الجمعة والعيدان من غير إذن سلطان؟ فيه عن أحمد روايتان. وتجاوز الجمعة في موضعين في البلد مع الحاجة. وقال مالك، والشافعي، وأبو يوسف: لا تجوز إلا في موضع واحد. وتجاوز إقامة الجمعة قبل الزوال خلافاً لأكثرهم، وإذا وقع العيد يوم الجمعة أجزأ حضوره عن يوم الجمعة، وبه قال الشعبي، والنخعي، خلافاً للأكثرين. والمستحب

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٣/٧٧.

لأهل الأعذار أن يصلوا الظهر في جماعة. وقال أبو حنيفة: يكره. ولا يجوز السفر يوم الجمعة بعد الزوال. وقال أبو حنيفة: يجوز. وهل يجوز السفر بعد طلوع الفجر؟ فيه عن أحمد روايتان. ونقل عن أحمد: أنه لا يجوز الخروج في الجمعة إلا للجهاد. وقال أبو حنيفة: يجوز لكل سفر. وقال الشافعي: لا يجوز أصلاً^(١).

٥- قد يذكر المسألة ويذكر الأقوال فيها دون دليل أو ترجيح مثل قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ البقرة: ٢٢٢، حيث قال: أقل الحيض يوم وليلة في إحدى الروايتين عن أحمد. والثانية: يوم. وقال أبو حنيفة: أقله ثلاثة أيام. وقال مالك وداود: ليس لأقله حد. وفي أكثره روايتان عن أحمد: إحداهما: خمسة عشر يوماً، وهو قول مالك والشافعي. والثانية: سبعة عشر يوماً. وقال أبو حنيفة: أكثره عشرة أيام^(٢). وقال تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ البقرة: ١٨٤، واتفق العلماء أن السفر مقدر، واختلفوا في تقديره، فقال أحمد، ومالك، والشافعي: أقله مسيرة ستة عشر فرسخاً؛ يومان، وقال أبو حنيفة وأصحابه: أقله مسيرة ثلاثة أيام، مسيرة أربعة وعشرين فرسخاً. وقال الأوزاعي: أقله مرحلة يوم، مسيرة ثمانية فراسخ^(٣).

٦- يذكر اللفقات في بيان معنى الآية من تفريعات مسائل الآية مثل قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ البقرة: ١٨٧، حيث قال: إذا شك في الفجر، فهل يدع السحور أم لا؟ فظاهر كلام أحمد يدل على أنه لا يدع السحور، بل يأكل حتى يستيقن طلوع الفجر. وقال مالك: أكره له أن يأكل إذا شك في

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٢٨٣/٤.

(٢) المرجع نفسه ١٩١/١.

(٣) المرجع نفسه ١٤١/١.

طلوع الفجر، فإن أكل فعليه القضاء، وقال الشافعي: لا شيء عليه^(١). و قال تعالى: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ النساء: ٣٥، حيث قال: والحكمان وكيلان للزوجين، ويُعتبر رضى الزوجين فيما يحكمان به، هذا قول أحمد، وأبي حنيفة، وأصحابه. وقال مالك والشافعي: لا يفتقر حكم الحكامين إلى رضى الزوجين^(٢).

٧- وقد يوضح المسألة ويبين تفريعاتها، وخصوصا في الآيات التي تتكلم عن الإكراه والتقية، حيث يبين مذهب الإمام أحمد فيها ويغلب مسألة العزيمة والأخذ بها ويعيب على الآخذين بالرخص، وخصوصا إذا كانت المسألة تتعلق بالدين، وقد تتبعت ذلك في الآيات ورأيته يذكر الإمام أحمد دون غيره من الأئمة، مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ النحل: ١٠٦، حيث يقول: الإكراه على كلمة الكفر يبيح النطق بها. وفي الإكراه المبيح لذلك عن أحمد روايتان: إحداهما: أنه يخاف على نفسه أو على بعض أعضائه التلف إن لم يفعل ما أمر به الثاني: أن التخويف لا يكون إكراها حتى يُنال بعذاب. وإذ ثبت جواز التقيّة فالأفضل ألا يفعل، نصّ عليه أحمد، في أسير خيّر بين القتل وشرب الخمر، فقال: إن صبر على القتل فله الشرف، وإن لم يصبر فله الرخصة، فظاهر هذا الجواز. وروى عنه أنه سئل عن التقيّة في شرب الخمر فقال: إنما التقيّة في القول. فظاهر هذا أنه لا يجوز له ذلك. فأما إذا أكره على الزنا، لم يجز له الفعل، ولم يصح إكراهه، نصّ عليه أحمد. فإن أكره على الطلاق، لم يقع طلاقه، نصّ عليه أحمد، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: يقع^(٣).

٨ - قد يختصر الكلام في بيان المعنى إذا كان لا يحتاج إلى توضيح، وهذا يؤيد ما ذكره في تفسيره أنه اختصر زاد المسير من كتابه المغني وهو ثمانون مجلدا، كما ذكرنا ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَايَتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ الأنعام: ١١٨، فإن

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١/١٤٩.

(٢) المرجع نفسه ١/٤٠٣.

(٣) المرجع نفسه ٢/٥٨٧.

تعمد ترك التسمية، فهل يباح؟ فيه عن أحمد روايتان^(١).

٩- وعند ذكر الإمام أحمد يذكر قوله سواء كان له قول، أو قولان، أو روايتان. قال

تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ

وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ الأنفال: ٤١، فأما النفل بعد إحراز الغنيمة ففيه عن أحمد روايتان. وهل

يستحق القاتل سلب المقتول إذا لم يشترطه له الإمام؟ فيه قولان: أحدهما: يستحقه وبه قال

الأوزاعي، والليث، والشافعي. والثاني: لا يستحقه، ويكون غنيمة للجيش، وبه قال أبو

حنيفة، ومالك؛ وعن أحمد روايتان كالقولين^(٢).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٧٢/٢.

(٢) المرجع نفسه ١٨٨/٢.

المطلب الثالث

المقارنة بين تفسير الإمامين في المسائل الفقهية

ذكر القرآن الكريم في آيات كثيرة تتعلق بالأحكام الشرعية وما يبني عليها من مسائل فقهية وقف عليها المفسرون وتناول كل مفسر هذه الآيات وما يتعلق بها من أحكام على ما فهم من مسائل واستنبط من أحكام وتناول ترجيح الأحكام بناء على مذهبه وقد ألف الإمام القرطبي كتابه الجامع لأحكام القرآن والذي فسر فيه آيات القرآن الكريم بطابع فقهي وتناول فيه الأحكام الفقهية على مذهب الإمام مالك.

وقد تناول الفقهاء كذلك الآيات وكلُّ أخذ من كتاب الله ما فهمه واستنبطه ورجحه بناء على مذهبه.

وقد أفرد بعض العلماء مؤلفات تتعلق بآيات الأحكام تناولوا فيه آيات القرآن الكريم والتي تتعلق بالأحكام الشرعية وما فيها من مسائل فقهية.

وقد اتفق الإمامان بن جزى وبن الجوزي في تفسيريهما على بيان الأحكام الفقهية عند تفسير الآيات المتعلقة بها واتفقا على بيان ما يتعلق بالحكم المذكور في الآية من مسائل فرعية واتفقا على ذكر الخلاف في المسائل وبيان القائلين.

ولكن اختلفا في ترجيح المسائل الفقهية لأن الإمام بن جزى مالكي المذهب يرجح المسائل الفقهية على مذهب الإمام مالك، بينما الإمام بن الجوزي حنبلي المذهب يرجح المسائل الفقهية على مذهب الإمام أحمد.

واختلفا في عرض المسائل الفقهية فقد كان الإمام بن جزى يذكر الأقوال وينسبها في الغالب للأئمة الثلاثة الإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أبو حنيفة بينما كان الإمام بن الجوزي يذكر المسائل الفقهية وينسبها لأصحابها من الصحابة والتابعين وأصحاب المذاهب وغيرهم.

وقد سار على هذا المنهج كافة المفسرين ما بين مقلِّ ومكثر في عرض المسائل الفقهية وإنزال الأحكام الشرعية.

يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ

وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴿المائدة: ٦

قال بن جزي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضؤوا. ويقتضي ظاهرها وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة . ومذهب الجمهور: أنه لا يجب، واختلفوا في تأويل الآية على أربعة أقوال: الأول: أن وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة منسوخ بفعل رسول الله ﷺ إذ صَلَّى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد، والثاني: أن ما تقتضيه الآية من التجديد يحمل على الندب، والثالث: أن تقديرها إذا قمتم محدثين فإنما يجب على من أحدث، والرابع: أن تقديرها إذا قمتم من النوم^(١).

وقال بن الجوزي: وللعلماء في المراد بالآية قولان: أحدهما: إذا قمتم إلى الصلاة محدثين، فاغسلوا، فصار الحدث مضمرًا في وجوب الوضوء، وهذا قول سعد بن أبي وقاص^(٢)، وأبي موسى الأشعري^(٣)، وابن عباس، والفقهاء. والثاني: أن الكلام على إطلاقه من غير إضمار، فيجب الوضوء على كل من يريد الصلاة، محدثًا كان، أو غير محدث، وهذا مروى عن علي رضي الله عنه وعكرمة، وابن سيرين. ونقل عنهم أن هذا الحكم غير منسوخ، ونقل عن جماعة من العلماء أن ذلك كان واجبًا، ثم نسخ بالسنة^(٤).

فقد ذكر الإمامان مشروعية الوضوء لمن أراد الصلاة وقد تعددت الأدلة في ذلك وعليها اختلف العلماء فيمن أراد الصلاة وهو على طهارة من صلاة سابقة، وقال الجصاص: في الطهارة للصلاة أن ظاهر الآية يقتضي وجوب الطهارة لكل صلاة لأنه جعل القيام شرطاً لفعل الطهارة، وأما من جهة المعنى الذي علق به وجوب الطهارة وهو الحدث، وأن النبي

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/ ٢٢٣.

(٢) هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي كان سابع سبعة في الإسلام أسلم وعمره تسع عشرة سنة وشهد بدرًا وسائر المشاهد وأحد الستة الذين جعل فيهم عمر الشورى وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض وأحد العشرة المبشرين بالجنة وكان مستجاب الدعوة مشهوراً بذلك وأول من رمى بسهم في سبيل الله وجمع له رسول الله ﷺ أبويه يوم أحد وقال له ارم فداك أبي وأمي توفي سنة أربع وخمسين بالعقيق وحمل إلى المدينة ودفن بالبقيع . انظر الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٢/ ٦١٠.

(٣) هو عبد الله بن قيس أسلم بمكة قديماً ثم رجع إلى بلاده فلم يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعريين على رسول الله ﷺ فوافق قدومهم قدوم أهل السفينتين جعفر وأصحابه من أرض الحبشة يوم خيبر ، واستعمله عمر على البصرة وكذلك عثمان وعلى حتى عزله علي عند الفتنة فسار إلى مكة ومات بها سنة اثنين وأربعين انظر أسد الغابة لابن الأثير ٥/ ٣٠٧.

(٤) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١/ ٥٢٠.

يوم فتح مكة صلى خمس صلوات بوضوء واحد^(١).

وقال بن عطية: قالت طائفة: هذا لفظ عام في كل قيام سواء كان المرء على ظهور أو محدثاً فإنه ينبغي له إذا قام إلى الصلاة أن يتوضأ وكان رسول الله ﷺ يفعل إلى أن جمع يوم الفتح بين الصلوات الخمس بوضوء واحد إرادة البيان لأُمَّته^(٢).

وقال الشوكاني: وقد اختلف أهل العلم في هذا الأمر عند إرادة القيام إلى الصلاة، فقالت طائفة: هو عام في كل قيام إليها، سواء كان القائم متطهراً أو محدثاً، فإنه ينبغي له إذا قام إلى الصلاة أن يتوضأ، وقال آخرون: إن الوضوء لكل صلاة كان فرضاً عليهم بهذه الآية، ثم نسخ في فتح مكة. وقال جماعة: هذا الأمر خاص بمن كان محدثاً. وقال آخرون: المراد إذا قمت من النوم إلى الصلاة، فيعم الخطاب كل قائم من نوم، لحديث كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة، فلما كان يوم الفتح توضأ، ومسح على خفيه، وصلى الصلوات بوضوء واحد^(٣).

قال القرطبي: إذا قمت إلى الصلاة على أقوال، فقالت طائفة: هذا لفظ عام في كل قيام إلى الصلاة سواء كان القائم متطهراً أو محدثاً، فإنه ينبغي له إذا قام إلى الصلاة أن يتوضأ، وكان علي يفعله ويتلو هذه الآية، وكان الخلفاء يتوضئون لكل صلاة. قلت: فالآية على هذا محكمة لا نسخ فيها. وقالت طائفة: الخطاب خاص بالنبي ﷺ، وقالت طائفة: المراد بالآية الوضوء لكل صلاة طلباً للفضل، وحملوا الأمر على الندب، وكان كثير من الصحابة منهم ابن عمر يتوضئون لكل صلاة طلباً للفضل، وكان عليه الصلاة والسلام يفعل ذلك إلى أن جمع يوم الفتح بين الصلوات الخمس بوضوء واحد، إرادة البيان لأُمَّته ﷺ^(٤).

لنعرف أن منهج المفسرين في الوقوف عند آيات الأحكام وبسط المسائل الفقهية

(١) أحكام القرآن لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، ت: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة

مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ١٤٠٥ هـ، ٣/٣٣٤..

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٢/١٦١.

(٣) فتح القدير للشوكاني ٢/٢٠، والحديث في صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب جواز الصلوات كلها بوضوء واحد، رقم ٦٦٤، ١/١٦٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط/٢: ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ٦/٨١.

وذكر الأقوال ويكون ذكرهم بذكر المذاهب عند بعض المفسرين في الغالب ومنهم الإمام بن جزى أو ذكر غيرهم من الصحابة والتابعين وفقهاء الإسلام وذكر الأدلة لكل قول من الأقوال مثل الإمام القرطبي وابن الجوزي.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ المائدة: ٣٨

قال الإمام بن جزى: عموم الآية يقتضي قطع كل سارق إلا أن الفقهاء اشترطوا في القطع شروطا خصصوا بها العموم فمن ذلك من اضطره الجوع إلى السرقة لم يقطع عند مالك لتحليل الميتة له، وكذلك من سرق مال والده أو سيده، أو من سرق من غير حرز، مكان محفوظ أو سرق أقل من النصاب، وهو عند مالك ربع دينار من الذهب، أو ثلاثة دراهم من الفضة، أو ما يساوي أحدهما، وأدلة التخصيص الأشياء في غير هذه الآية^(١).

قال الإمام بن الجوزي: وهذه الآية اقتضت وجوب القطع على كل سارق، وبينت السنة أن المراد به السارق لنصاب من حرز مثله واختلف في مقدار النصاب، فمذهب أصحابنا: أن للسرقة نصابين: أحدهما: من الذهب ربع دينار، ومن الورق ثلاثة دراهم، أو قيمة ثلاثة دراهم من العروض وهو قول مالك. وقال أبو حنيفة: لا يقطع حتى تبلغ السرقة عشرة دراهم. وقال الشافعي: الاعتبار في ذلك بربع دينار، وغيره مقوم به، فلو سرق درهمين قيمتهما ربع دينار، قطع، فان سرق نصابا من التبر، فعليه القطع. وقال أبو حنيفة: لا يقطع حتى يبلغ ذلك نصابا مضروبا^(٢).

قال القرطبي: فلا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار، أو فيما قيمته ربع دينار، وهذا قول عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي رضي الله عنهم، وقال مالك: تقطع اليد في ربع دينار أو في ثلاثة دراهم، وقال أحمد: إن سرق ذهباً فربع دينار، وإن سرق غير الذهب والفضة كانت قيمته ربع دينار أو ثلاثة دراهم من الورق، وهذا نحو ما صار إليه مالك في القول الآخر^(٣).

قال بن كثير: ذهب أهل الظاهر إلى أنه متى سرق السارق شيئاً قطعت يده به، سواء كان قليلاً أو كثيراً؛ لعموم هذه الآية وأما الجمهور فاعتبروا النصاب في السرقة، وإن

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ١ / ٢٣١.

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١ / ٥٤٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٦ / ١٦٠.

كان قد وقع بينهم الخلاف في قدره، فذهب كل من الأئمة الأربعة إلى قول على حدة، فعند الإمام مالك النصاب ثلاثة دراهم مضروبة خالصة، وذهب الشافعي إلى أن الاعتبار في قطع يد السارق برع دينار أو ما يساويه من الأثمان أو العروض فصاعدا^(١).

وقال بن عطية: القطع لا يكون إلا بقرائن، منها الإخراج من حرز، ومنها القدر المسروق على اختلاف أهل العلم فيه، ومنها أن يعلم السارق بتحريم السرقة، وأن تكون السرقة فيما يحل ملكه، فلفظ السَّارِق في الآية عموم معناه الخصوص، فأما القدر المسروق فقالت طائفة لا قطع إلا في ربع دينار فصاعدا، وقال مالك رحمه الله: تقطع اليد في ربع دينار أو في ثلاثة دراهم، فإن سرق درهمين وهي ربع دينار لانحطاط الصرف لم يقطع وكذلك العروض لا يقطع فيها إلا أن تبلغ ثلاثة دراهم قل الصرف أو كثر، وقال أحمد بن حنبل: إن كانت قيمة السلعة ربع دينار أو ثلاثة دراهم قطع فيها قل الصرف أو كثر، وفي القطع قول رابع وهو أن لا قطع إلا في خمسة دراهم أو قيمتها^(٢). فإذا كانت الآية عامة في حكم القطع فإن السنة قد وضحت شروط القطع وعلى هذا اختلف الفقهاء في نصاب القطع وقرائنه.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ / ١٠٧.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ٢ / ١٨٨.

المبحث الثاني

الناسخ والمنسوخ

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف النسخ ومشروعيته وضوابطه .**
- المطلب الثاني: تفسير الإمام بن جزى في الناسخ والمنسوخ.**
- المطلب الثالث: تفسير الإمام بن الجوزي في الناسخ والمنسوخ.**
- المطلب الرابع: المقارنة بين تفسير الإمامين في الناسخ والمنسوخ.**

المطلب الأول:

تعريف النسخ ومشروعيته وضوابطه .

النسخ والبداء:

فعل الإنسان أو توجيهه لغيره بأمر أو طلب مبني على تقديره وهذا التقدير قد يكون صواباً فيمضي فيه ويرشد إليه، وقد يكون خطأ فيعدل عنه ويحذر منه والتقدير الخطأ مبني على جهل الإنسان بالعواقب وقصور معرفته فيما يؤول إليه الأمر.

ثم إن الإنسان خلق قاصر في فهمه ناقص في علمه مجبول على الخطأ لا ينجو منه مهما تعلم وعرف والله تعالى عليم علمه سابق لكل حدث ومحيط بكل شيء. وقد خلق الله الإنسان كذلك مجبول على العجلة والسرعة، وقد أخبر عنه خالقه بقوله: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ الأنبياء: ٣٧، وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ الإسراء: ١١، والعجلة من الشيطان وهي مظنة الخطأ وباب الوقوع فيه ويقابل العجلة التأني والحلم والله حليم خبير. وعلى هذا فالإنسان في فعله أو توجيهه لغيره لديه مشكلتان:

الأولى: خطأ التقدير ابتداء في فعله أو توجيهه.

الثانية: عدم المعرفة انتهاء لما سيؤول إليه الأمر، فقد يفعل الفعل ويأمر الأمر ثم تكون النهاية عكس ما أراد. وهذا هو الذي أراده العلماء بالبداء، وهو لا شك قصور ونقص في الإنسان.

أما ربنا سبحانه فله العلم المسبق بما كان وبما سيكون وبما لم يكن لو كان لا يخفى عليه شيء ولا يغيب عنه شيء وهو الحكيم في فعله وفي توجيهه لغيره تنزه عن العبث والجهل. وهو سبحانه صاحب الأمر يأمر ما يشاء لمن يشاء متى شاء وإذا غابت حكمة أمره عن خلقه، فهي نتيجة لقصور علمهم وفهمهم.

وقد تجلت حكمته في أمره الذي بناه على مصلحة خلقه في الدارين من توجيه أمر لقوم ثم رفع الأمر وذلك بتغير الزمان والمكان والأشخاص لحكمة قدرها يعلمها الخلق أو لا يعلمون فمهمتهم تنفيذ الأمر والتسليم المطلق للخالق سبحانه^(١).

ولا ريب أن الحكم والمصالح تختلف باختلاف الناس، وتتجدد بتجدد ظروفهم وأحوالهم، وأن الأحكام وحكمها والعباد ومصالحهم، والنواسخ والمنسوخات كانت كلها معلومة لله من قبل ظاهرة لديه لم يخف شيء منها عليه^(٢).

والنسخ منه تعالى لما فيه من الصلاح لعباده، فهو يأمرهم بأمر في وقت لما فيه من صلاحهم في ذلك الوقت، وقد علم أنه يزيلهم عن ذلك في وقت آخر لما علم فيه من صلاحهم في ذلك الوقت الثاني^(٣).

تعريف النسخ:

النسخ في اللغة: إزالة شيء بشيء يتعقبه، كنسخ الشمس الظل، والظل الشمس، ونسخ الكتاب: إزالة الحكم بحكم يتعقبه. قال تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ البقرة: ١٠٦، ونسخ الكتاب: نقل صورته المجردة إلى كتاب آخر، وقد

(١) تيسر لي تدريس كتاب نواسخ القرآن لابي الفرج بن الجوزي في جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية فرع إب ومن خلاله وقراءتي لغيره وجدت أنه من أهم ما ألف في هذا الباب خصوصا وان المؤلف كتب في مقدمته ما يتعلق بالناسخ والمنسوخ من تعريفه وحكمه وأنوعه وغير ذلك من المسائل التي تطرق إليها في هذه المقدمة وهو كذلك سرد الآيات التي ادعي عليها النسخ ونسب الأقوال ثم رد عليهم، وكذلك فإن كلامي في هذا الكتاب بيان لما يتعلق ببحثي في منهج الإمام بن الجوزي رحمه الله في هذا المبحث وله كتاب المصطفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ وقد رجعت اليه فوجدته مختصرا لكتاب نواسخ القرآن في بيان الآية وترجيح النسخ او عدمه دون التفصيل المذكور في النواسخ بل لقد قال في مقدمته: فهذا حاصل التحقيق في علم الناسخ والمنسوخ وقد بالغت في اختصار لفظه لأحث الراغب على حفظه فالتفت إليها الطالب لهذا العلم إليه وأعرض عن جنسه تعويلا عليه ففيه كفاية فإن أثرت زيادة بسط أو اخترت الاستظهار لقوة احتجاج أو ملت الى إسناد فعليك بالكتاب الذي اختصر هذا منه وهو كتاب عمدة الراسخ وله كتاب أخبار أهل الرسوخ في الناسخ والمنسوخ وهو كما قال العلماء للمنسوخ من السنة.

(٢) مناهل العرفان للزرقاني ١٨٢/٢.

(٣) علوم القرآن عند بن عبد البر للقططاني ٢٤٤/١.

يعبر بالنسخ عن الاستنساخ. قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُتِبَ تَعْمَلُونَ﴾ الجاثية: ٢٩^(١) ونسخ الآية بالآية: إزالة مثل حكمها، فالثانية ناسخة والأولى منسوخة^(٢). وفي الاصطلاح: عرفه الإمام ابن الجوزي بقوله: "رفع الحكم الذي ثبت تكليفه للعباد إما بإسقاطه إلى غير بدل أو إلى بدل"^(٣). وقال الإمام ابن جزري: هو "رفع الحكم الشرعي بعدما وقع"^(٤).

مشروعيته:

قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ البقرة: ١٠٦، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَلِّكُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ النحل: ١٠١، وقال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ الرعد: ٣٩، وقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه دخل يوماً مسجد الجامع بالكوفة، فرأى فيه رجلاً^(٥) وقد تعلق الناس عليه يسألونه وهو يخلط الأمر بالنهي والإباحة بالحظر فقال له علي عليه السلام أتعرف الناسخ من المنسوخ قال لا قال هلكت وأهلكت، وأخذ بأذنه ففتلها وقال لا تقص في مسجدنا بعد^(٦). ومروا ابن عباس رضي الله عنهما بقاض يقضي، فركضه برجله قال أتدري ما الناسخ من المنسوخ؟ قال لا قال هلكت وأهلكت^(٧).

-
- (١) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط/١: ١٤١٢ هـ، ٨٠١/١.
- (٢) تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط/٤: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ٤٥٥/٢.
- (٣) نواسخ القرآن لابن الجوزي ٢٠/١.
- (٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزري ٢١/١.
- (٥) هو أبو يحيى عبد الرحمن بن داب.
- (٦) الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري، ت: زهير الشاويش، محمد كنعان، المكتب الإسلامي - بيروت، ط/١: ١٤٠٤ هـ، ١٩.
- (٧) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ت: د. عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط/١: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ٦/١.

وعن حذيفة أنه قال: إنما يفتي الناس أحد ثلاثة رجل قد علم ناسخ القرآن من منسوخه وأمير لا يجد من ذلك بدا أو أحقق متكلف. وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ البقرة: ٢٦٩ ، قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحرامه وحلاله وأمثاله^(١).

قال الزركشي^(٢): "قال الأئمة: ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ"^(٣). وقال ابن عبد البر^(٤): "ليس من العلوم كلها علم هو أوجب على العلماء، وعلى المتعلمين، وكافة المسلمين من علم ناسخ القرآن ومنسوخه؛ لأن الأخذ بناسخه واجب فرضاً، والعلم به لازم ديانة، والمنسوخ لا يُعمل به، ولا ينتهي إليه، فالواجب على كل عالم علم ذلك لئلا يوجب على نفسه أو على عباد الله أمراً لم يوجبه الله عز وجل، أو يضع عنه فرضاً أوجبه الله عز وجل"^(٥).

ضوابطه:

أولاً: لا يقع النسخ إلا في الأمر والنهي، والخبر الذي ليس بمعنى الطلب لا يدخله النسخ ومنه الوعد والوعيد^(٦).

(١) نواسخ القرآن لابن الجوزي ٣١/١.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي الملقب ببدر الدين تركي الأصل مصري المولد ولد سنة ٧٤٥هـ ورحل إلى حلب وسمع الحديث بدمشق كان فقيهاً أصولياً منقطعاً إلى الاشتغال بالعلم وله أقارب يكفونه أمر دنياه وكان أديباً فاضلاً درس وأفتى حتى توفي عام ٧٩٥هـ، انظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٦٧/٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٩/٢.

(٤) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري الإمام، العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، الأندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة. مولده: في سنة ثمان وستين وثلاث مائة في شهر ربيع الآخر. وطلب العلم، وأدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنف، ووثق وضعف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان، فكان فقيهاً عابداً متهجداً، عاش خمسين سنة، مات أبو عمر ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر، سنة ثلاث وستين وأربع مائة، واستكمل خمسا وتسعين سنة وخمسة أيام - رحمه الله - انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٥/١٣٥.

(٥) علوم القرآن عند ابن عبد البر للقحطاني ٩١/١.

(٦) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٦٨/٣.

ثانياً: لا يكون النسخ إلا فيما يتدافع ويتعارض ولا سبيل إلى نسخ قرآن بقرآن، أو سنة بسنة، ما وجد إلى استعمال الآيتين أو السُنَّتين سبيل.

ثالثاً: لا يحكم بنسخ شيء من القرآن إلا ما قام عليه الدليل الذي لا مدفع له، ولا يحتمل التأويل، فالنسخ لا يثبت مع الاحتمال ولا يقطع بنسخ شيء من القرآن إلا بدليل لا معارض له أو إجماع^(١).

رابعاً: صرح المحققون من العلماء بأن كثيراً مما ظنه المفسرون نسخاً ليس به وإنما هو مجمل آخر بيانه لوقت الحاجة، أو خطاب قد حال بينه وبين أوله خطاب غيره، أو مخصوص من عمومته، أو حكم عام لخاص أو لمداخلة معنى في معنى^(٢).

خامساً: غير جائز وجود الناسخ والمنسوخ في خطاب واحد؛ لأن النسخ لا يصح إلا بعد استقرار الحكم والتمكن من الفعل^(٣)، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقاً^(٤).
سادساً: الاستثناء والتخصيص لا يدخل في النسخ؛ لأنه رفع حكم جزئي.

فوائده:

١- إظهار الربوبية، فالتصرف له تعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد^(٥)، ويطلع الإنسان على حكمة الله في تربيته للخلق وسياسته للبشر وابتلائه للناس.

٢- آية ودلالة قاهرة على صدقه ﷺ في الناسخ والمنسوخ، وليردّ بذلك قول مَنْ حكى عنه أنّ ذلك افتراءً من الرسول في قوله: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ النحل: ١٠١، فهذا عندنا أحدُ آياتِ الرسول ﷺ^(٦).

٣- أنه ركن عظيم في فهم الإسلام وفي الاهتمام إلى صحيح الأحكام خصوصاً إذا

(١) علوم القرآن عند بن عبد البر للقطاني ١/٢٧٨.

(٢) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ٢٧٣.

(٣) أحكام القرآن لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، ت: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/١: ١٤٠٥هـ، ٧٨/٢.

(٤) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/١٥٢.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١/٢١.

(٦) الانتصار للقرآن محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي، ت: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح - عمّان، دار ابن حزم - بيروت، ط/١: ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ١/٤١١.

ما وجدت أدلة متعارضة لا يندفع التناقض بينها إلا بمعرفة سابقها من لاحقها.

٤- التدرج في سير التشريع الإسلامي مراعاة لمصالح العباد إلى مرتبة الكمال حسب تطور الدعوة وتطور حال الناس^(١).

٥- الرفق بالعباد والصلاح لهم، ورفع المشقة عن العباد، برعاية المصالح، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥^(٢).

٦- الابتلاء لمعرفة كمال اتباع الناس للنصوص، فالمؤمن كامل الإيمان يسلم، والمنافق يجادل، وهو امتحان الحرية، ليمتاز أهل الطاعة من أهل العناد.

٧- بيان فضل هذه الأمة؛ إذ بلغ من كمال اتباعها أنها تتبع حتى ما نسخ لفظه ولا تجده في المصحف. وبيان لكمال العبودية .

أنواعه:

لا خلاف في جواز نسخ الكتاب بالكتاب، ونسخ السنة بالكتاب كالقصة في صوم عاشوراء برمضان وغيره، واختلف في نسخ الكتاب بالسنة وحذاق الأمة على الجواز وذلك موجود في قوله ﷺ: لا وصية لوارث^(٣).

ويجوز أن ينسخ الأخف بالأثقل والأثقل بالأخف، فالأثقل بمضاعفة الأجر ورفع الدرجات بالصبر وامتثال الأمر، والأخف للرافة والرحمة مع جزيل الأجر من الله تعالى الكريم الجواد، فالنسخ حينئذ تحول العباد من حلال إلى حرام أو حرام إلى حلال ومن مباح إلى محظور ومن محظور إلى مباح ومن خفيف إلى ثقيل ومن ثقيل إلى خفيف كل ذلك لما يعلم الله تعالى من المصلحة لعباده^(٤).

المنسوخ من القرآن:

(١) مباحث في علوم القرآن للقطان ٢٤٦.

(٢) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي، ١/١٢١.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٢/٢.

(٤) الناسخ والمنسوخ للكرمي ٤٣.

على ثلاثة أقسام: الأول: ما نسخ رسمه وحكمه لحديث سهل بن حنيف أن رجلا كانت معه سورة، فقام من الليل يقرؤها فلم يقدر عليها فأتى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ عنها نسخت البارحة^(١). الثاني: ما نسخ رسمه وبقي حكمه: لحديث عمر ﷺ أنه قال: وآية الرجم لا تضلوا عنها، فإن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا، وأنها قد أنزلت، وقرأناها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة ولولا أن يقال: زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي^(٢). الثالث: ما نسخ حكمه وبقي رسمه: وهو ما تكلم فيه المفسرون^(٣).

معرفة الناسخ والمنسوخ:

١- النقل الصريح عن النبي ﷺ أو عن صحابي كحديث: كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها^(٤). وقول أنس في قصة أصحاب بئر معونة: " أنزل في الذين قتلوا ببئر معونة قرآن قرأناه ثم نسخ بعد^(٥). ٢- إجماع الأمة على أن هذا ناسخ وهذا منسوخ.

٢- معرفة المتقدم من المتأخر في التاريخ. لا يعتمد النسخ على الاجتهاد، أو قول المفسرين، أو التعارض بين الأدلة ظاهراً، أو تأخر إسلام أحد الراويين^(٦). قال الزركشي: "ما نزل بمكة والمدينة وترتيب ذلك من فوائده معرفة الناسخ والمنسوخ والمكي أكثر من المدني"^(٧). وقال ابن حزم: "نزول المنسوخ بمكة كثير ونزول الناسخ بالمدينة كثير وليس في أم الكتاب شيء منهما"^(٨).

-
- (١) شرح مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط/١: ١٤١٥ هـ ١٤٩٤ م، والحديث، باب مشكل قوله تعالى: { ما ننسخ من آية أو ننسها }، رقم ٢٠٣٤، ٢٧٠/٥.
- (٢) صحيح البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت، ٦٤٤٢، ٥٠٣/٦.
- (٣) نواسخ القرآن لابن الجوري ٣٣.
- (٤) المستدرک على الصحيحين للحاكم، كتاب الجنائز، رقم ١٣٨٧، ٥٣١/١.
- (٥) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٨١٤ باب فضل قول الله تعالى: { ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا. . . }، رقم ٢٨١٤، ٢٣٩/٧.
- (٦) مباحث في علوم القرآن للقطان ٢٤٠.
- (٧) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٨٧/١.
- (٨) الناسخ والمنسوخ لابن حزم ١٩/١.

المطلب الثاني

تفسير الإمام بن جزي في النسخ والمنسوخ

- ذكر الإمام ابن جزي في مقدمته ما يتعلق بالنسخ فقال: وأما النسخ فهو يتعلق بالأحكام؛ لأنها محل النسخ إذ لا تنسخ الأخبار ولا بدّ من معرفة ما وقع في القرآن من النسخ والمنسوخ، والمحكم وهو ما لم ينسخ، وقد صنف الناس في نسخ القرآن ومنسوخه تصانيف كثيرة^(١).

- ذكر أسباب الخلاف بين المفسرين واحتمال أن يكون الحكم منسوخاً أو محكماً^(٢).
- بيّن وقوعه في القرآن فقال: " على ثلاثة وجوه: الأول: نسخ اللفظ والمعنى كقوله: (لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم). الثاني: نسخ اللفظ دون المعنى كقوله: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة). الثالث: نسخ المعنى دون اللفظ وهو كثير^(٣).
- ذكر مواضع النسخ الموجودة في القرآن والتي اختلف فيها العلماء وقد عدّها وحصرها في مائتين واثنى عشر موضعاً في القرآن الكريم ذكرها في مواضعها.
- بيّن علّة الخلاف بين العلماء في النسخ فقال: "إلا أنهم عدوا التخصيص والتقيد نسخاً، والاستثناء نسخاً، وبين هذه الأشياء وبين النسخ فروق معروفة"^(٤).
- ذكر أكثر المواضع الخلافية في النسخ وهي نسخ مسالمة الكفار والصفح عنهم بالأمر بقتالهم وعدّها مائة وأربع عشرة آية ذكرها في المقدمة.
- في بيانه للنسخ يذكر القول الراجح في الآية من وجوه النسخ، ولعل هذه كانت منهجية السابقين في تناول مسائل النسخ وبيان القول الراجح منها والرد على المخالف وتوضيح المسألة، وهناك مواطن يذكر فيها الأقوال ولا يذكر الراجح.
- يرجح الأقوال على مذهب الإمام مالك ويصرح ببيان الراجح والصحيح بعد عرض الآيات وقد يذكر الأقوال والاحتمالات دون ترجيح لهذه الأقوال.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/١٧.

(٢) المرجع نفسه ١/١٩.

(٣) المرجع نفسه ١/٢١.

(٤) المرجع نفسه ١/٢١.

- الإمام ابن جزري من الذين ينكرون المبالغة في مسألة الناسخ والمنسوخ وإيرادها في غير مواردنا من مواطن التخصيص والتقييد ومع التزامه بالاختصار فإنه يذكر الراجح وبيان النسخ من عدمه. وهذه بعض الأمثلة:

١- قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمُ فَشُدُّوا الْوَتَانَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَامًا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ محمد: ٤ ، مذهب مالك أن الإمام مخير في الأسارى بين خمسة أشياء: وهي: المن والفداء والقتل والاسترقاق وضرب الجزية. وقيل: لا يجوز المن ولا الفداء؛ لأن الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ التوبة: ٥ ، فلا يجوز على هذا إلا قتلهم. والصحيح أنها محكمة^(١).

٢- قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ البقرة: ٢١٧، أي ممنوع ثم نسخه: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، وذلك بعيد فإن حيث وجدتموهم عموم في الأمكنة لا في الأزمنة، ويظهر أن ناسخه قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ التوبة: ٣٦، يحتمل أن يكون المراد وقوع القتال في الشهر الحرام: أي إباحته حسبما استقر في الشرع، فلا تكون الآية منسوخة، بل ناسخة لما كان في أول الإسلام، ومن تحريم القتال في الأشهر الحرم^(٢).

٣- قال تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ النور: ٢، وهذه الآية ناسخة بإجماع لما في سورة [النساء: ١٤] من الإمساك في البيوت^(٣) ثم إن لفظ هذه الآية عند مالك ليس على عمومها، فإن جلد المائدة إنما هو حدّ الزاني والزانية إذا كانا مسلمين حرين غير محصنين، فيخرج منها الكفار، فيردّون إلى أهل دينهم، ويخرج منها العبد

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزري ٢/٢٨٠.

(٢) المرجع السابق ١/١١٩.

(٣) قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَحِشَّةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ النساء: ١٥ وقد بين الله في هذه الآية حينما ختم بالتخيير فقد جعل الله سبيلا آخر بدلا من السجن المؤبد وهو الرجم حتى الموت للمحصن.

والأمة والمحصن والمحصنة، فأما العبد والأمة: فحدهما خمسون جلدة سواء كان محصنين أو غير محصنين، وأما المحصنان الحران فحدهما الرجم على مذهب مالك^(١).

٤- قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ النساء: ٢٠، جرى مذهب مالك وغيره في المنع من الفدية إذا كان الضرر وأرادت الفراق من الزوج، فقال قوم: إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ البقرة: ٢٢٩، وقال قوم: هي ناسخة، والصحيح أنها غير ناسخة ولا منسوخة، فإن جواز الفدية على وجه ومنعها على وجه، فلا تعارض ولا نسخ^(٢).

٥- قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ النحل: ١٢٧، وقد قيل إن ما في هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ بالسيف، وهذا إن كان الصبر يراد به ترك القتال وأما إن كان الصبر يراد به ترك المثلة التي فعل مثلها بحمزة فذلك غير منسوخ^(٣).

٦- قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ التوبة: ٥، ناسخة لكل موادة في القرآن، وقيل: إنها نسخت أيضاً فإما مناً بعد وإما فداءً، وقيل: بل نسختها هي فيجوز المنّ والفداء^(٤).

٧- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ﴾ النساء: ٣٣، هل هي منسوخة أو محكمة؟ فالذين قالوا إنها منسوخة قالوا: معناها الميراث بالحلف الذي كان في الجاهلية، وقيل: بالمؤاخاة التي آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، ثم نسخها: قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ الأحزاب: ٦، فصار الميراث للأقارب، والذين قالوا إنها محكمة اختلفوا، فقال ابن عباس: هي المؤازرة والنصرة بالحلف لا في الميراث به، وقال أبو حنيفة: هي في الميراث وأن الرجلين إذا والى أحدهما الآخر، على أن يتوارثا صح ذلك، وإن لم تكن بينهما قرابة^(٥).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٥٩/٢.

(٢) المرجع نفسه ١٨٤/١.

(٣) المرجع نفسه ٤٣٩/١.

(٤) المرجع نفسه ٣٣٢/١.

(٥) المرجع نفسه ١٩٠/١.

المطلب الثالث

تفسير الإمام بن جوزي في الناسخ والمنسوخ

يرى الباحث أن الإمام بن جوزي سار في تفسيره على النحو التالي:

- من أكثر المسائل التي ذكرها ذكر الناسخ والمنسوخ.
- بين الخلاف بين العلماء في الآية ويذكر القائلين فينسب إلى كل قول قائله.
- بين الحكم الفقهي المتعلق بالمسألة على ضوء هذه القواعد بعد جمع الآيات المتعلقة بالحكم وبيان الخلاف في الناسخ منها والمنسوخ.
- ذكر أقوال العلماء ويذكر النصوص المؤيدة لأقوالهم وبيان حججهم ثم هو كعادته لا يرجح أحد هذه الأقوال إلا على سبيل النادر.
- يذكر مذهب الإمام أحمد في عرض الأقوال وإذا رجح في الأقوال يرجح مذهبه.
- أَلَّفَ أكثر من كتاب في هذا الموضوع وخصوصا كتابه المشهور نواسخ القرآن وذكر فيه الآيات التي ادعي عليها النسخ وبيان حجة الأطراف، ثم الترجيح والتفصيل في ذلك وفي عرضه للآيات التي يتناولها بالبيان والتوضيح والترجيح فإنه يرد على المبالغين في النواسخ وقد بين في كتابه وهو يعرض الآيات أن أغلبها محكمة غير منسوخة وأهم ما يميّز هذا الكتاب هو ترجيحه للأقوال. وقد ذكر في كتابه نواسخ القرآن وأشار إليها كثيرا في تفسيره في الضابط لمسائل النسخ أنه لا يكون نسخ إلا فيما تعذر جمع الآيات؛ لأن من شرط النسخ التعارض، فإذا أمكن الجمع لا يمكن أن هناك نسخ وذكره لذلك كثير في تفسيره.

- وهناك مسألة أخرى تتعلق بالنسخ ذكرها في كتبه ودافع عنها كثيرا وهي في أنواع النسخ هل السنة تنسخ القرآن؟ وقد نظر كثيرا في هذه المسألة على أن السنة لا تنسخ القرآن؛ لأن الآية التي ذكرت النسخ شرطت في الناسخ أن يكون خيرا منها أو مثلها، قال تعالى: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ البقرة: ١٠٦، والسنة ليست خيرا ولا مثل القرآن بل هي دونه. وقال: حكى فيه شيخنا علي بن عبيد الله روايتين عن أحمد قال والمشهور أنه لا يجوز وهو مذهب الثوري والشافعي والرواية الثانية يجوز وهو

قول أبي حنيفة ومالك قال ووجه الأولى قوله تعالى: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾، والسنة ليست مثلاً للقرآن لحديث جابر بن عبد الله قال رسول الله ﷺ: «كلامي لا ينسخ كلام الله وكلام الله ينسخ كلامي وكلام الله ينسخ بعضه بعضاً»^(١)، ومن جهة المعنى فإن السنة تنقص عن درجة القرآن فلا تقدم عليه.

وأما حجة الطرف الآخر بحديث لا وصية لوارث، فقد قال: هذه الأشياء تجري مجرى البيان للقرآن لا النسخ وقد قال أحمد بن حنبل رحمته الله السنة تفسر القرآن ولا ينسخ القرآن إلا القرآن وكذلك قال الشافعي إنما ينسخ الكتاب الكتاب والسنة ليست ناسخة له.

- وقد ذكر مواطن النسخ في الآيات التي تناولتها وبين الناسخ من المحكم في عرضه للآيات وإن كانت ليست بالصورة التي في كتابه نواسخ القرآن، ومن هذه الأمثلة:

١- قال تعالى: ﴿ وَأَبْتَلُوا أَلْيَمَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ النساء: ٦، اختلف العلماء هل هذه الآية محكمة أو منسوخة؟ على قولين، أحدهما: محكمة، وهو قول عمر، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن جبير، والنخعي وقتادة في آخرين، والقول الثاني: أنها منسوخة بقوله: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ النساء: ٢٩، وهذا مروى عن ابن عباس، ولا يصح^(٢).

٢- قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَىٰ الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ ﴾ البقرة: ٢٤٠، نسخ ذلك بالآية المتقدمة في نظم القرآن على هذه الآية، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرَبِّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ البقرة: ٢٣٤، ونسخ الأمر بالوصية لها بما فرض لها من ميراثه^(٣).

٤- قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ ﴾ آل عمران: ٢٠، اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فذهبت طائفة إلى أنها محكمة، وأن المراد بها تسكين نفس النبي ﷺ عند امتناع من لم يجبه؛ لأنه كان يحرص على إيمانهم،

(١) سنن الدارقطني، كتاب النوادر، رقم ٤٢٧٧، ٥/٢٥٥.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ١/٣٧٣.

(٣) المرجع السابق ١/٢١٨.

ويأتى من تركهم الإجابة، وذهبت طائفة إلى أن المراد بها الاقتصار على التبليغ، وهذا منسوخ بآية السيف^(١).

٥- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ آل عمران: ١٠٢، واختلف العلماء: هل هذا الكلام محكم أو منسوخ؟ على قولين: أحدهما: أنه منسوخ، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد، والسدي، ومقاتل. قالوا: لما نزلت هذه الآية، شقت على المسلمين، فنسخها قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن: ١٦، والثاني: أنها محكمة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قول طاووس. قال شيخنا علي بن عبد الله: والاختلاف في نسخها وإحكامها، يرجع إلى اختلاف المعنى المراد بها، فالمعتقد نسخها يرى أن حق تقاته الوقوف على جميع ما يجب له ويستحقه، وهذا يعجز الكل عن الوفاء به، فتحصيله من الواحد ممتنع، والمعتقد إحكامها يرى أن حق تقاته أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته، فكان قوله تعالى: (ما استطعتم) مفسراً لـ(حق تقاته) لا ناسخاً ولا مخصصاً^(٢).

٦- قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ المائدة: ٥، وقد زعم قوم أن هذه الآية اقتضت إباحة ذبائح أهل الكتاب مطلقاً وإن ذكروا غير اسم الله عليها، فكان هذا ناسخاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الأنعام: ١٢١، والصحيح أنها أطلقت إباحة ذبائحهم؛ لأن الأصل أنهم يذكرون الله، فيحمل أمرهم على هذا. فإن تيقنا أنهم ذكروا غيره فلا نأكل، ولا وجه للنسخ، وإلى هذا الذي قلته ذهب علي، وابن عمر، وعبادة، وأبو الدرداء، والحسن في جماعة^(٣).

٧- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ المائدة: ١٠٥، هي محكمة، وقد ذهب قوم من المفسرين إلى أنها منسوخة، ولهم في نسخها قولان: أحدهما: أنه آية السيف. والثاني: أن آخرها نسخ أولها. روي عن أبي عبيد أنه

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٢٦٨/١.

(٢) المرجع نفسه ٣١١/١.

(٣) المرجع نفسه ٥١٨/١.

قال: ليس في القرآن آية جمعت الناسخ والمنسوخ غير هذه، وموضع المنسوخ منها إلى قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ﴾ والناسخ: قوله: ﴿إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾.

٨- قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ البقرة: ١١٥، وقد ذهب قوم إلى نسخها، فقالوا: إنها لما نزلت توجه رسول الله إلى بيت المقدس، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ البقرة: ١٤٤، وهذا مروى عن ابن عباس، قال شيخنا علي بن عبيد الله: وليس في القرآن أمر خاص بالصلاة إلى بيت المقدس، وقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ ليس صريحاً بالأمر بالتوجه إلى بيت المقدس، بل فيه ما يدل على أن الجهات كلها سواء في جواز التوجه إليها، فإذا ثبت هذا، دل على أنه وجب التوجه إلى بيت المقدس بالسنة، ثم نسخ بالقرآن^(١).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١٠٤/١.

المطلب الرابع

المقارنة بين تفسير الإمامين في النسخ والمنسوخ

ذكر الإمامان بن جزي وابن الجوزي في تفسيريهما آيات القرآن الكريم التي ذكر فيها النسخ وبيننا ما يتعلق بتوضيحها من حيث هل هي ناسخة أو منسوخة وقد كان منهجها متفقاً من حيث البيان في الآيات المنسوخة وكان منهجها واضحاً من حيث عدم المبالغة في مسألة الآيات المنسوخة بل وكان منهجها واضحاً ببيان أن الآيات محكمة في الغالب وإن قال بعض العلماء بنسخها.

واتفقا في تفسيريهما على بيان الآيات التي فيها النسخ والمنسوخ فقد كانا يذكران الآية التي فيها النسخ ويذكران الآية التي تقابلها إما ناسخة أو منسوخة.

وبيننا علّة الترجيح بالإثبات من القرائن المتعددة في تقييد المطلق وتخصيص العام وتبيين المجمل وغيره مما زعم بعضهم أنه نسخ، وكذلك إبطال العمل بالمنسوخ وأنه لا يثبت نسخ الحكم إلا بسقوط العمل به - وخصوصاً آيات السيف والصفح - وأن معظم هذه الآيات محكمة ما دام أن العمل بالآية قائم.

وهذا الباب من أوسع ما تكلم فيه الإمام بن الجوزي وقد كان يذكر القول بالنسخ وينسبه إلى قائله بصورة أوسع مما تكلم فيه الإمام بن جزي.

وقد سار على هذا البيان المفسرون في بيان الآيات التي فيها نسخ وبينوا فيها أقوال العلماء في نسخ الآية من عدمه.

١ - قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ البقرة: ٢٤٠،

قال بن جزي: معناها: أن الرجل إذا مات كان لزوجته أن تقيم في منزله سنة وينفق عليها من ماله، وذلك وصية لها ثم نسخ إقامتها سنة بالأربعة الأشهر والعشر^(١).

وقال بن الجوزي: كان أهل الجاهلية كان إذا مات أحدهم، مكثت زوجته في بيته

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/ ١٢٨.

حولاً، ينفق عليها من ميراثه، فإذا تم الحول، خرجت إلى باب بيتها، ومعها بعة، فرمت بها كلباً، وخرجت بذلك من عدتها، ومعنى رميها بالبعة أنها تقول: مكثي بعد وفاة زوجي أهون عندي من هذه البعة، ثم جاء الإسلام، فأقرهم على ما كانوا عليه من مكث الحول بهذه الآية، ثم نسخ ذلك بالآية المتقدمة في نظم القرآن على هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا^ط﴾ البقرة: ٢٣٤^(١).

وقال بن كثير: قال الأكثرون: هذه الآية منسوخة بالتي قبلها^(٢).

وقال بن عاشور: والجمهور على أن هذه الآية شرعت حكم تريض المتوفى عنها حولاً في بيت زوجها وذلك في أول الإسلام، ثم نسخ ذلك بعة الوفاة وبالميراث^(٣).

وقال القرطبي: ذهب جماعة من المفسرين في تأويل هذه الآية أن المتوفى عنها زوجها كانت تجلس في بيت المتوفى عنها حولاً، وينفق عليها من ماله ما لم تخرج من المنزل، فإن خرجت لم يكن على الورثة جناح في قطع النفقة عنها، ثم نسخ الحول بالأربعة الأشهر والعشر^(٤).

٢- قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ^ط﴾ البقرة: ٢٥٦،

قال الإمام بن جزى: قيل معناها المودعة، وأن لا يكره أحد بالقتال على الدخول في الإسلام ثم نسخت بالقتال، وهذا ضعيف لأنها مدنية وإنما آية المسالمة وترك القتال بمكة^(٥).

قال الإمام بن الجوزي: ذهب قوم إلى أنه محكم، وأنه من العام المخصوص، فإنه خص منه أهل الكتاب بأنهم لا يكرهون على الإسلام، بل يخبرون بينه، وبين أداء الجزية، وهذا معنى ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وذهب قوم إلى أنه منسوخ،

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٢١٨ / ١

(٢) تفسير القرآن العظيم ابن كثير ٦٥٨ / ١

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٤٧١ / ٢

(٤) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٢٢٦ / ٣

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ١٣٢ / ١

وقالوا هذه الآية نزلت قبل الأمر بالقتال، فعلى قولهم يكون منسوخاً بآية السيف^(١).

قال أبو السعود: أي لا تكرهوا في الدين فليل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص بأهل الكتاب حيث حصنوا أنفسهم بأداء الجزية^(٢).

قال بن كثير: وقد ذهب طائفة كثيرة من العلماء أن هذه محمولة على أهل الكتاب ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل إذا بذلوا الجزية، وقال آخرون: بل هي منسوخة بآية القتال وأنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الدين الحنيف دين الإسلام فإن أبا أحد منهم الدخول فيه ولم ينقد له أو يبذل الجزية، قوتل حتى يقتل^(٣).

قال البغوي: فأمر بقتال أهل الكتاب إلى أن يسلموا أو يقرؤا بالجزية فمن أعطى منهم الجزية لم يكره على الإسلام، وقيل كان هذا في الابتداء قبل أن يؤمر بالقتال فصارت منسوخة بآية السيف^(٤).

وقد ذكر المفسرون النسخ في هذه الآية وبعضهم قال أنها محكمة وبعضهم قال منسوخة لكن الإمام بن جزي ذكر أنها منسوخة بآية السيف.

وذكر الإمام بن الجوزي القولين ولم يرجح وبين في القول الثاني أن الناسخ لها قول الله تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جَهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظُ عَلَيْهِمْ﴾ التحريم: ٩^(٥).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١ / ٢٣١.

(٢) إرشاد العقل السليم لابي السعود ١ / ٢٤٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ٦٨٣.

(٤) معالم التنزيل للبغوي ١ / ٣١٤.

(٥) نواسخ القرآن لابن الجوزي ٢٣٢.

الفصل الثالث

الدراسة التطبيقية عند الإمامين في السلوك

وفيه مبحثان

المبحث الأول: تفسير الإمام بن جزي في السلوك.

المبحث الثاني: تفسير الإمام بن الجوزي في السلوك.

تمهيد:

السلوك مصدر سلك طريقا وسلك المكان يسلكه سلكا وسلوكا، والسلك بالفتح مصدر سلكت الشيء في الشيء فانسلك أي أدخلته فيه فدخل، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ الشعراء: ٢٠٠، وفيه لغة أخرى أسلكته فيه والله يسلك الكفار في جهنم أي يدخلهم، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ الزمر: ٢١، يقال سلكت الخيط في المخيط أي أدخلته فيه^(١).

السلوك هو عمل الإنسان الإرادي المتجه نحو غاية معينة مقصودة، تهدف إلى تحقيق مطالب جسدية أو نفسية أو روحية أو فكرية^(٢).

قال بن تيمية: إن السلوك هو بالطريق التي أمر الله بها ورسوله من الاعتقادات والعبادات والأخلاق وهذا كله مبين في الكتاب والسنة، فإن هذا بمنزلة الغذاء الذي لا بد للمؤمن منه^(٣).

فهناك تلازم بين السلوك والاعتقاد، فالسلوك الظاهر مرتبط بالاعتقاد الباطن، ومن ثم فإن الانحراف الواقع في سلوكنا وأخلاقنا الظاهرة إنما هو ناشئ عن نقص في إيماننا الباطن، يقول بن تيمية: " إذا انقضت الأعمال الظاهرة الواجبة، كان ذلك نقص ما في القلب من الإيمان، فلا يتصور مع كمال الإيمان الواجب الذي في القلب أن تعدم الأعمال الظاهرة الواجبة، بل يلزم من وجود هذا كاملاً وجود هذا كاملاً، كما لزم من نقص هذا نقص هذا، وإن مصدر تلقي السلوك والأخلاق عند السلف الصالح هو الكتاب والسنة، فإنهم أهل أتباع، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل: ٩^(٤).

ولا بد من مراعاة أحوال المكلفين وقدراتهم وطبائعهم، والاهتمام بالجانب الواقعي

(١) لسان العرب لابن منظور ١٠ / ٤٤٢.

(٢) الأخلاق في الإسلام ٦.

(٣) فتاوى بن تيمية ١٩ / ٢٧٣.

(٤) معالم في السلوك وتركيب النفوس لعبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، دار الوطن، ط/١: ١٤٤١هـ، ٩.

الإيجابي، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سدّدوا وقاربوا، واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا^(١).

ومن محاسن ما نبّينه هنا ما يلي:

- تعدد المصطلحات في هذا الموضوع، فيسمى سلوك، رقائِق، مقامات التصوف، تزكية، أخلاق وفضائل، شمائل وغيرها.

- هذا الموضوع يتناول من جهتين: الأولى: مع الله: وهي طريقة ومنهج تربط العبد بربه بامتنال ما أمر واجتناب ما نهى وتتحقق هذه المقامات والسلوك بمقدار ما يمتثل العبد لربه بالأوامر والنواهي. الثانية: مع الخلق: وهي كذلك بمقدار ما يكون قريبا من الله يكون قريبا من خلقه؛ لأن هذه المقامات لا تتحقق إلا بأثرها مع الخلق ولا يرتقي العبد في مقامات العبودية لله إذا كانت العلاقة مقطوعة مع خلقه.

- السلوك ليس كلاما يردد، ولا كتب تقرأ، ورسائل تطوى، وأوراد فحسب وإنما أذكار وأخلاق ومعاملات وهي معالم الدين الشاملة.

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، رقم ٦٠٩٨، ١٦/٢٨٠.

المبحث الأول

تفسير الإمام بن جزي في السلوك

وفيه مطلبان

المطلب الأول: السلوك في تفسير الإمام بن جزي.

المطلب الثاني: مقامات التصوف عند الإمام بن جزي.

المطلب الأول:

السلوك في تفسير الإمام بن جزي.

تكلم بن جزي في تفسيره عن السلوك والرفائق، وكان أهم ما يميزه ما يلي:

- التزم في عرض ما يتكلم به من السلوك والتصوف بالاختصار.

- كتب في معنى الآية بالمعنى الإجمالي وبأسلوب مبسط.

- حدد ما سيتكلم فيه من مقامات التصوف وهي اثنا عشر مقام وهي تتعلق بسلوك

العبد مع ربه والتي على إثرها تتعكس على سلوك الفرد فيكون أثرها عليه في حياته مع ربه ومع الناس، وقد قمت بإحصائها من مواطنها في القرآن الكريم وعرضها وقد تكلم فيها وأجاد من حيث المعاني والأقسام والعرض.

- لم يحصر الكلام في ما يتعلق بالسلوك على ما ذكر بل تكلم عن مقامات أخرى

بحسب ما يمر عليه من الآيات ولكن بصورة مختصرة وليس كما بسطه في المقامات الاثنا عشر من تعريف وتقسيم وبيان. وسنبداً مع المقامات العامة التي لم يخصصها ببيان زائد وتقسيم وتوضيح وهذه بعض الأمثلة:

١- الخشوع في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ المؤمنون: ٢، الخشوع حالة في القلب من الخوف والمراقبة والتذلل لعظمة المولى ﷻ، ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات والبكاء والتضرع، وقد عدّ بعض الفقهاء الخشوع في فرائض الصلاة؛ لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها، وفي الحديث: «لا يكتب للعبد في صلاته إلا ما عقل منها»^(١)، والصواب أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب، فقد يحضر القلب ولا يخشع^(٢).

٢- الصدق في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة: ١١٩، يحتمل أن يريد صدق اللسان إذا كانوا هؤلاء الثلاثة قد صدقوا ولم يعتذروا

(١) حلية الاولياء لابي نعيم ٦١/٧.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٤٨ / ٢.

بالكذب، فنفعهم الله بذلك، ويحتمل أن يريد أعم من صدق اللسان، وهو الصدق في الأقوال والأفعال والمقاصد والعزائم، والمراد بالصادقين: المهاجرون لقول الله في الحشر: للفقراء المهاجرين، إلى قوله: هم الصادقون وقد احتج بها أبو بكر الصديق على الأنصار يوم السقيفة، فقال: نحن الصادقون، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا، أي تابعين لنا^(١).

٣- الأمانة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ الأحزاب: ٧٢

الأمانة هي التكليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المعاصي، وقيل: هي الأمانة في الأموال، وقيل: غسل الجنابة، والصحيح العموم في التكليف، وعرضها على السموات والأرض والجبال يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون الله خلق لها إدراكا فعرضت عليها الأمانة حقيقة فأشفقت منها، وامتنعت من حملها، والثاني أن يكون المراد تعظيم شأن الأمانة، وأنها من الثقل بحيث لو عرضت على السموات والأرض والجبال، لأبين من حملها وأشفقن منها، فهذا ضرب من المجاز كقولك: عرضت الحمل العظيم على الدابة فأبت أن تحمله، والمراد أنها لا تقدر على حمله وحملها الإنسان أي التزم الإنسان القيام بالتكليف مع شدة ذلك، وصعوبته على الأجرام التي هي أعظم منه، ولذلك وصفه الله بأنه ظلوم جهول، فإن حمل الأمانة: كان سبب تعذيب المنافقين والمشركين، ورحمة للمؤمنين^(٢).

٤- الخشية في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ الزمر: ٢٣

يعني القرآن متشابهاً معناه هنا أنه يشبه بعضه بعضاً في الفصاحة والنطق بالحق وأنه ليس فيه تناقض ولا اختلاف مثنائي جمع مثنان أي تنثنى فيه القصص وتكرر، ويحتمل أن يكون مشتقاً من الثناء، لأنه يثنى فيه على الله، فإن قيل: مثنائي جمع فكيف وصف به المفرد؟ فالجواب: أن القرآن ينقسم فيه إلى سور وآيات كثيرة فهو جمع بهذا

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/ ٣٥٠.

(٢) المرجع نفسه ٢/ ١٦٠.

الإعتبار، ﴿ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ فإن قيل: لم ذكرت الجلود أولاً وحدها، ثم ذكرت القلوب بعد ذلك معها؟ فالجواب: أنه لما قال أولاً تقشعر ذكر الجلود وحدها، لأن القشعريرة من وصف الجلود لا من وصف غيرها، ولما قال ثانياً تلين ذكر الجلود والقلوب، لأن اللين توصف به الجلود والقلوب: أما لين القلوب فهو ضد قسوتها، وأما لين الجلود فهو ضد قشعريرتها فاقشعرت أولاً من الخوف، ثم لانت بالرجاء ذلك هدى الله يحتمل أن تكون الإشارة إلى القرآن أو إلى الخشية واقشعرار الجلود^(١).

٥- الاستقامة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ فصلت: ٣٠ ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، استقاموا على قولهم: ربنا الله، فصح إيمانهم ودام توحيدهم وقال عمر بن الخطاب: المعنى استقاموا على الطاعة وترك المعاصي، وقول عمر أكمل وأحوط، وقول أبي بكر أرجح لما روى أنس^(٢) أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وقال: قد قالها قوم كفروا فمن مات عليها فهو ممن استقام^(٣)، وقال بعض الصوفية: معنى استقاموا أعرضوا عما سوى الله، وهذه حالة الكمال على أن اللفظ لا يقتضيه تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ يعني عند الموت^(٤).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢/٢٢٠.

(٢) هو أنس بن مالك بن النظر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي النجاري خادم رسول الله ﷺ كان يتسمى به ويفتخر بذلك كناه النبي ﷺ أبا حمزة وأمه أم سليم بنت ملحان داعبه النبي ﷺ فقال له : يا ذا الأذنين وخرج مع النبي ﷺ يوم بدر يخدمه وهو غلام وكان عمره لما قدم النبي ﷺ المدينة عشر سنين وخدمه عشر سنين ومات رسول الله ﷺ وعمره عشرين سنة ودخل له النبي ﷺ وكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين وهو من المكثرين الرواية عن النبي ﷺ وكانت عنده عصية لرسول الله ﷺ فلما مات أمر أن تدفن معه فدفنت معه توفي سنة إحدى وتسعين وعمره مائة وثلاث سنين. انظر أسد الغابة لابن الأثير ١/١٥٢.

(٣) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن ، باب سورة حم السجدة ، رقم ٢٣٥٠ ، ٣٧٦/٥.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢/٢٤١.

المطلب الثاني:

مقامات التصوف عند الإمام بن جزي.

نذكر المقامات الخاصة الاثنا عشر التي ذكرها الإمام بن جزي بالتوضيح والأدلة والتقسيم وقد أجاد رحمه الله في ذكر هذه المقامات.

قال الإمام بن جزي في مقدمته: وأما التصوّف فله تعلق بالقرآن، لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية ورياضة النفوس، وتطهير القلوب. وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة، واجتناب الأخلاق الذميمة، وقد تكلمت المتصوّفة في تفسير القرآن. فمنهم من أحسن وأجاد، ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني. ووقف على حقيقة المراد. ومنهم من توغل في الباطنية وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية، وتكلمنا على اثني عشر مقاما من [مقامات] التصوف في مواضعها من القرآن:

- ١- الشكر في أم القرآن لما بين الحمد والشكر من الاشتراك في المعنى.
- ٢- التقوى في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ٢.
- ٣- الذكر في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة: ١٥٢.
- ٤- الصبر في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة: ١٥٥.
- ٥- التوحيد في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ البقرة: ١٦٣.
- ٦- محبة الله في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ البقرة: ١٦٥.
- ٧- التوكل في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ آل عمران: ١٥٩.
- ٨- المراقبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: ١.
- ٩- الخوف والرجاء في قوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الأعراف: ٥٦.
- ١٠- التوبة في قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ النور: ٣١.

١١- الإخلاص في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ البينة: ٥^(١).

وسنذكر هذه المقامات التي ذكرها المؤلف من مواطنها في تفسيره:

١- قال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الفاتحة: ٢،

أفضل عند المحققين من لا إله إلا الله لوجهين: أحدهما ما خرّجه النسائي عن رسول الله ﷺ: « من قال لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة، ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة»^(٢)، والثاني: أنّ التوحيد الذي يقتضيه لا إله إلا الله حاصل في قولك رب العالمين وزادت بقولك الحمد لله، وأما قول رسول الله ﷺ: أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله^(٣)، فإنما ذلك للتوحيد الذي يقتضيه، وقد شاركها الحمد لله رب العالمين في ذلك وزادت عليها، وهذا المؤمن يقولها لطلب الثواب، أما لمن دخل في الإسلام فيتعين عليه لا إله إلا الله والشكر باللسان هو الثناء على المنعم والتحدث بالنعمة، قال رسول الله ﷺ: التحدث بالنعمة شكر^(٤)، والشكر بالجوارح هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه، والشكر بالقلب هو معرفة مقدار النعمة. والعلم بأنها من الله وحده، والعلم بأنها تفضل لا باستحقاق العبد. واعلم أن النعم التي يجب الشكر عليها لا تحصى، ولكنها تنحصر في ثلاثة أقسام: نعم دنيوية: كالعافية والمال، ونعم دينية: كالعلم، والتقوى. ونعم أخروية: وهي جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل في العمر القصير. والناس في الشكر على مقامين: منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصة، ومنهم من يشكر الله عن جميع خلقه على النعم الواصلة إلى جميعهم، والشكر على ثلاث درجات: فدرجات العوام الشكر على النعم، ودرجة الخواص الشكر على النعم والنعم وعلى كل حال، ودرجة خواص الخواص أن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم، قيل: الفقراء إذا منعوا شكروا، وإذا أعطوا آثروا وفضيلة الشكر أنه من صفات الحق، ومن صفات الخلق ومن أسماء الله: الشاكر

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/ ١٧.

(٢) سنن النسائي الكبرى، كتاب الإيمان وشرائعه، باب ذكر ما اصطفى الله تعالى من الكلام، رقم ١٠٦٧٦، ١/٦٠٢١٠.

(٣) سنن الترمذي، كتاب أبواب المناقب، باب في دعاء يوم عرفة، رقم ٣٥٨٥، ٥/٥٧٢.

(٤) مسند الشهاب لمحمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة

الرسالة - بيروت، ط/٢: ١٤٠٧ - ١٩٨٦، رقم ٤٤، ١/١٦.

٢- قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ٢ ، نتكلم عن التقوى في ثلاثة فصول. الأول: في فضائلها المستنبطة من القرآن، وهي خمس عشرة: الهدى كقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ٢، والنصرة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ النحل: ١٢٨، والولاية لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَى الْمُتَّقِينَ﴾ الجاثية: ١٩، والمحبة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ التوبة: ٤، والمغفرة لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ الأنفال: ٢٩، والمخرج من الغم والرزق من حيث لا يحتسب لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ الطلاق: ٢، ٣، وتيسير الأمور لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ الطلاق: ٤، وغفران الذنوب وإعظام الأجر لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ الطلاق: ٥ وتقبل الأعمال لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ المائدة: ٢٧، والفلاح لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ البقرة: ١٨٩، والبشرى لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يونس: ٦٣ - ٦٤، ودخول الجنة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ القلم: ٣٤، والنجاة من النار لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ مريم: ٧٢.

الفصل الثاني: البواعث على التقوى عشرة: خوف العقاب الأخروي، وخوف العقاب الدنيوي، ورجاء الثواب الدنيوي، ورجاء الثواب الأخروي، وخوف الحساب، والحياء من نظر الله، وهو مقام المراقبة، والشكر على نعمه بطاعته، والعلم لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر: ٢٨، وتعظيم جلال الله، وهو مقام الهيبة.

الفصل الثالث: درجات التقوى خمس: أن يتقي العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام، وأن يتقي المعاصي والحرمات وهو مقام التوبة، وأن يتقي الشبهات، وهو مقام الورع، وأن يتقي المباحات وهو مقام الزهد، وأن يتقي حضور غير الله على قلبه، وهو مقام المشاهدة^(١).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/ ٦٣ - ٦٤.

٣- قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة: ١٥٢، قيل اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب، وقيل اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك، وقد أكثر المفسرون، لا سيما المتصوفة في تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معاني مخصوصة، ولا دليل على التخصيص، وبالجمل، فهذه الآية بيان لشرف الذكر وبينها قول رسول الله ﷺ كما يرويه عن ربه: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه: ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ: ذكرته في ملأ خير منهم^(١). والذكر ثلاثة أنواع: ذكر بالقلب، وذكر باللسان، وبهما معا، واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة، وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال: كالصلاة وغيرها فإن ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى. والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه:

الأول: النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال، قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله»^(٢). وسئل رسول الله ﷺ: «أي الأعمال أفضل؟ قال: ذكر الله»^(٣)، قيل الذكر أفضل أم الجهاد في سبيل الله؟ فقال: «لو ضرب المجاهد بسيفه في الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دما لكان الذاكر أفضل منه»^(٤). الوجه الثاني: أن الله تعالى حيث ما أمر بالذكر، أو أتى على الذكر: اشترط فيه الكثرة، فقال: ﴿أذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٤١، ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٥، ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال.

الوجه الثالث: أن للذكر مزية هي له خاصة وليست لغيره وهي الحضور في الحضرة

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/٦٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه، رقم ٧٤٠٥، ١٨/٤١٩.

(٣) مسند أحمد رقم ٢١٧٠٢ مسند أبي الدرداء ﷺ، ٣٦/٣٦.

(٤) شعب الإيمان للبيهقي، حديث موقوف عن بن عباس، فصل في ادامة ذكر الله عز وجل، رقم ١٨٧٢، ٢/٤٠١.

(٥) مسند احمد، مسند أبي سعيد الخدري ﷺ، رقم ١١٧٢٠، ١٨/٢٤٨ بلفظ: قلت: يا رسول الله أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: "الذاكرون الله كثيرا" قال: قلت: يا رسول الله، ومن الغازي في سبيل الله؟ قال: "لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر، ويختضب دما، لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة.

العلية، والوصول إلى القرب بالذي عبر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعية، فإنّ الله تعالى يقول: «أنا جليس من ذكرني»^(١)، ويقول: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني».

وللناس في المقصد بالذكر مقامان: فمقصد العامة اكتساب الأجور، ومقصد الخاصة القرب والحضور، وما بين المقامين بون بعيد. فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب، وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحاب.

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة: فمنها التهليل، والتسبيح، والتكبير، والحمد، والحوقة، والحسبة، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى، والصلاة على النبي ﷺ والاستغفار، وغير ذلك. ولكل ذكر خاصيته وثمرته. وأما التهليل: فثمرته التوحيد: أعني التوحيد الخاص فإنّ التوحيد العام حاصل لكل مؤمن، وأما التكبير: فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال، وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك: فثمرتها ثلاث مقامات، وهي الشكر، وقوة الرجاء، والمحبة. فإنّ المحسن محبوب لا محالة. وأما الحوقة والحسبة: فثمرتها التوكل على الله والتفويض إلى الله، والثقة بالله: وأما الأسماء التي معناها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك فثمرتها المراقبة. وأما الصلاة على النبي ﷺ فثمرتها شدة المحبة فيه، والمحافظة على اتباع سنته، وأما الاستغفار: فثمرته الاستقامة على التقوى، والمحافظة على شروط التوبة مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة. ثم إنّ ثمرة الذكر التي تجمع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرد وهو قولنا: الله، الله. فهذا هو الغاية وإليه المنتهى^(٢).

٤- قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ البقرة: ١٥٥، ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعا، وذلك لعظمة موقعه في الدين. قال بعض العلماء: كل الحسنات لها أجر محصور من

(١) مصنف بن ابي شيبة، كتاب الطهارات، باب الرجل يذكر الله وهو على الخلاء، رقم ١٢٢٤، ١/١٠٨.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/ ١٠١.

عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ الزمر: ١٠، وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة: أولها: المحبة، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٤٦. والثاني: النصر قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ البقرة: ١٥. والثالث: غرفات الجنة قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ الفرقان: ٧٥. والرابع: الأجر الجزيل قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ الزمر: ١٠، والأربعة الأخرى المذكورة في هذه الآية، ففيها البشارة، قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ البقرة: ١٥٥، والصلاة والرحمة والهداية قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ البقرة: ١٥٧، والصابرون على أربعة أوجه: صبر على البلاء، وهو منع النفس من التسخيط والهلع والجزع. وصبر على النعم وهو تقييدها بالشكر، وعدم الطغيان، وعدم التكبر بها. وصبر على الطاعة بالمحافظة والدوام عليها. وصبر عن المعاصي بكف النفس عنها، وفوق الصبر التسليم وهو ترك الاعتراض والتسخيط ظاهرا، وترك الكراهة باطنا، وفوق التسليم: الرضا بالقضاء، وهو سرور النفس بفعل الله وهو صادر عن المحبة، وكل ما يفعل المحبوب محبوب^(١).

٥- قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ اللَّهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ البقرة: ١٦٣، واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات الأولى: توحيد عامة المسلمين وهو الذي يعصم النفس من الهلاك في الدنيا، وينجي من الخلود في النار في الآخرة وهو نفي الشركاء والأنداد، والساحبة والأولاد، والأشباه والأضداد. الدرجة الثانية: توحيد الخاصة، وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال الحاصل لكل مؤمن، وإنما مقام الخاص في التوحيد يغني في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل، وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى الله والتوكل عليه وحده واطراح جميع الخلق، فلا يرجو إلا الله، ولا يخاف أحدا سواه إذ ليس يرى فاعلا إلا إياه^(٢).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/ ١٠٣.

(٢) المرجع نفسه ١/ ١٠٤.

٦- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ البقرة: ١٦٥، اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين: إحداهما: المحبة العامة التي لا يخلو منها كل مؤمن، وهي واجبة، والأخرى: المحبة الخاصة التي ينفرد بها العلماء الربانيون، والأولياء والأصفياء، وهي أعلى المقامات، وغاية المطلوبات، فإن سائر مقامات الصالحين: كالخوف، والرجاء، والتوكل، وغير ذلك فهي مبنية على حظوظ النفس، ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه، وأن الراجي إنما يرجو منفعة نفسه بخلاف المحبة فإنها من أجل المحبوب فليست من المعاوضة، واعلم أن سبب محبة الله معرفته فتقوى المحبة على قدر قوة المعرفة، وتضعف على قدر ضعف المعرفة، فإن الموجب للمحبة أحد أمرين: وكلاهما إذا اجتمع في شخص من خلق الله تعالى كان في غاية الكمال. الموجب الأول الحسن والجمال، والآخر الإحسان والإجمال، فأما الجمال فهو محبوب بالطبع، فإن الإنسان بالضرورة يحب كل ما يستحسن، والإجمال مثل جمال الله في حكمته البالغة وصنائه البديعة، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار، التي تروق العقول وتهيج القلوب، وإنما يدرك جمال الله تعالى بالبصائر، لا بالأبصار، وأما الإحسان فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وإحسان الله إلى عباده متواتر وإنعامه عليهم باطن وظاهر، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ إبراهيم: ٣٤، ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصي، والمؤمن والكافر، وكل إحسان ينسب إلى غيره فهو في الحقيقة منه، وهو المستحق للمحبة وحده. واعلم أن محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح من الجد في طاعته والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته والتلذذ بمناجاته، والرضا بقضائه، والشوق إلى لقائه والأنس بذكره، والاستيحاش من غيره، والفرار من الناس، والانفراد في الخلوات، وخروج الدنيا من القلب، ومحبة كل من يحبه الله وإيثاره على كل من سواه، قال الحارث المحاسبى: المحبة تسليمك إلى المحبوب كليتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك، ثم موافقته سرا وجهرا، ثم علمك بتقصيرك في حبه^(١).

٧- قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ آل عمران: ١٥٩، التوكل هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها، وفي دفع المضرات ورفعها بعد وقوعها،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١ / ١٠٥.

وهو من أعلى المقامات، لوجهين: أحدهما لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران: ١٥٩، والآخر: الضمان الذي في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ الطلاق: ٣، وقد يكون واجبا لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ المائدة: ٢٣، فجعله شرطا في الإيمان، والظاهر لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ آل عمران: ١٢٢، فإن الأمر محمول على الوجوب. واعلم أن الناس في التوكل على ثلاثة مراتب: الأولى: أن يعتمد العبد على ربه، كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذي لا يشك في نصيحته له، وقيامه بمصالحه.

والثانية: أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه، فإنه لا يعرف سواها، ولا يلجأ إلا إليها. والثالثة: أن يكون العبد مع ربه: كالميت بين يدي الغاسل، قد أسلم نفسه إليه بالكلية، فصاحب الدرجة الأولى له حظ من النظر لنفسه، بخلاف صاحب الثانية، وصاحب الثانية له حظ من المراد والاختيار بخلاف صاحب الثالثة. وهذه الدرجات مبنية على التوحيد الخاص الذي تكلمنا عليه في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّهُ وَحْدٌ﴾ البقرة: ١٦٣، فهي تقوى بقوته، وتضعف بضعفه، فإن قيل: هل يشترط في التوكل ترك الأسباب أم لا؟ فالجواب: أن الأسباب على ثلاثة أقسام: أحدهما: سبب معلوم قطعاً قد أجره الله تعالى: فهذا لا يجوز تركه: كالأكل لدفع الجوع، واللباس لدفع البرد. والثاني: سبب مظنون: كالتجارة وطلب المعاش، وشبه ذلك، فهذا لا يقدم فعله في التوكل؛ لأن التوكل من أعمال القلب، لا من أعمال البدن، ويجوز تركه لمن قوي عليه، والثالث: سبب موهوم بعيد، فهذا يقدم فعله في التوكل، ثم إن فوق التوكل التفويض وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية، فإن المتوكل له مراد واختيار، وهو يطلب مراده باعتماده على ربه، وأما المفوض فليس له مراد ولا اختيار، بل أسند المراد والاختيار إلى الله تعالى، فهو أكمل أدبا مع الله تعالى^(١).

٨- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: ١، إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة، وهو مقام شريف أصله علم وحال، ثم يثمر حالين: أما العلم: فهو معرفة العبد بأن الله مطلع عليه، ناظر إليه يرى جميع أعماله، ويسمع جميع أقواله، ويعلم

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ١/ ١٦٩.

كل ما يخطر على باله، وأما الحال: فهي ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه، ولا يغفل عنه، ولا يكفي العلم دون هذه الحال، فإذا حصل العلم والحال: كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين: الحياء من الله، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصي والجدّ في الطاعات، وكانت ثمرتها عند المقرّبين: الشهادة التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال، وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله ﷺ بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١) فقوله أن تعبد الله كأنك تراه: إشارة إلى الثمرة الثانية، وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم: كمن يشاهد ملكا عظيما، فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة، وقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك: إشارة إلى الثمرة الأولى ومعناه إن لم تكن من أهل المشاهدة التي هي مقام المقرّبين، فاعلم أنه يراك، فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين، فلما فسر الإحسان أول مرة بالمقام الأعلى رأى أنّ كثيرا من الناس قد يعجزون عنه، فنزل عنه إلى المقام الآخر، واعلم أن المراقبة لا تستقيم حتى تتقدّم قبلها المشاركة والمرابطة، وتتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة، فأما المشاركة: فهي اشتراط العبد على نفسه بالترام الطاعة وترك المعاصي، وأما المرابطة فهي معاهدة العبد لربه على ذلك، ثم بعد المشاركة والمرابطة أول الأمر تكون المراقبة إلى آخره، وبعد ذلك يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عاهد عليه الله: حمد الله، وإن وجد نفسه قد حل عقد المشاركة، ونقض عهد المرابطة، عاقب النفس عقابا يزرعها عن العودة إلى مثل ذلك، ثم عاد إلى المشاركة والمرابطة وحافظ على المراقبة، ثم اختبر بالمحاسبة، فهكذا يكون حتى يلقي الله تعالى^(٢).

٩- قال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الأعراف: ٥٦ ، جمع الله الخوف والطمع ليكون العبد خائفا راجيا، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ الإسراء: ٥٧ موجب الخوف معرفة سطوة الله وشدة عقابه، وموجب الرجاء معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه، قال تعالى: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿ الحجر: ٥٠، ٤٩ ، ومن عرف فضل الله رجاءه، ومن عرف عذابه خافه، ولذلك جاء في

(١) صحيح البخاري، كتاب الايمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الاسلام والايمان والاحسان ، رقم ٥٠ ، ٥٤/١.

(٢) التسهيل لعوم التنزيل لابن جزى ١ / ١٧٦.

الحديث، « لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا »^(١)، إلا أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره يغلب عليه الخوف ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات وأن يغلب عليه الرجاء عند حضور الموت لقوله ﷺ: « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى »^(٢)، واعلم أن الخوف على ثلاث درجات: الأولى أن يكون ضعيفا يخطر على القلب ولا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر، فوجود هذا كالعدم، والثانية أن يكون قويا فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة، والثالثة أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط واليأس وهذا لا يجوز، وخير الأمور أوسطها، والناس في الخوف على ثلاث مقامات: فخوف العامة من الذنوب، وخوف الخاصة من الخاتمة، وخوف خاصة الخاصة من السابقة، فإن الخاتمة مبنية عليها، والرجاء على ثلاث درجات: الأولى: رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعة وترك معصية، فهذا هو الرجاء المحمود، والثانية: الرجاء مع التفريط والعصيان فهذا غرور، والثالثة: أن يقوى الرجاء حتى يبلغ الأمن، فهذا حرام، والناس في الرجاء على ثلاث مقامات: فمقام العامة رجاء ثواب الله، ومقام الخاصة رضوان الله، ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبا فيه وشوقا إليه^(٣).

١٠- قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ النور: ٣١، التوبة واجبة على كل مؤمن مكلف بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وفرائضها ثلاثة: الندم على الذنب من حيث عصي به ذو الجلال، لا من حيث أضر ببدن أو مال، والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توان، والعزم أن لا يعود إليها أبدا ومهما قضى عليه بالعود أحدث عزمًا مجددًا، وأدابها ثلاثة: الاعتراف بالذنب مقرونا بالانكسار، والإكثار من التضرع والاستغفار، والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات، ومراتبها سبع: فتوبة الكفار من الكفر، وتوبة المخطئين من الذنوب الكبائر، وتوبة العدول من الصغائر وتوبة العابدين من الفترات، وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات، وتوبة أهل الورع من الشبهات، وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات. وبواعث التوبة سبعة: خوف العقاب، ورجاء الثواب، والخجل من الحساب، ومحبة الحبيب، ومراقبة الرقيب القريب،

(١) حلية الأولياء لابي نعيم، والحديث موقوف على التابعي مطرف بن عبد الله الشخير ٢/٢٠٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى، رقم ٧٤١٠، ٨/١٦٥.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/ ٢٩٠.

وتعظيم بالمقام، وشكر الإنعام^(١).

١١- قال تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ البينة: ٥، استدل المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء، وهو بعيد؛ لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء، وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال، وهذا الإخلاص في التوحيد من الشرك الجليّ، وهذا الإخلاص في الأعمال من الشرك الخفيّ، وهو الرياء. قال رسول الله ﷺ: «الرياء الشرك الأصغر»^(٢)، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ إنه قال: «أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشريكه»^(٣).

واعلم أن الأعمال ثلاثة أنواع: مأمورات ومنهيات ومباحات، فأما المأمورات فالإخلاص فيها عبارة عن خلوص النية لوجه الله، بحيث لا يشوبها بنية أخرى، فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول، وإن كانت النية لغير وجه الله، من طلب منفعة دنيوية، أو مدح أو غير ذلك فالعمل رياء محض مردود، وإن كانت النية مشتركة ففي ذلك تفصيل وفيه نظر واحتمال. وأما المنهيات فإن تركها دون نية خرج عن عهدها، ولم يكن له أجر في تركها وإن تركها بنية وجه الله حصل له الخروج عن عهدها مع الأجر، وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك فإن فعلها بغير نية لم يكن فيها أجر، وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر، فإن كل مباح يمكن أن يصير قرينة إذا قصد به وجه الله مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام^(٤).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢/ ٦٨.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين للحاكم، كتاب الرقائق، رقم ٧٩٣٧، ٤/ ٣٦٥.

(٣) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من اشرك في عمله غير الله، رقم ٤٦، ٨/ ٢٢٣.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢/ ٥٠١.

المبحث الثاني:

تفسير الإمام بن الجوزي في السلوك.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: السلوك في تفسير الإمام بن الجوزي.

المطلب الثاني: مقامات التصوف عند الإمام بن الجوزي.

المطلب الثالث: المقارنة بين تفسير الإمامين في السلوك.

المطلب الأول:

السلوك في تفسير الإمام بن الجوزي.

تكلم بن الجوزي في السلوك والرقائق على ما يلي:

- تكلم في السلوك والرقائق فيما مر عليه من الآيات دون بيان ما يتعلق بها من تعريف وأقسام وبيان.

- لم يحدد ما يتكلم فيه من هذه المقامات بل تكلم في عموم ما مر عليه من الآيات.

- يتكلم في الرقائق بصورة مختصرة.

- يذكر الآية أو جزء منها ويذكر الأقوال.

- ما تكلم فيه يكون مخلوطاً بالإعراب أو بسبب النزول أو أبواب أخرى.

- لا يذكر المعنى العام للآية ولا مدلولها في الرقائق في الغالب ولعل فيما كتبه في

غيره من الكتب في الوعظ والرقائق دفعه إلى عدم البيان هنا أو أن التزامه بالاختصار من كتابه المغني دفعه لذلك.

- ما ذكره الإمام بن الجوزي في السلوك مقارنة بما ذكره بن جزي قد قسمته قسمين:

الأول: مقامات عامة: وهي غير مقامات التصوف الاثنتي عشر التي ذكرها بن جزي.

الثاني: مقامات التصوف الاثنا عشر ومقارنة الإمام بن الجوزي لها.

وهذه بعض المقامات العامة:

١- قال في الصدق: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة:

١١٩، في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في قصة الثلاثة المتخلفين. والثاني:

أنها في أهل الكتاب. والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في إيمانكم

بمحمد صلى الله عليه وسلم وكونوا مع الصادقين.

وفي المراد بالصادقين خمسة أقوال: أحدها: أنه النبي ﷺ وأصحابه، قاله ابن عمر. والثاني: أبو بكر وعمر، قاله سعيد بن جبير، والثالث: أنهم الثلاثة الذين خلفوا، صدقوا النبي ﷺ عن تأخرهم، قاله السدي. والرابع: أنهم المهاجرون، لأنهم لم يتخلفوا عن رسول الله ﷺ في الجهاد، وقيل: إن أبا بكر الصديق احتج بهذه الآية يوم السقيفة، فقال: يا معشر الأنصار، إن الله يقول في كتابه: للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا إلى قوله تعالى: أولئك هم الصادقون من هم؟ قالت الأنصار: أنتم هم. قال: فإن الله تعالى يقول: اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فأمركم أن تكونوا معنا، ولم يأمرنا أن نكون معكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء. والخامس: أنه عام، قاله قتادة^(١).

٢- قال في الهداية: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ الفتح: ٢٠

ويهديكم صراطا مستقيما فيه قولان: أحدهما: طريق التوكل عليه والتفويض إليه، وهذا على القول الأول. والثاني: يزيدكم هدى بالتصديق بمحمد ﷺ فيما جاء به من وعد الله تعالى بالفتح والغنيمة^(٢).

٣- قال في الشكر: قال تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ البقرة: ١٥٢، الشكر:

الاعتراف بحق المنعم، مع الثناء عليه^(٣). وقال تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران: ١٤٤، وسيجزى أي: يثيب الشاكرين، وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الثابتون على دينهم، قاله علي عليه السلام، وقال: كان أبو بكر أمير الشاكرين. والثاني: أنهم الشاكرون على التوفيق والهداية. والثالث: على الدين^(٤).

٤- ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ط فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ آل عمران: ٣٢

في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن عبد الله بن أبي قال لأصحابه: إن محمداً يجعل طاعته كطاعة الله، ويأمرنا أن نحبه كما أحببت النصارى عيسى ابن مريم، فنزلت

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٣٠٩/٢.

(٢) المرجع نفسه ١٣٤/٤.

(٣) المرجع نفسه ١/١٢٣.

(٤) المرجع نفسه ١/٣٣٠.

هذه الآية، هذا قول ابن عباس. والثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا اليهود إلى الإسلام، فقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ونحن أشد حبا لله مما تدعوننا إليه، فنزلت قل إن كنتم تحبون الله ونزلت هذه الآية، هذا قول مقاتل. والثالث: أنها نزلت في نصارى نجران^(١).

٥- ﴿بَلْ لَهُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونَ﴾ البقرة: ١١٦

فأما القنوت فهو في اللغة بمعنيين: أحدهما: القيام. والثاني: الطاعة. والمشهور في اللغة والاستعمال أن القنوت: الدعاء في القيام، فالقانت: القائم بأمر الله. ويجوز أن يقع في جميع الطاعات، لأنه إن لم يكن قيام على الرجلين، فهو قيام بالنية. وقال ابن قتيبة: لا أرى أصل القنوت إلا الطاعة، لأن جميع الخلال من الصلاة، والقيام فيها والدعاء وغير ذلك يكون عنها. وللمفسرين في المراد بالقنوت هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الطاعة، قاله ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة، والثاني: أنه الإقرار بالعبادة، قاله عكرمة، والسدي. والثالث: القيام، قاله الحسن، وفي معنى القيام قولان: أحدهما: أنه القيام له بالشهادة بالعبودية. والثاني: أنه القيام بين يديه يوم القيامة. فان قيل: كيف عم بهذا القول وكثير من الخلق ليس له بمطيع؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن يكون ظاهرها ظاهر العموم، ومعناها معنى الخصوص. والمعنى: كل أهل الطاعة له قانتون. والثاني: أن الكفار تسجد ظلالم لله بالغدوات والعشيات، فنسب القنوت إليهم بذلك. والثالث: أن كل مخلوق قانت له بأثر صنعه فيه، وجري أحكامه عليه، فذلك دليل على ناله لربه^(٢).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١/ ٢٧٤.

(٢) المرجع نفسه ١/ ١٠٤.

المطلب الثاني:

مقامات التصوف عند الإمام بن الجوزي

حدد الإمام بن جزي مقامات التصوف حيث قام بشرحها وتوضيحها وتقسيمها وذكر أدلة من الكتاب والسنة عليها وحدد اثني عشر مقاماً وفيما ذكره الإكمام بن الجوزي من مقامات فهو لم يحدد ما يذكره من المقامات.

كذلك ما ذكره الإمام بن الجوزي من عرض لهذه المقامات في التصوف فعرضه - كما بيّنا - كان عرضاً مختصراً مخلوطاً بأقوال ولغة وغيرها في الغالب وهنا أنبّه إلى شبيئين:

الأول: قابلت ما كتب بن الجوزي بما تكلم به بن جزي من المقامات التي ذكرها لنعرف الفرق بينهما فيما كتبا فيه من هذه الرقائق والمقامات،

الثاني: لما كان المؤلف يذكر المعنى دون بسط وشرح في الغالب جمعت ما يتعلق بالموضوع بأكثر من آية في بعض المقامات، ونقف مع بعض الأمثلة:

١- قال في الحمد: قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة: ٢ ، واعلم أن الحمد: ثناء على المحمود، ويشاركه الشكر، إلا أن بينهما فرقا، وهو: أن الحمد قد يقع ابتداء للثناء، والشكر لا يكون إلا في مقابلة النعمة، وقيل: لفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، فتقديره: قولوا: الحمد لله. والحمد الثناء على الرجل بما فيه من كرم أو حسب أو شجاعة، وأشباه ذلك. والشكر: الثناء عليه بمعروف أولاكه، وقد يوضع الحمد موضع الشكر. فيقال: حمدته على معروفه عندي، كما يقال: شكرت له على شجاعته^(١).

٢- قال في التقوى: قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ٢، والهدى: الإرشاد، والمتقون: المحترزون مما اتقوه. وفرق شيخنا علي بن عبيد الله بين التقوى والورع، فقال: التقوى: أخذ عدة، والورع: دفع شبهة، فالتقوى: متحقق السبب، والورع:

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١/ ١٨.

مظنون المسبب^(١). و قال تعالى: ﴿ وَتَكَرَّرُوا فِيكَ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى ﴾ البقرة: ١٩٧، وللمفسرين في لباس التقوى عشرة أقوال: أحدها: أنه سمت الحسن. والثاني: العمل الصالح. والثالث: الإيمان فعلى هذا، سُمي لباس التقوى؛ لأنه يقي العذاب. والرابع: خشية الله تعالى. والخامس: الحياء. والسادس: ستر العورة للصلاة. والسابع: أنه الدرع، وسائر آلات الحرب. والثامن: العفاف. والتاسع: أنه ما يتقى به الحر والبرد. والعاشر: أن المعنى: ما يلبسه المتقون في الآخرة، خير مما يلبسه أهل الدنيا^(٢).

٣- قال في الذكر: قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ آل عمران: ١٩١، الذين يذكرون الله قياما وقعودا في هذا الذكر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذكر في الصلاة، يصلي قائما، فإن لم يستطع، فعلى جنب. الثاني: أنه الذكر في الصلاة وغيرها، وهو قول طائفة من المفسرين. والثالث: أنه الخوف، فالمعنى: يخافون الله قياما في تصرفهم وقعودا في دعوتهم، وعلى جنوبهم في منامهم^(٣).

٤- قال في الصبر: قال تعالى: ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ البقرة: ٤٥، الأصل في الصبر: الحبس، فالصابر حابس لنفسه عن الجزع. وسمي الصائم صابرا لحبسه نفسه عن الأكل والشرب والجماع، والمصبورة: البهيمة تتخذ غرضا. وقال مجاهد: الصبر ههنا: الصوم. وفيما أمروا بالصبر عليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أداء الفرائض. والثاني: أنه ترك المعاصي. والثالث: عدم الرئاسة، وهو خطاب لأهل الكتابين، ووجه الاستعانة بالصلاة أنه يتلى فيها ما يرغب في الآخرة، ويزهد في الدنيا^(٤). وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ البقرة: ٢١٤، معنى الآية: أن البلاء والجهد بلغ بالأمم المتقدمة إلى أن استبطنوا النصر لشدة البلاء، وقد دلت على أن طريق الجنة إنما هو الصبر على البلاء.

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١/ ٢٧.

(٢) المرجع نفسه ٢/ ١١٠.

(٣) المرجع نفسه ١/ ٣٦٠.

(٤) المرجع نفسه ١/ ٦١.

قالت عائشة: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله^(١). وقال حذيفة: أقر أيامي لعيني، يوم أرجع إلى أهلي فيشكون إلي الحاجة. قيل: ولم ذلك؟ قال: لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالخير»^(٢)، وإن الله ليحمي المؤمن من الدنيا، كما يحمي المريض أهله الطعام^(٣).

٥- قال في التوحيد: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ النساء: ١٢٥، قال بن عباس: خير الله بين الأديان بهذه الآية. وأسلم بمعنى: أخلص. وفي الوجه قولان: أحدهما: أنه الدين. والثاني: العمل. وفي الإحسان قولان: أحدهما: أنه التوحيد، قاله بن عباس. والثاني: القيام لله بما فرض الله. وفي اتباع ملة إبراهيم قولان: أحدهما: اتباعه على التوحيد والطاعة. والثاني: اتباع شريعته^(٤).

٦- قال في الحب: قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ البقرة: ١٦٥، وفي قوله: يحبونهم كحب الله قولان: أحدهما: أن معناه: يحبونهم كحب الذين آمنوا لله. والثاني: يحبونهم كمحبتهم لله، أي: يسوون بين الأوثان وبين الله تعالى في المحبة. والقول الأول ليس بشيء، والدليل على نقضه قوله: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ أي أشد حبا لله من أهل الأوثان لأوثانهم^(٥).

٧- قال في التوكل: قال تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ آل عمران: ١٢٢، فأما التوكل، فقال بن عباس: هو الثقة بالله. وقيل: هو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك، ويقال: فلان وكله تكلة، أي: عاجز، يكل أمره إلى غيره. وقال غيره: هو تفعل من الوكالة، يقال: وكلت أمري إلى فلان فتوكل به، أي: ضمنه، وقام به، وأنا متوكل عليه. وقال بعضهم: هو تفويض الأمر إلى الله ثقة بحسن تدبيره^(١).

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، رقم ٧٦٣٤، ٨/٢١٧.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي، باب في ذكر ما في الأوجاع والأمراض من الكفارات، ٩٦٤٨، ٧/٢٣١.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ١/ ١٧٩ والحديث في شعب الإيمان للبيهقي، باب الزهد وقصر الأمل، رقم ٩٩٦٨، ١٣/٧١.

(٤) المرجع السابق ١/ ٤٧٨.

(٥) المرجع السابق ١/ ١٣٠.

٨- قال في المراقبة: قال تعالى: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ هود: ٨٦، فيه أقوال: منها مراقبة الله خير لكم ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ما أمرت بمراقبتكم عند كيحكم لئلا تبخسوا^(٢).

٩- قال في الرجاء: قال تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ النساء: ١٠٤، وفي هذا الرجاء قولان: أحدهما: أنه الأمل، وهو إجماع أهل اللغة الموثوق بعلمهم. والثاني: أنه الخوف، ولم نجد الخوف بمعنى الرجاء إلا ومعه جحد، فإذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرجاء والخوف، وكان الرجاء كذلك قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ نوح: ١٣، قال تعالى: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ الجاثية: ١٤^(٣). وقال في الخوف: قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ الزمر: ٢٣، وفي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: تقشعر من وعيده، وتلين عند وعده. والثاني: تقشعر من الخوف، وتلين من الرجاء. والثالث: تقشعر الجلود لإعظامه، وتلين عند تلاوته. وقال بعض أهل المعاني: مفعول الذكر في قوله تعالى: إلى ذكر الله محذوف؛ لأنه معلوم والمعنى: نطمئن قلوبهم إلى ذكر الله الجنة والثواب وهذا نعت أولياء الله، تقشعر جلودهم وتلين قلوبهم، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم^(٤).

١٠- قال في الإخلاص: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ ص: ٤٦، أخلصناهم أي: اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين، فأفردناهم بمفردة من خصال الخير ثم أبان عنها بقوله تعالى: ذكرى الدار. وفي المراد بالدار ها هنا قولان: أحدهما: الآخرة. والثانية: الجنة. وفي الذكرى قولان: أحدهما: أنها من الذكر، فعلى هذا يكون المعنى: أخلصناهم بذكر الآخرة، فليس لهم ذكر غيرها وقيل: هو الخوف الدائم في القلب^(٥).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١/٣٢٠.

(٢) المرجع نفسه ٢/٣٩٥.

(٣) المرجع نفسه ١/٤٦٤.

(٤) المرجع نفسه ٤/١٥.

(٥) المرجع نفسه ٣/٥٧٨.

المطلب الثاني:

المقارنة بين تفسير الإمامين في السلوك

ذكر الإمامان بن جزى وبن الجوزي في تفسيريهما الآيات التي تكلمت في السلوك وبيّنا معنى الآيات حيث إن الإمام بن جزى حدد مقامات التصوف ذكر منها اثنا عشر مقاماً وفيها بيّن التعريف والأقسام ودل على هذا التفريع بشواهد من القرآن والسنة ومن كلام السلف - رحمهم الله - وكان هذا البيان في هذه المقامات من أحسن ما تكلم فيه الإمام بن جزى، بينما الإمام بن الجوزي لم يحدد مقامات للبيان والتقسيم كابن جزى. كذلك تكلم الإمام بن جزى عن مقامات أخرى وقد كان يذكر المعنى بأسلوب مختصر واضح يذكر فيه المعنى الإجمالي، وبدل عليه من القرآن والسنة ويذكر فيها من أقوال السلف. بينما الإمام بن الجوزي يذكر المعنى ولكن دون الإمام بن جزى في البيان والإيضاح لأنه يذكر المعنى فيذكر أقوالاً فيها يذكر الأقوال في الغالب دون بيان المعنى الإجمالي أو توضيحها في المعنى العام، وقد يذكر المعنى ويذكر فيها من الأقوال في أسباب النزول والقراءات واللغة والإعراب وغيره، وقد يذكر المعنى العام للآية قليلاً. وهذه بعض الأمثلة:

١- قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة: ١١٩،
يحتمل أن يريد صدق اللسان إذا كانوا هؤلاء الثلاثة قد صدقوا ولم يعتذروا بالكذب، فنفعهم الله بذلك، ويحتمل أن يريد أعم من صدق اللسان، وهو الصدق في الأقوال والأفعال والمقاصد والعزائم، والمراد بالصادقين: المهاجرون لقول الله في الحشر: للفقراء المهاجرين، إلى قوله: هم الصادقون وقد احتج بها أبو بكر الصديق على الأنصار يوم السقيفة، فقال: نحن الصادقون، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا، أي تابعين لنا^(١). قال بن الجوزي: في المراد بالصادقين خمسة أقوال: أحدها: أنه النبي ﷺ وأصحابه، قاله بن عمر. والثاني: أبو بكر وعمر، قاله سعيد بن جبير، والضحاك. والثالث: أنهم الثلاثة الذين خلفوا، صدقوا النبي ﷺ عن تأخرهم، والرابع: أنهم المهاجرون، لأنهم لم يتخلفوا عن رسول الله ﷺ في

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى / ١ / ٣٥٠.

الجهاد، وقيل: إن أبا بكر الصديق احتج بهذه الآية يوم السقيفة، فقال: يا معشر الأنصار، إن الله يقول في كتابه: للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا إلى قوله تعالى: أولئك هم الصادقون من هم؟ قالت الأنصار: أنتم هم. قال: فان الله تعالى يقول: اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فأمركم أن تكونوا معنا، ولم يأمرنا أن نكون معكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء. والخامس: أنه عام^(١).

فقد ذكر الإمامان أن الصادقين في هذه الآية إما خاص وهم الصحابة عامة أو المهاجرين أو الثلاثة المتخلفين في العسرة وإما عام في المؤمنين كافة وهو ما رجحه الطبري فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، بالله ورسوله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ راقبوه بأداء فرائضه، وتجنب حدوده [وكونوا]، في الدنيا، من أهل ولاية الله وطاعته، تكونوا في الآخرة ﴿مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في الجنة. يعني: مع من صدق الله الإيمان به، فحقق قوله بفعله، ولم يكن من أهل النفاق فيه، الذين يكذب قيلهم فعلهم. وإنما معنى الكلام: وكونوا مع الصادقين في الآخرة بانتقاء الله في الدنيا، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ النساء: ٦٩^(٢).

وذكر السمرقندي القولين فقال: مع الذين صدقت نياتهم، واستقامت قلوبهم وأعمالهم، وخرجوا مع رسول الله ﷺ إلى الغزو بإخلاص نية، ويقال: هذا الخطاب للمنافقين الذين كانوا يعتذرون بالكذب، ومعناه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في العلانية ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أي مع الذين صدقوا. وروي عن كعب بن مالك^(٣) أنه قال: فينا نزلت: وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ وقال الكلبي: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ يعني: المهاجرين والأنصار الذين صلوا إلى القبليتين^(٤).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٣٠٨/٢.

(٢) جامع البيان للطبري ٥٥٨ / ١٤.

(٣) هو كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري الخزرجي السلمي شهد بيعة العقبة ولم يشهد بدرًا وتبوك آخى النبي ﷺ بينه وبين طلحة بن عبيد الله وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت حتى تاب الله عليهم وجرح يوم أحد عشر جراحات وكان من شعراء النبي ﷺ . انظر أسد الغابة لابن الأثير ١٨٩/٤.

(٤) بحر العلوم للسمرقندي ٩٧ / ٢.

وقد رجح بن كثير أنها عامّة في المؤمنين فقال: اصدقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله وتتجوا من المهالك ويجعل لكم فرجا من أموركم، ومخرجا^(١).

ورجح الشوكاني أنها عامّة في المؤمنين كافة فقال: هذا الأمر بالكون مع الصادقين بعد قصة الثلاثة فيه الإشارة إلى أن هؤلاء الثلاثة حصل لهم بالصدق ما حصل من توبة الله، وظاهر الآية الأمر للعباد على العموم^(٢).

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الْأَصْبَرِينَ﴾ البقرة: ١٥٥، قال بن جزي: أي نختبركم، وحيث ما جاء الاختبار في حق الله فمعناه: أن يظهر في الوجود ما في علمه، لتقوم الحجة على العبد، وليس كاختبار الناس بعضهم بعضا، لأن الله يعلم ما كان وما يكون، والخطاب بهذا الابتلاء للمسلمين، وقيل: لكفار قريش، والأول أظهر لقوله بعد هذا وبشر الصابرين بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَالْجُوعِ بِالْجَدْبِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ بِالْخَسَارَةِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ بِالْجَوَانِحِ، وقيل ذلك كله بسبب الجهاد^(٣).

وقال بن الجوزي: فأما الخوف فقال ابن عباس: وهو الفرع في القتال. والجوع: المجاعة التي أصابت أهل مكة سبع سنين. ونقص من الأموال: ذهاب أموالهم، والأنفس بالموت والقتل الذي نزل بهم، والثمرات لم تخرج كما كانت تخرج. وعن بعض أهل العلم: أن الخوف في الجهاد والجوع في فرض الصوم، ونقص الأموال: ما فرض فيها من الزكاة والحج ونحو ذلك. والأنفس: ما يستشهد منها في القتال، والثمرات: ما فرض فيها من الصدقات. وبشر الصابرين على هذه البلاوي بالجنة. واعلم أنه إنما أخبرهم بما سيصيبهم، ليوطنوا أنفسهم على الصبر، فيكون ذلك أبعد لهم من الجزع^(٤).

فقد ذكر الإمامان أن الابتلاء الذي يحل بالناس إما على الكفار وإما على المؤمنين وهو ما رجحه الإمام بن جزي أن البلاء في هذه الآية على المؤمنين وهذا البلاء عام في الحياة أو أن ما لحقهم من البلاء بسبب الجهاد وهو ما ذكره الإمام بن الجوزي كذلك.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٣٠/٤

(٢) فتح القدير للشوكاني ٤٧١/٢.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١٠٣/١.

(٤) زاد المسير لابن الجوزي ١٢٤/١.

وبهذا القول ذكر المفسرون أن البلاء ينزل على المؤمنين امتحاناً لهم.
فقال بن كثير: أخبر تعالى أنه يبثلي عباده المؤمنين أي: يختبرهم ويمتحنهم، فتارة بالسراء، وتارة بالضراء من خوف وجوع، وقال هاهنا {بشيء من الخوف والجوع} أي: بقليل من ذلك {ونقص من الأموال} أي: ذهاب بعضها {والأنفس} كموت الأصحاب والأقارب والأحباب {والثمرات} أي: لا تغل الحقائق والمزارع كعادتها^(١).

وقال السمرقندي: ولنبلونكم، يعني المؤمنين بشيء من الخوف والجوع. يقول: لنختبرنكم بخوف العدو، وهو الخوف الذي أصابهم يوم الخندق، حتى بلغت القلوب الحناجر والجوع وهو القحط الذي أصابهم، فكان يمضي على أحدهم أياما لا يجد طعاما. ونقص من الأموال، يعني ذهاب أموالهم، ويقال موت الماشية. والأنفس، يعني الموت والقتل والأمراض. والثمرات نقصان الثمرات، فلا تخرج الثمرات كما كانت تخرج أو تصيبها الآفة. ويقال: موت الثمرات هو موت الولد وهو ثمرة القلب. ثم قال: وبشر الصابرين، يعني الذين يصبرون على هذه المصائب والشدائد التي ذكرنا^(٢).

وقال بن عطية: معناه لنتحننكم، والخوف يعني من الأعداء في الحروب، والجوع الجذب والسنة، ونقص الأموال: بالجوائح والمصائب، والأنفس: بالموت والقتل، والثمرات: بالعاهات ونزع البركة، وقال بعض العلماء: إنما المراد في هذه الآية مؤن الجهاد وكلفه، فالخوف من العدو والجوع به وبالسفار إليه ونقص الأموال بالنفقات فيه والأنفس بالقتل والثمرات بإصابة العدو لها أو بالغفلة عنها بسبب الجهاد^(٣).

فذكر المفسرون أن الابتلاء يكون على المؤمنين ويكون عام في النفس والمال والتمر ويكون عام في الحياة أو في الجهاد خاصة.

وهذا واضح من خلال الآية وهو أن الله تعالى ذكر البلاء أنه على المؤمنين وخصوصاً أنه ذيل الآية بقوله [وبشر الصابرين] فيكون بيان الآية أن الخطاب للمؤمنين وأن الله أراد اختبارهم بأنواع البلاء، بالجهاد وغيره وأن النتيجة هو البشارة للصابر المحتسب.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٦٧.

(٢) بحر العلوم للسمرقندي ١/ ١٠٥.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٢٢٧.

الفصل الرابع

القصص

وفيه مبحثان

المبحث الأول: أسباب النزول

المبحث الثاني: الإسرائيليات

المبحث الأول

أسباب النزول

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: أهمية أسباب النزول وصيغها وفوائدها

المطلب الثاني: منهج بن جزى في أسباب النزول

المطلب الثالث: منهج بن الجوزي في أسباب النزول

المطلب الرابع: المقارنة بين تفسير الإمامين في أسباب النزول

المطلب الأول:

أهمية أسباب النزول وصيغها وفوائدها

تعريفها:

الأسباب في اللغة: جمع سبب، والسبب: كل شيء يتوصل به إلى غيره، أو كل شيء يتوصل به إلى شيء غيره، وقد تسبب إليه، والجمع أسباب؛ وكل شيء يتوصل به إلى الشيء، فهو سبب^(١). والنزول مصدر نزل: النزول: الحلول، وقد نزلهم ونزل عليهم ونزل بهم ينزل نزولاً.

وفي الاصطلاح: هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، والمعنى أنّ حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال^(٢). أو معرفة ما نزلت الآية أو الآيات بسببه متضمنة له أو مجيبة عنه أو مبينة لحكمه زمن وقوعه^(٣).

أهمية أسباب النزول:

لما كان رسول الله ﷺ مبلغاً عن ربه بما أمره به كانت أحداث ووقائع تأتي للنبي ﷺ لا يعرف حلّها وأسئلة تقابله لا يعلم جوابها وهذه الأحداث متجددة بتجدد الزمان والمكان بناء على معاش الناس في معترك الحياة - وحاشاه ﷺ أن يكذب - لم يكن بد من انتظار خبر السماء ليبيّن له الحل في الحدث، والجواب عن السؤال، والتوجيه لما يطلب منه، وحينها يبلغ رسول الله ﷺ ما أمره من البلاغ المبين. ومن هنا يتبين لنا أن علاقة سبب النزول بتفسير القرآن؛ لأن القرآن لما بيّن الحل، وأجاب عن السؤال، بيّن أن هذا الحل أو الجواب هو نفسه لكل حدث يتجدد إلى يوم القيامة، والمخاطب الأول هو النبي ﷺ وأصحابه وهم الحجّة في صورة تنفيذ الأمر وفهم الجواب الذي نزل من الله ﷻ ولذلك من يأتي من بعد يخاطب بالخطاب الأول لفهم النص في ضوء الظرف الذي نزل به.

(١) لسان العرب لابن منظور ١/ ٤٥٨.

(٢) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ١٠٦.

(٣) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ١٣١.

قال الزركشي: "لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"^(١). وقال الواحدي^(٢): وهي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدّوا في الطلب، وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في هذا العلم بالنار^(٣).

ولولا بيان أسباب النزول لأباح الناس لأنفسهم التوجه في الصلاة إلى الناحية التي يرغبون، عملاً بالمتبادر من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ البقرة: ١١٥. في نفر من المؤمنين صلوا مع النبي ﷺ في ليلة مظلمة فلم يدروا كيف القبلة، فصلى كل رجل منهم على حاله^(٤).

ومعرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن؛ لأن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع ورأي بن عمر^(٥) في الحرورية؟: يراهم شرار خلق الله إنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين. ومعرفة سبب النزول طريق قوي في فهم

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٨٧/١.

(٢) هو الإمام العلامة، الأستاذ، أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي صاحب التفسير وإمام علماء التأويل من أولاد التجار. وأصله من ساوه، صنف التفسير الثلاثة: البسيط والوسيط والوجيز. وكتاب أسباب النزول وكتاب التخبير في الأسماء الحسنى وكان طويل الباع في العربية واللغات. وله أيضاً: كتاب الدعوات وكتاب المغازي وكتاب الإغراب في الإعراب وكتاب تفسير النبي ﷺ وكتاب "نفي التحريف عن القرآن الشريف". تصدر للتدريس مدة وعظم شأنه. وله شعر رائع. مات بنيسابور في جمادى الآخرة، سنة ثمان وستين وأربع مائة، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣ / ٤٥٣.

(٣) أسباب النزول للواحدى ٨/١.

(٤) رواه الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في رجل يصلي لغير القبلة في الغيم، رقم ٣٤٥، ١٧٦/٢.

(٥) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم ورده النبي ﷺ يوم بدر لصغر سنّه وكانت أول مشاهدة الخندق وشهد مؤتة مع جعفر بن أبي طالب وكان كثير الاتباع لآثار النبي ﷺ حتى أنه ينزل منازلهم ويصلي في كل مكان صلى فيه، وكان شديد التوقي لدينه في الفتوى واعتزل الفتنة بين الصحابة وكان كثير الحج والصدقة توفي سنة أربع وسبعين وعمره ست وثمانين سنة. انظر أسد الغابة ٣/٢٤١.

معاني القرآن^(١). وقال بن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث معرفة المسبب^(٢).

معرفة أسباب ال نزول:

- لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلاب، وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل في هذا العلم بالنار^(٣).

- جرت عادة المفسرين أن يبدووا بذكر سبب النزول^(٤).

- ليس من أسباب النزول الإخبار عن الوقائع الماضية كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك^(٥).

- المعول عليه في أسباب النزول هم الصحابة ومن أخذ عنهم من التابعين^(٦).

- تفسير الصحابي له حكم المرفوع، إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول، وكل ما ليس للرأي فيه مجال. فلا يجوز رده اتفاقاً، بل يأخذه المفسر ولا يعدل عنه إلى غيره بأية حال^(٧). فإذا أخبر الصحابي عن سبب وقع في عهد النبي ﷺ أو أخبر عن نزول آية فيه فيه فذلك مسند، وإن كان سبب النزول مرسلأ أي لم يذكر فيه الصحابي، فاشتراط السيوطي لقبوله شرطين بعد صحة سنده:

الأول: أن يكون راويه معروفاً بأن لا يروي إلا عن الصحابة.

الثاني: أن يرد له شاهد مرسل أو متصل ولو ضعيفاً^(٨).

(١) نزول القرآن الكريم وتاريخه وما يتعلق به، للدكتور محمد عمر حويه، ط: مجمع الملك فهد، ٥٠.

(٢) مقدمة في اصول التفسير لابن تيمية ١١.

(٣) اسباب النزول للواحي ٨/١.

(٤) البرهان في علوم القرآن ٣٤/١.

(٥) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/٩٢-٩٤.

(٦) المرجع السابق ٦٩.

(٧) التفسير والمفسرون للذهبي ٧٣/١.

(٨) اسباب النزول للواحي ٢٢/١.

- إذا تعددت الروايات في أسباب النزول، وكانت كلها صحيحة صريحة جمع بينها إن كانت متقاربة في الزمان، فتكون كلها أسباباً لنازل واحد، وكما تتعدّد الأسباب لنازل واحد، قد يتعدّد النازل لسبب واحد، فينزل لهذا السبب آيتان فأكثر في موضعين فأكثر^(١).
- ليست معاني الألفاظ والآيات مقصورةً على أسباب النزول. فقولهم: نزلت في كذا وكذا، معناه: أن هذا مما يدخل فيها، ومن جملة ما يراد بها، فإن القرآن إنما نزل لهداية أول الأمة وآخرها، حيث تكون وأنى تكون^(٢).

صيغ التعبير عن سبب النزول:

اختلفت الأساليب في التعبير عنه فتارة يعبرون بقولهم: سبب نزول الآية كذا، وهذا التعبير نص في السببية ولا يحتمل غيره.

وتارة لا تأتي العبارة صريحة بلفظ السببية، ولكن يؤتى بفاءٍ داخليةً على مادة نزول الآية عقب سرد الحادثة، وحكم هذا التعبير حكم الذي قبله.

وقد يأتي بصيغة سؤال يُسأل عنه رسول الله ﷺ فينزل عليه الوحي بجوابه من غير تعبير بلفظ النزول ولا دخول الفاء، غير أن السببية واضحة من المقام، وحكم ما قبلها.

وأخرى لا يؤتى بشيء مما سبق، بل يقال: نزلت هذه الآية في كذا، وهذه العبارة ليست نصاً في السببية، بل تحتمل السببية وتحتمل غيرها وهو أن هذا داخل في الآية وإن لم يكن السبب^(٣).

فوائد معرفة أسباب النزول:

- ١- معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم
- ٢- الوقوف على المعنى وهو طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز.
- ٣- قد يكون اللفظ عاماً ويقوم الدليل على التخصيص فإن محل السبب لا يجوز

(١) دراسات في علوم القرآن ١٦٢ لمحمد بكر اسماعيل ط٢ دار المنار ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط/١: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ١١.
(٣) اسباب النزول للواحي ٢٣/١.

إخراجه بالاجتهاد والإجماع^(١).

٤- تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية^(٢).

٥- بيان أن القرآن نزل من الله تعالى، وذلك لأن النبي ﷺ يسأل عن الشيء، فيتوقف عن الجواب فينزل الوحي مبينا له. فعن ابن مسعود^(٣) : أن رجلا من اليهود قال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئا، فعلمت أنه يوحي إليه، فقامت مقامي، فنزل ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ الإسراء: ٨٥^(٤).

٦- معرفة أن سبب النزول غير خارج عن حكم الآية إذا ورد مخصص لها، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ النور: ٤، فلفظ الآية هنا عام ثم خصص بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ النور: ٥، لكن التخصيص للآية الأولى لا يشمل سبب نزولها وهو قذف عائشة - رضي الله عنها- فيبقى على عمومها بعدم قبول توبة من قذفها؛ لأن دخوله في لفظ الآية الأولى العام قطعي وإخراجه بما ورد في الآية الثانية اجتهادي ظني والقطعي لا يخرج بالظني، قال ابن عباس: في قول الله ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ نزلت في عائشة خاصة^(٥).

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٤/١.

(٢) اسباب النزول للواحي ٢٠/١.

(٣) هو أبو عبد الرحمن عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن مخزوم الهذلي كان إسلامه قديماً أول الإسلام حين أسلم سعيد بن زيد وزوجته قبل إسلام عمر بن الخطاب فقال : لقد رأيتني سادس سنة ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا وهو أول من جهر بالقرآن في مكة ولما أسلم أخذه رسول الله ﷺ وكان يخدمه فكان يعرف بصاحب السواك والسواد هاجر الهجرتين إلى الحبشة والمدينة وصلى القبلتين وشهد كل غزوات النبي ﷺ وشهد اليرموك توفي سنة اثنين وثلاثين ودفن بالبقيع وعمره بضع وستين عاماً، انظر أسد الغابة ٢٨٦/٣.

(٤) اصول في التفسير لابن عثيمين والحديث في صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول الله تعالى { وما أوتيتم من العلم إلا قليلا}، رقم ١٢٥، ١٣٠/١.

(٥) دراسات في علوم القرآن الكريم لفهد بن عبد الرحمن الرومي، ١٤٥.

المطلب الثاني

تفسير الإمام بن جزي في أسباب النزول

- تكلم الإمام بن جزي عن الحديث وفيه أشار إلى أسباب النزول بقوله: "وأما الحديث فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه لوجهين: الأول: أن كثيرا من الآيات في القرآن نزلت في قوم مخصوصين، ونزلت بأسباب قضايا وقعت في زمن النبي ﷺ من الغزوات والنوازل ولا بد من معرفة ذلك ليعلم فيمن نزلت الآية وفيما نزلت ومتى نزلت"^(١).

- ذكر أسباب النزول بصيغته المتعددة.

- لم يوضح أسباب النزول في مقدمته بغير ما ذكره في الحديث في بيان منهجه، ولعله اكتفى بما بيّنه في منهجه بالحديث.

- ذكر فيه من الأحاديث باللفظ وبالمعنى وكذلك قد يذكر الحديث كاملا وقد يذكر جزء منه، وغالب ما ذكره بالمعنى وعند البحث عنه في مصدره ليس باللفظ المذكور.

- يذكر سببا لنزول الآية في الغالب، وقد يذكر سببين للآية. ومن الأمثلة على ذلك:

١- قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدَّىٰ أَنْ تَقَرَّرَٰ عَيْنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ﴾ الأحزاب: ٥١، سبب نزول هذه الآية ما وقع لأزواج النبي ﷺ من غيرة بعضهن على بعض^(٢).

٢- قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَيُّدُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ الحديد: ٢٩، وقد روي في سبب نزول الآية: أن اليهود افتخرت على المسلمين فنزلت الآية في الرد عليهم، وهو يقوي هذا القول، وروي أيضا أن سببها أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيهم الله أجرهم مرتين فنزلت الآية معلمة أن المسلمين مثلهم في ذلك^(٣).

٣- قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ النور: ٢٢،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١٧/١.

(٢) المرجع نفسه ١٥٦/٢.

(٣) المرجع نفسه ٣٥٠/٢.

نزلت الآية بسبب أبي بكر الصديق ﷺ حين حلف أن لا ينفق على مسطح^(١)، لما تكلم في حديث الإفك، وكان ينفق عليه لمسكنته ولأنه قريبه، وكان بن بنت خالته، فلما نزلت الآية رجع إلى مسطح النفقة والإحسان، وكفر عن يمينه^(٢).

٤- قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ الأحزاب: ٣٦ سببها أن رسول الله ﷺ خطب امرأة ليزوجها لمولاه زيد بن حارثة^(٣)، فكرهت هي وأهلها ذلك، فلما نزلت الآية قالوا: رضينا يا رسول الله^(٤).

٥- قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ الأنبياء: ٩٨ لما قرأها رسول الله ﷺ على قريش امتعضوا من ذلك، وقال عبد الله بن الزبير: أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال ﷺ هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم، فقال: خصمتك ورب الكعبة ألتت تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثني عليه خيرا، وقد علمت أن النصارى عبده، فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه، ففرحت قريش بذلك، وضحكوا وسكت النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ الأنبياء: ١٠١^(٥).

(١) هو مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي، وأمه أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها ربيعة بنت صخر بن عامر بن كعب، خالة أبي بكر الصديق. شهد مسطح بدرًا، وكان ممن خاض في الإفك على عائشة رضي الله عنها، فجلده النبي صلى الله عليه وسلم فيمن جلد في ذلك، وكان أبو بكر ينفق عليه، فأقسم أن لا ينفق عليه، فأنزل الله تعالى: ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة ... الآية، فعاد أبو بكر ينفق عليه. توفي سنة أربع وثلاثين، وهو ابن ست وخمسين سنة. انظر أسد الغابة ٣٨٠/٤.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٦٤/٢.

(٣) هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن مولى رسول الله ﷺ وحبّه أصابه سبأ في الجاهلية أغارت عليهم قبيلة بني القين فأخذوا زيداً وقدموا به سوق عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد فوهبته للنبي ﷺ بمكة قبل النبوة وهو بن ثمان سنين وكان يدعى زيد بن محمد لأنه اختار رسول الله ﷺ على أبيه بعدما وجده عنده فقال رسول الله ﷺ اشهدوا أن زيداً ابني أرثه ويرثني ، شهد بدرًا وكان البشير لأهل المدينة زوجه رسول الله ﷺ مولاته أم أيمن سيّره النبي ﷺ قائداً للحيش في مؤته وقتل في المعركة سنة ثمان للهجرة انظر أسد الغابة ١٣١/٢.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١٥٢/٢.

(٥) المرجع السابق ٢٦٢/٢.

٦- قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
ءَامِنِينَ﴾ الفتح: ٢٧، كان رسول الله ﷺ قد رأى في منامه عند خروجه إلى العمرة أنه
يطوف بالبيت هو وأصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون، وروى أنه أتاه ملك في
النوم فقال له: لتدخلن المسجد الحرام الآية: فأخبر الناس برؤياه ذلك، فظنوا أن ذلك يكون
في ذلك العام، فلما صده المشركون عن العمرة عام الحديبية قال المنافقون: أين الرؤيا،
ووقع في نفوس المسلمين شيء من ذلك، فأنزل الله تعالى: لقد صدق الله رسوله الرؤيا
بالحق أي تلك الرؤيا صادقة، وسيخرج تأويلها بعد ذلك، فاطمأنت قلوب المؤمنين وخرج
رسول الله ﷺ في العام المقبل، هو وأصحابه فدخلوا مكة واعتمروا، وأقاموا بمكة ثلاثة
أيام، وظهر صدق رؤياه وتلك عمرة القضاء^(١).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٢/٢٩١.

المطلب الثالث

تفسير الإمام بن الجوزي في أسباب النزول

يرى الباحث أن الإمام بن الجوزي سار في تفسيره على النحو التالي:

- لم يتكلم الإمام بن الجوزي في مقدمة كتابه عن أسباب النزول.
- ذكر في تفسيره لآيات القرآن الكريم أسباب النزول في مواطنها التي نزلت بسببها.
- يذكر أقوالاً متعددة في أسباب النزول في الغالب.
- يذكر أقوالاً في تحديد من نزلت فيهم الآية.
- في تحديده لمن نزلت الآية جعل بيانه وتوضيحه لصاحب الحدث أعظم من الحدث أو القصة ولعل في ذكره للشخص ما يسري في نفسية المؤرخ - باعتبار الإمام بن الجوزي مؤرخ وتاريخه المنتظم في أخبار الملوك والأمم مشهور معلوم - حينما يذكر الحدث فهو يكتب الحدث مستشعراً معرفة المخاطب للحدث فيذكره بصاحب الحدث، أو لعل في ذكره لصاحب الحدث فارق البيان في أن منهج المفسر غير منهج المؤرخ والمقام مقام تفسير وبيان، أو التزاماً منه بما شرط على نفسه من الاختصار اكتفى بذكر صاحب الحدث أو القصة دون تفاصيلها.
- يذكر في أسباب النزول أقوالاً وبعضها لا تتعلق بأسباب النزول، فقد يكون بيان معنى للآية من الحديث أو قصة مشابهة. وهذه بعض الأمثلة:

- ١- قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ البقرة: ١١، اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وهو قول الجمهور، منهم بن عباس، ومجاهد. والثاني: أن المراد بها قوم لم يكونوا خلقوا حين نزولها^(١).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١/٣٢.

٢- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الأعراف: ٢٠٤، اختلفوا في نزولها على خمسة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة المكتوبة، فقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم، فنزلت هذه الآية، قاله بن عباس، والثاني: أن المشركين كانوا يأتون رسول الله ﷺ إذا صلى، فيقول بعضهم لبعض: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه، فنزلت هذه الآية. والثالث: أن فتى من الأنصار كان كلما قرأ النبي ﷺ شيئاً، قرأ هو، فنزلت هذه الآية. والرابع: أنهم كانوا يتكلمون في صلاتهم أول ما فرضت، فيجيء الرجل فيقول لصاحبه: كم صليتم؟ فيقول: كذا وكذا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. والخامس: أنها نزلت تأمر بالإنصات للإمام في الخطبة يوم الجمعة، روي عن عائشة، وسعيد بن جبير، ومجاهد^(١).

٣- قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ النحل: ١٠٦، اختلفوا فيمن نزل على أقوال: أحدها: أنه نزل في عمار بن ياسر^(٢)، أخذه المشركون فعدبوه، فأعطاهم ما أرادوا بلسانه، رواه مجاهد عن بن عباس، وبه قال قتادة، والثاني: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ أَمْلَكْتُمْ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ النساء: ٩٧، كتب بها المسلمون الذين بالمدينة إلى من كان بمكة، فخرج ناس ممن أقر بالإسلام، فاتبعهم المشركون، فأدركوهم، فأكرهوهم حتى أعطوا الفتنة، فنزل قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ النحل: ١٠٦، رواه عكرمة عن بن عباس، وبه قال مجاهد.

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١٨٣/٢.

(٢) هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين المذحجي ثم العنسي، أبو اليقظان. وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام هو وأبوه وأمه وهو ممن عذب في الله واختلف في هجرته للحبشة وفي قوله عز وجل: من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، نزلت في عمار بن ياسر، أخذه المشركون فعدبوه فلم يتركوه، حتى سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه. فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله! ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير! قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئناً بالإيمان. قال: فإن عادوا لك فعد لهم وهاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا، وأحداً والخندق، وبيعة الرضوان مع رسول الله ﷺ شهد قتال مسيلمة واستعمله عمر على الكوفة وقال له رسول الله ﷺ تقتلك الفئة الباغية فقتل في صفين وكان عمره أربعاً وتسعين سنة. انظر أسد الغابة ٦٣١/٣.

والثالث: أنه نزل في عياش بن أبي ربيعة^(١)، كان قد هاجر فحلفت أمه ألا تستظل ولا تشبع من طعام حتى يرجع، فرجع، فأكرهه المشركون حتى أعطاهم بعض ما يريدون^(٢).

٤- قال تعالى: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ الأحزاب: ٥، قال ابن عمر: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزلت: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ﴾^(٣).
٥- قال تعالى: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ الأحزاب: ٢٣، اختلفوا على قولين: أحدهما: أنها نزلت في أنس بن النضر^(٤)، والثاني: أنها في طلحة بن عبيد الله^(٥).

٦- قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴾ النجم: ٣٣، اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنه الوليد بن المغيرة، وكان قد تبع رسول الله ﷺ على دينه، فغيره بعض المشركين، وقال: تركت دين الأشياخ وضللتهم؟ قال: إني خشيت عذاب الله، فضمن له إن هو أعطاه شيئاً من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله عز وجل، ففعل، فأعطاه بعض الذي ضمن له، ثم بخل ومنعه، فنزلت هذه الآية، والثاني: أنه النضر بن الحارث أعطى بعض فقراء المسلمين خمس قلائص حتى ارتد عن إسلامه، وضمن له أن يحمل عنه إثمه، والثالث: أنه أبو جهل، قال: والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق، والرابع: أنه العاص بن وائل وكان ربما وافق رسول الله ﷺ في بعض الأمور^(٦).

(١) هو عياش بن عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو أخو أبي جهل لأمه وبن عمه كان إسلامه قديماً قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم وهاجر إلى الحبشة ثم عاد وهاجر إلى المدينة ولما منع من الهجرة ظل النبي ﷺ يدعو لهم شهراً وقتل عياش يوم اليرموك . انظر أسد الغابة ٢١/٤.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٥٨٧/٢.

(٣) المرجع السابق ٤٤٨/٣.

(٤) هو أنس بن النظر بن ضمضم قتل يوم أحد شهيداً لما غاب عن قتال بدر، قال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين، والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون تقدم، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: أي سعد، هذه الجنة، ورب أنس أجد ريحها دون أحد، فقاتل، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ما بين ضربة بسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، ومثل به المشركون، فما عرفته أخته الربيع بنت النضر إلا ببنايه. وفيه قال رسول الله ﷺ: إن من عباد الله من لو قسم على الله لأبره. انظر: أسد الغابة ١/ ٣٠٠.

(٥) زاد المسير لابن الجوزي ٤٥٦/٣.

(٦) المرجع السابق ١٩١/٤.

المطلب الرابع

المقارنة بين تفسير الإمامين في أسباب النزول

ذكر الإمامان بن جزى وابن الجوزي من ضمن علوم القرآن في تفسيريهما ما يتعلق بأسباب النزول وغالباً ما يبدأ بذكره من بين علوم القرآن وهي مما بيّنه عامة المفسرين في بيان المعنى بسبب النزول.

وقد اتفق الإمامان في بيان سبب النزول على اختصار البيان في ذلك مع فارق أن الإمام بن جزى يذكر الحدث أو القصة بأسلوب أوضح مما تكلم فيه الإمام بن الجوزى لأن الإمام بن الجوزى كان يذكر سبب النزول ويركز على من نزلت فيه الآية دون توضيح الحدث أو القصة في الغالب، فامتاز الإمام بن جزى بتوضيح وبيان الحدث، بينما امتاز الإمام بن الجوزى ببيان من نزلت فيه الآية وتعدد الأقوال في ذلك.

كما اتفق الإمامان في تحديد الأقوال في من نزلت فيه الآية ولكن الإمام بن جزى يذكر في الغالب قولاً واحداً وقد يذكر قولين قليلاً، بينما الإمام بن الجوزى في معظم الآيات يذكر أقوالاً كثيرة، وقد يتكلم الإمام بن الجوزى في أسباب النزول فيدخل معنى الآية في أحد أسباب النزول.

كما اتفق الإمامان على الأحاديث المتعلقة بأسباب النزول فيذكران الحديث باللفظ أو بالمعنى أو كاملاً أو جزءاً منه وقد يذكران الحديث صحيحاً أو ضعيفاً.

وقد تكلم الإمامان بما تكلم به عامة المفسرين في أسباب النزول باعتباره نوعاً من أنواع التفسير لبيان معنى الآية من خلال الحدث الذي نزلت فيه. وهذه بعض الأمثلة:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَزَكَّى (٣) ﴾ عبس: ١ - ٤ ،

قال بن جزى: إن رسول الله ﷺ كان حريصاً على إسلام قريش، وكان يدعو أشرفهم إلى الله تعالى ليسلموا فيسلم بإسلامهم غيرهم، فبينما هو مع رجل من عظمائهم قيل: هو الوليد بن المغيرة وقيل: عتبة بن ربيعة وقيل: أمية بن خلف، وقال بن عباس: كانوا جماعة إذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعمى فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله،

وكرر ذلك وهو لا يعلم عنه بتشاغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطع الأعمى كلامه، فعبس وأعرض عنه، وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله ﷺ^(١).

وقال بن الجوزي: كان رسول الله ﷺ يوماً يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، وأمّية وأبياً ابني خلف، ويدعوهم إلى الله تعالى، ويرجو إسلامهم، فجاء بن أم مكتوم الأعمى، فقال: علمني يا رسول الله مما علمك الله، وجعل يناديه، ويكرر النداء، ولا يدري أنه مشتغل بكلام غيره حتى ظهرت الكراهية في وجهه ﷺ لقطعه كلامه، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبل على القوم يكلمهم، فنزلت هذه الآيات^(٢).

وقال بن كثير: ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطب بعض عظماء قريش، وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل بن أم مكتوم - وكان ممن أسلم قديماً - فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ويلح عليه، وود النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك ليمكن من مخاطبة ذلك الرجل؛ طمعا ورغبة في هدايته. وعبس في وجه بن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر^(٣).

وقال السمرقندي: كان النبي ﷺ جالساً، ومعه عتبة بن ربيعة، في ناس من وجوه قريش، وهو يحدثهم بحديث. فجاء بن أم مكتوم على تلك الحال، فسأله عن بعض ما ينفع به، فكره النبي ﷺ أن يقطع كلامه، فقال: يا رسول الله، علمني مما علمك الله تعالى. فأعرض عنه شغلاً بأولئك القوم، لحرصه على إسلامهم فنزل عَبَسَ وَتَوَلَّى^(٤).

وقال أبو السعود: روي أن بن أم مكتوم أتى رسول الله ﷺ وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمّية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه الصلاة والسلام بالقوم

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٤٥٢/٢.

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٩٩/٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣١٩/٨.

(٤) بحر العلوم للسمرقندي ٥٤٦/٣.

فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه وعبس اعرض عنه^(١).

وقد تكلم غيرهم في سبب نزول هذه الآية بما تكلم فيه هؤلاء مع فارق بعض البيان والتوضيح للحدث حينما قال أحدهم وكان قد أسلم من قبل وإنما جاء ليتعلم، وقال آخر لم يكن يعلم أن رسول الله ﷺ مع وجهاء قريش وغير ذلك، وبعضهم عدّ صناديد قريش وبعضهم لم يذكرهم.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٩ / ١٠٧.

المبحث الثاني

الإسرائيليات

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: تعريفها، وحكمها، ودخولها التفسير

المطلب الثاني: تفسير بن جزي في الإسرائيليات

المطلب الثالث: تفسير بن الجوزي في الإسرائيليات

المطلب الرابع: المقارنة بين تفسير الإمامين في الإسرائيليات

المطلب الأول

تعريفها وحكمها وكيفية دخولها التفسير

تعريفها:

أصل الإسرائيليات من لفظ إسرائيل وهو سيدنا يعقوب - كما ذكر الطبري^(١)، وبين كثير^(٢) - بن اسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ومن يعقوب جاء اليهود وسموا بني إسرائيل نسبة إليه حتى جاء منهم سيدنا موسى الكليم عليه الصلاة والسلام وقد كرمه الله بنزول التوراة عليه وعلمه من أخبار الغيب ممن سبقوه من الأنبياء وأممهم وعن الكون وغيره. ومع تحريف التوراة من قبل اليهود إلا أنها ظلت فيها بعض الأخبار الصحيحة التي لم تتلها أيدي العابثين من الأخبار والأحكام.

وجاء سيدنا عيسى المسيح عليه الصلاة والسلام رسولا إلى بني إسرائيل وأوحى الله إليه الإنجيل وعلمه من أخبار الغيب من أخبار السابقين وعن الكون وغيره لكن أيدي العابثين نالت منها بالتحريف والتبديل وظلت بعض النصوص من الأخبار والأحكام التي لم تتلها العبث والتغيير. قال بن كثير: "يعقوب هو إسرائيل الذي ينتسب إليه سائر أسباطهم فكانت فيهم النبوة، وكثروا جدا بحيث لا يعلم عددهم إلا الذي بعثهم، واختصهم بالرسالة والنبوة حتى ختموا بعيسى بن مريم من بني إسرائيل"^(٣).

من جهة أخرى خلق الله النفوس ميالة إلى حب القصص ومتابعة تفاصيلها، وهي تسمع للحدث أن تتابع أخباره حتى النهاية.

ولقد كانت العرب قبل الإسلام أمة أمية لا تعرف من أخبار الغيب شيء ولا من أحداث الماضي والمستقبل وإنما كانت تسمع من أهل الكتاب هذه الأخبار وخصوصا من اليهود الذين كانوا يعايشونهم وسط المجتمعات العربية فيحدثونهم بهذه الأخبار، قال بن خلدون: "السبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم. وإنما غلبت عليهم البداوة

(١) تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري، دار التراث - بيروت، ط/٢: ١٣٨٧ هـ، ١/٣١٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١/٣٦٦.

(٣) المرجع السابق ١/٣٨٥.

والأُمِّيَّة، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تشوق إليه النفوس البَشَريَّة في أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم^(١).

حتى أكرم الله البشرية بمبعث محمد ﷺ الذي ختم الله به الرسالات ونسخ به الشرائع وشرفه بالقرآن العظيم وتكفل بحفظه من أيدي العابثين فأتى بأخبار السابقين مما أطلعه الله على أخبار الأنبياء والأمم وعن أخبار الكون وغيره من أخبار الغيب.

تطابقت بعض الأخبار من الكتب السماوية الثلاثة والتي تتحدث عن أخبار الأمم السابقة عن الكون وغيره وكان الفارق في التوصيف أن التوراة والإنجيل جاءت أخبارها تحمل تفاصيل الحدث وتحديد الزمان والمكان والأسماء وسير القصة أكثر مما جاء في القرآن الكريم باعتبار أن القرآن جاء في ذكره للقصة بأخذ الدروس والعبر من الحدث.

أما التوراة فإنها تتعرض مع شروحيها للتفاصيل والجزئيات، وكذلك الإنجيل^(٢)، ونظراً لاتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في ذكر بعض المسائل، مع فارق واحد، هو الإيجاز في القرآن، والبسط والإطناب في التوراة والإنجيل^(٣).

وحينها كان بعض الصحابة يسمعون لليهود عن هذه التفاصيل التي لم تكن موجودة في القرآن الكريم من جهة ومن جهة ثانية فقد دخل في الإسلام بعض هؤلاء اليهود وكان عندهم هذه الأخبار كعبدالله بن سلام^(٤) وغيره. قال الذهبي: "فإن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره فكثر النقل عنه، وذلك لكثرة أهله، وظهور أمرهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم ودخل

(١) التفسير والمفسرون للذهبي ١/١٣٠.

(٢) مباحث في علوم القرآن للقطان ٣٦٥.

(٣) علوم القرآن عند بن عبد البر للقطاني ١٥٤.

(٤) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري. كان حليفا لهم من بني قينقاع، وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وكان اسمه في الجاهلية الحصين، فسماه رسول الله ﷺ حين أسلم عبد الله. وكان إسلامه لما قدم النبي ﷺ المدينة مهاجراً. قال: إنه كان اسمي في الجاهلية فلان، فسماني رسول الله ﷺ عبد الله، ونزلت في آيات من كتاب الله عز وجل نزل في: {وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم} ، ونزل في: {قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب} توفي سنة ثلاث وأربعين. انظر أسد الغابة ٣/٢٦٥.

الناس في دين الله أفواجاً»^(١).

حكم الإسرائيليات:

قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ الكهف: ٢٢، قال بن تيمية: "اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا. فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعف القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدل على صحته، إذ لو كان باطلاً لردّه كما ردّهما، ثم أرشد إلى أن الاطلاع على عدّتهم لا طائل تحته، فيقال في مثل هذا: ﴿ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ﴾، فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه فهذا قال: ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا ﴾ أي: لا تُجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك، فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب"^(٢).

وقد أتى عمر النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه، فغضب، قال: « لقد جئتمكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق، فتكذبوا به، أو بباطل، فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني»^(٣). وقال الشافعي في حديث: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»^(٤): من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجوز التحدث بالكذب فالمعنى: حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود: أين جهنم؟ فقال: البحر. فقال: ما أراه إلا صادقا، قال تعالى: ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ الطور: ٦، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ التكويد: ٦^(٥).

قال بن كثير: قوله ﷺ « بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، وحدثوا عني ولا تكذبوا علي، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار». فهو محمول على الإسرائيليات المسكوت عنها عندنا، فليس عندنا ما يصدقها ولا ما يكذبها

(١) التفسير والمفسرون للذهبي ١/١٥٠.

(٢) فتاوى بن تيمية ٣٦٧/١٣

(٣) مسند احمد، مسند جابر بن عبدالله ﷺ، رقم ١٤٦٣١، ٤٦٨/٢٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الانبياء، باب ما ذكر عن بني اسرائيل، رقم ٣٢٧٤، ١٧٠/٤.

(٥) شعب الإيمان للبيهقي، باب دار المؤمنين ومأواهم الجنة ودار الكافرين ومآبهم النار، رقم ٣٦٨، ٣٣٣/١.

فيجوز روايتها للاعتبار^(١). فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا إليه استغناء بما عندنا، وما شهد له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردود لا يجوز حكايته إلا على سبيل الإنكار والإبطال^(٢).

قال بن تيمية: "ومعلوم أن هذه الإسرائيليات ليس لها إسناد ولا يقوم بها حجة في شيء من الدين إلا إذا كانت منقولة لنا نقلا صحيحا مثل ما ثبت عن نبينا أنه حدثنا به عن بني إسرائيل ولكن منه ما يعلم كذبه"^(٣). وقال: "ولكن الإسرائيليات إذا ذكرت على طريق الاستشهاد بها لما عرف صحته لم يكن بذكرها بأس"^(٤). وقال: "ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ الكهف: ٢٢^(٥).

ومن خلال هذه النصوص والأقوال التي ذكرت عند العلماء أنها ليست على درجة واحدة بل هي ثلاثة أقسام، ولكل قسم حكم.

القسم الأول: ما علمنا صحته مما بأيدينا من القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ المائدة: ٤٨، فيجوز ذكره، وروايته للاستشهاد به، وإقامة الحجة عليهم من كتبهم في قوله ﷺ: « وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ».

القسم الثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه، وذلك مثل: ما ذكره في قصص الأنبياء، من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء عليه الصلاة والسلام، كقصة يوسف، وداود، وسليمان ومثل ما ذكره في توراتهم من أن الذبيح إسحاق، لا إسماعيل، فهذا لا تجوز روايته وذكره إلا مقترنا ببيان كذبه، وأنه مما حرفوه، وبدلوه، قال تعالى: ﴿ مَنْ الَّذِينَ

(١) إشارة إلى كتابه البداية والنهاية وهو يذكر فيه من الاسرائيليات.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٨/١.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦٨٧/١٠.

(٤) المرجع السابق ١٥٩/١٢.

(٥) مقدمة في اصول التفسير لابن تيمية ٤٠.

هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۗ وَالنِّسَاءُ: ٤٦. وفي هذا القسم: ورد النهي عن النبي ﷺ للصحابة عن روايته، والزجر عن أخذه عنهم، وسؤالهم عنه، قال الإمام مالك في حديث: حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج: المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن: أما ما عُلِمَ كذبه فلا.

القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا، ولا من ذلك، فلا نؤمن به، ولا نكذبه، لاحتمال أن يكون حقا فنكذبه، أو باطلا فنصدق، ويجوز حكايته لما تقدم من الإذن في الرواية عنهم. ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة، قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا آما بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل إليكم^(١). قال بن تيمية: وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرا، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت؟ إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز^(٢).

فما كان من هذا منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي ﷺ كاسم صاحب موسى أنه الخضر، فهذا معلوم، وما لم يكن كذلك بل كان مما يؤخذ عن أهل الكتاب فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه إلا بحجة^(٣).

رواية الإسرائيليات ودخولها التفسير:

دخلت رواية الإسرائيليات من خلال إسلام بعض أهل الكتاب وما معهم من أخبار التوراة والإنجيل وحينما سمعوا القرآن الكريم يقص من أخبار السابقين ذكروا تفاصيل ما جاء في التوراة والإنجيل مما لم يذكرها القرآن الكريم. وكانت هذه مثار انتباه الصحابة

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها، رقم ٧١٠٣،

١٧/٧، انظر الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ١٠٦.

(٢) مقدمة في اصول التفسير لابن تيمية ٣٩.

(٣) المرجع السابق ٦٦.

وإعجابهم فذلك التفتوا إلى هؤلاء الذين أسلموا من أهل الكتاب يسمعون لهم ويسألونهم عن هذه الأخبار.

ومن هنا دخلت الرواية في الإسرائيليات للجيل الأول وهم الصحابة رضي الله عنهم فكان الصحابي إذا مرَّ على قصة من قصص القرآن يجد من نفسه ميلاً إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها ولم يتعرض له، فلا يجد من يجيبه على سؤاله سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا في الإسلام، وحملوا إلى أهله ما معهم من ثقافة دينية، فألقوا إليهم ما ألقوا من الأخبار والقصص الديني^(١).

والصحابه رضي الله عنهم لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء، ولم يقبلوا منهم كل شيء، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحاً للقصة وبياناً لما أجمله القرآن منها، مع توقفهم فيما يُلقى إليهم، فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب ما دام يحتمل كلا الأمرين، امتثالاً لقول الرسول ﷺ: لا تُصدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكذِّبُوهم، ولقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ البقرة: ١٣٦^(٢).

الرواية عند الصحابة:

ما رواه الصحابة على قسمين:

الأول: السماع منهم، وهذا يأخذونه عن بعض مسلمة أهل الكتاب: كبن سلام من الصحابة، وكعب الأحبار^(٣).

الثاني: ما يكون من طريق الوجدادة، وهو ما يقرؤونه من كتب أهل الكتاب، كما

(١) التفسير والمفسرون للذهبي ١٢٣.

(٢) علوم القرآن عند بن عبد البر للقطاني ١٥٤.

(٣) هو كعب بن ماتع الحميري، اليماني، العلامة، الحبر، الذي كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر -رضي الله عنه، فجالس أصحاب محمد ﷺ، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة، وكان حسن الإسلام، متين الديانة، من نبلاء العلماء. وكان خبيراً بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة. وقع له رواية في "سنن أبي داود"، و"الترمذي"، و"النسائي". سكن بالشام بأخرة، وكان يغزو مع الصحابة. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/ ٤٧٢.

حصل لعبد الله بن عمرو بن العاص^(١) من إصابته زاملتين^(٢) فيها كتب من كتب أهل الكتاب، وجدهن يوم اليرموك فكان يحدث منهما بأشياء كثيرة من الإسرائيليات منها المعروف والمشهور والمنكور والمردود^(٣).

وقول الصحابي في ما لا مجال للرأي فيه، ولم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات، حكمه حكم المرفوع كبن عباس؛ لأنّ مثله لا يقال إلاّ بتوقيف، إذ احتمال كونه مجرد اجتهاد ضعيف، ومظنّة كونه من الإسرائيليات ضعيفة كذلك؛ لأنّ بن عبّاس وإن سمع من كعب الأخبار، لكنّه أقلّ جدّا مع نقده لذلك.

أمّا إذا كان الصحابيّ ممّن قد ثبت كثرة تحديّته بالإسرائيليات، مثل عبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي هريرة، فالواجب أن لا يقال فيما نقلوا ممّا فيه مظنّة ذلك: له حكم الرّفْع^(٤).

رواية التابعين:

كان رجوع التابعين إلى أهل الكتاب أكثر من رجوع الصحابة، ولكن يبقى الأمر في أن ما روي عنهم من أخبار إسرائيلية، فهو في حكم الإسرائيليات، ولعلمهم كانوا يذكرونه من باب العلم والرواية لا من باب التفسير^(٥).

كما بدأ الاختلاف فيما يُروى عنهم من تفسير لكثرة أقوالهم. ومع هذا فإنها أقوال متقاربة أو مترادفة، فهو من باب اختلاف العبارة لا اختلاف التباين والتضاد^(٦). ودخل

(١) هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن لؤي القرشي السهمي، أسلم قبل أبيه، وكان فاضلا حافظا عالما، قرأ الكتاب واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب حديثه، فأذن له، قال: يا رسول الله أكتب كل ما أسمع منك في الرضا والغضب؟ قال: نعم، فإني لا أقول إلا حقا. وكان يسرد الصوم، ولا ينام بالليل، فشكاه أبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لعينك عليك حقا، مات في ليالي الحرّة، في ولاية يزيد بن معاوية، يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٩٥٩/٣.

(٢) الزامل من الدواب الذي يسرع في سيره من نشاطه.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١/٥٢.

(٤) المقدمات الأساسية في علوم القرآن لعبد الله البعقوب ٣٠٦.

(٥) فصول في اصول التفسير لمساعد الطيار ٥٥.

(٦) مباحث في علوم القرآن للقطان ٣٥١.

التفسير كثير من الإسرائيليات والنصرانيات، وذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وكان لا يزال عالقا بأذهانهم من الأخبار فتساهل التابعون، فزجوا في التفسير بكثير من الإسرائيليات والنصرانيات بدون تحرر ونقد^(١).

تنبيهات:

أولاً: تعليق الأمر بالإسرائيلية دون راوي الإسرائيلية، فإذا توقفت وجعلت الرواية محتملة للصدق أو الكذب، أو جزمت بردها فإنك لا تردّها؛ لأن الراوي ممن عُرف بالأخذ من بني إسرائيل، بل لأنّ في الخبر شبهة إسرائيلية فحسب.

ثانياً: ضابط العقل أو الغرابة ليس مما يُتفق عليه في رد أو قبول الرواية. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه فأذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة وإما آفة وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلاً يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وأبراه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمسا، فذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ الأحزاب: ٦٩^(٢).

فهذا الحديث فيه فرار الحجر وهو جماد وفيه نداء سيدنا موسى لها وهو يتبعها، وفيه ضرب سيدنا موسى للحجر ومعاقبتها، وفيه أثر الضرب على الحجر من الندب وهذا كله لا يكون لغير عاقل ولكن الحديث صحيح ولذلك قبلناه.

ثالثاً: لا يوجد كتاب في التفسير بالمأثور يخلو من إيراد الإسرائيليات، حتى زعم بعضهم أنها مصدر من مصادر التفسير، وذلك لما رأوا من تسهل بعض الصحابة فيها،

(١) التفسير والمفسرون للذهبي ٩٧/١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، رقم ٣٢٢٣، ٤٩٥/٨.

مثل عبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي هريرة، ثم ما وقع من اعتناء النقلة من التابعين فمن بعدهم بروايتها والتحديث بها^(١).

رابعاً: إنَّ المكثرين من هذه الإسرائيليات وضعوا الشوك في طريق المشتغلين بالتفسير، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رووه من قصص مكذوب وأخبار لا تصح^(٢).

خامساً: ما رواه مؤمنوا أهل الكتاب رووه على أنه مما في كتبهم، ولم يشرحوا به القرآن، ثم جاء من بعدهم فحاولوا أن يشرحوا القرآن بهذه الإسرائيليات فربطوا بينها وبينه على ما بينهما من بُعد شاسع، بل وزادوا على ذلك ما نسجوه من قصص خرافية، نسبوا لهؤلاء الأعلام^(٣).

(١) المقدمات الأساسية في علوم القرآن لعبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي، مركز

البحوث الإسلامية لبيدز - بريطانيا، ط/١: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ٣٤٣.

(٢) التفسير والمفسرون للذهبي ١/١٣٠.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/١٧٦.

المطلب الثاني

تفسير الإمام بن جزى في الإسرايليات

- قال الإمام بن جزى في مقدمته: وأما القصص: فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم كقصة أصحاب الكهف، وذي القرنين^(١).

- ذكر في المقدمة الحكمة من تكرار القصص في القرآن فقال: لثلاثة أوجه: الأول: الفائدة الزائدة في كل سورة على الأخرى. الثاني: إظهار فصاحة القرآن. الثالث: تعدد المقاصد فمنها إثبات نبوة الأنبياء وما جرى على أيديهم من معجزات وهلاك من كذبهم. ومنها إثبات نبوة محمد ﷺ لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلم من أحد، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ هود: ٤٩، ومنها إثبات الوجدانية ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ هود: ١٠١، ومنها تسليية النبي ﷺ ووعده بالنصر كما نصر الأنبياء السابقين وذكر غيرها من المقاصد في مواضعها من التفسير عندما وقف عليها، فقال: فلما كانت أخبار الأنبياء تفيده فوائد كثيرة: ذكرت في مواضع كثيرة. ولكل مقام مقال^(٢).

- ذكر القصص في مواطنها في القرآن الكريم التي تكلمت عن أخبار السابقين.

- ذكر بعض الغرائب من القصص والتي ليست صحيحة كما في قصة نبي الله سليمان عليه السلام في سورة ص.

- هو أقل وأحرص مما روى الإمام بن الجوزي وكذلك ردوده كانت أقوى من الإمام بن الجوزي كما ورد في قصة يوسف عليه السلام وغيرها. وهذه بعض الأمثلة:

١- قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ البقرة: ٣٦، اختلفوا في أكل آدم من الشجرة فالأظهر أنه كان على وجه النسيان: لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ طه: ١١، وقيل سكر من خمر الجنة فحينئذ أكل

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ١٥/١.

(٢) المرجع السابق ١٥/١.

منها، وهذا باطل؛ لأن خمر الجنة لا تسكر، وقيل: أكل عمدا وهي معصية صغرى، وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغائر، وقيل: تأول آدم أن النهي: كان عن شجرة معينة فأكل من غيرها من جنسها، وقيل: لما حلف له إبليس صدقه؛ لأنه ظن أنه لا يحلف أحد كذبا^(١).

٢- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَخْذَهُ وَكَانَ الَّذِي اشْتَرَاهُ يَعْزِيزًا ۚ وَكَانَ حَاجِبَ الْمَلِكِ وَخَازِنَهُ ۚ وَقَالَ السُّهَيْلِيُّ^(٢): اسمه قطفير من مِصْرَ هو البلد المعروف، وكان يوسف قد سيق إلى مصر فنودي عليه في السوق حتى بلغ ثمنه وزنه ذهباً، وقيل: فاشتراه العزيز^(٣)، وهذا الثمن مخالف لخطاب القرآن الذي قال ﴿ وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ يوسف: ٢٠، وهو من الإسرائيليات التي وردت في هذه القصة.

٣- قال تعالى: ﴿ وَرَوَدَتْهُ الْمَتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ۚ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ يوسف: ٢٣، أي طلبت منه ما يكون من الرجل إلى المرأة وهي زليخا امرأة العزيز روي أنها كانت سبعة أبواب، وأكثر الناس الكلام في هذه الآية حتى ألفوا فيها التأليف، فمنهم مفرط ومفرط، وذلك أن منهم من جعل هم المرأة وهم يوسف من حيث الفعل الذي أراذته، وذكروا في ذلك روايات من جلوسه بين رجليها، وحله التكة^(٤) وغير ذلك، مما لا ينبغي أن يقال به لضعف نقله، ولنزاهة الأنبياء عن مثله، ومنهم من جعل أنها همت به

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ١/٨٠.

(٢) كثير ما يستشهد به في ذكر الأخبار والإسرائيليات وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخنعمي السهيلي الأندلسي المالقي الحافظ صاحب المصنفات مولده سنة بضع وخمسمائة. عمي وهو بن سبع عشرة سنة حمل الناس عنه، وأصله من قرية بوادي سهيل من مالقة، تصدر للإقراء والتدريس والحديث وبعد صيته وجل قدره جمع بين الرواية والدراية، وصنف كتاب "الروض الأنف" كالشرح للسيرة النبوية فأجاد وأفاد كان إماماً في لسان العرب يتوقد ذكاء وقد استدعي من مالقة إلى مراكش ليأخذوا عنه، كان يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف توفي بمراكش في الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة . تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/١٣١، الوافي بالوفيات ١٨/١٠١.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ١/٣٨٣.

(٤) السراويل المعقدة

لتضربه على امتناعه وهمّ بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها وهو بعيد، يرده قوله: لولا أن رأى برهان ربه، ومنهم من جعل همها به من حيث مرادها وهمه بها ليدفعها، وهذا أيضا بعيد، لاختلاف سياق الكلام، والصواب إن شاء الله: إنها همت به من حيث مرادها وهمّ بها كذلك، لكنه لم يعزم على ذلك، ولم يبلغ إلى ما ذكر من حل التكة وغيرها بل كان همه خطرة خطرت على قلبه لم يطعها ولم يتابعها، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لما رأى برهان ربه، ولا يقدر هذا في عصمة الأنبياء؛ لأنّ الهَمّ بالذنب ليس بذنب ولا نقص عليه في ذلك، فإنه من همّ بذنب ثم تركه كتبت له حسنة^(١).

٤- قال تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَايَاتِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ الأنبياء: ٧٩ ، تخاصم إلى داود رجلان دخلت غنم أحدهما على زرع الآخر بالليل فأفسدته فقضى داود بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم، ووجه هذا الحكم أن قيمة الزرع كانت مثل قيمة الغنم، فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب، فأخبراه بما حكم به أبوه، فدخل عليه فقال: يا نبي الله لو حكمت بغير هذا كان أرفق للجميع، قال وما هو؟ قال يأخذ صاحب الغنم الأرض ليصلحها حتى يعود زرعها كما كان، ويأخذ صاحب الزرع الغنم وينتفع بألبانها وصوفها ونسلها، فإذا أكمل الزرع ردت الغنم إلى صاحبها، والأرض بزرعها إلى ربهما، فقال له داود: وفقت يا بني، وقضى بينهما بذلك^(٢).

٥- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَا زَرَ اتَّخَذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ الأنعام: ٧٤، أزر هو اسم أبي إبراهيم، وقيل: إنه اسم صنم؛ لأنه ثبت أن اسم أبي إبراهيم تارخ، فعلى هذا يحتمل أن يكون لقب به لملازمته له، أو أريد عابد أزر، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وذلك بعيد، ولا يبعد أن يكون له اثنان^(٣).

٦- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ ص: ٣٤،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/٣٨٤.

(٢) المرجع نفسه ٢/٢٦.

(٣) المرجع نفسه ١/٢٦٦.

وفيه أقوال: الأول: أن سليمان كان له خاتم ملكه وكان فيه اسم الله، فكان ينزعه

إذا دخل الخلاء توقيرا لاسم الله تعالى، فنزعه يوما ودفعه إلى جارية فتمثل لها جني في صورة سليمان وطلب منها الخاتم فدفعته له، فقع على كرسي سليمان يأمر وينهى والناس يظنون أنه سليمان، وخرج سليمان فارًا بنفسه فأصابه الجوع، فطلب حوتا ففتح بطنه فوجد فيه خاتمه، وكان الجني قد رماه في البحر، فلبس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه.

القول الثاني: أن سليمان كان له امرأة يحبها وكان أبوها ملكا كافرا قد قتله سليمان، فسألته أن يضع لها صورة أبيها فأطاعها في ذلك فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جواربها، وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يوما، فلما علم به كسره.

القول الثالث: أن سليمان كان له ولد وكان يحبه حبا شديدا، فقالت الجن إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فبقينا في السخرة أبدا، فلم يشعر إلا وولده ميت على كرسيه
القول الرابع: أنه قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة تأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فلم تحمل إلا واحدة بشق إنسان^(١)،

فالقول الأول ضعيف من طريق النقل مع أنه يبعد ما ذكر فيه من سلب ملك سليمان وتسليط الشياطين عليه، وأما القول الثاني فضعيف أيضا مع أنه يبعد أنه يعبد صنم في بيت نبي، أو يأمر نبي بعمل صنم، وأما القول الثالث فضعيف أيضا، وأما القول الرابع فقد روي في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ لكنه لم يذكر في الحديث أن ذلك تفسير الآية^(٢).

في حكاية الخاتم وكأن سر النبوة التي اصطفى الله بها سليمان كانت في الخاتم وعندما فُقد نزع النبوة وتمرد الجني وأخذه للخاتم، وهذا يتعارض تعارضا كلياً مع التسخير الذي أعطاه الله لنبيه سليمان عليه السلام كمعجزة له حيث جعل الجن طوع أمره ثم يقولون هذا الكلام الباطل، وقد بين الإمام بن جزى ضعف ذلك.

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائي، رقم ٤٩٤٤، ٢٤٨/٧.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٢/٢٠٩.

المطلب الثالث

تفسير الإمام بن الجوزي في الإسرائيليات

يرى الباحث أن الإمام بن الجوزي سار في تفسيره على النحو التالي:

- لم يشر الإمام بن الجوزي في مقدمته إلى الإسرائيليات ولم يبين منهجه في التعامل معها وإنما ذكرها في تفسيره في معرض الآيات التي ورد فيها ذكر أخبار السابقين من أنبياء وملوك وأمم.

- تكلم الإمام بن الجوزي في الإسرائيليات بصورة أوسع مما تكلم فيها بن جزي.

- أورد في ذكره لهذه الأخبار روايات متعددة.

- في ذكره لهذه الأخبار لا يصحح أو ينبه على مسألة الإسرائيليات ومخالفتها إلا على سبيل النادر.

- في سرده لهذه الأخبار يسردها سرد مؤرخ لا سيما وهو مؤرخ مشهور وخصوصاً كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم والذي يعتبر من أهم المصادر التاريخية التي كتبت والتي تعتبر مرجعاً مهماً لمن بعد، وقد رأيت نقولات كثيرة لبن كثير في كتابه المشهور البداية والنهاية وهو ينقل عن المنتظم وكذلك بن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ.

- يذكر الروايات المتعددة في أقوال عندما يذكر الآية يقول: فيها كذا أقوال ويذكر الروايات.

- يذكر في تفسيره للآيات التي تتكلم عن قصص السابقين بما يملكه من خلفية تاريخية للأحداث ويذكر بها الروايات ويذكر هذه الروايات بصورة مختصرة. وهذه بعض الأمثلة:

١- قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ آل عمران: ٣٧، كان زكريا إذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب، فإذا دخل وجد عندها رزقاً. وقال الحسن: لم ترتضع ثدياً قط، وكان يأتيها رزقها من الجنة، فيقول زكريا: أنى لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله، فتكلمت وهي صغيرة^(١).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١/٢٧٧.

٢- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسِنَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ هود: ٤ ،

قال بن عباس: قرض الفأر حبال السفينة، فشكا نوح ذلك، فأوحى الله تعالى إليه، فمسح ذنب الأسد، فخرج سنَّوران، وكان في السفينة عذرة، فشكا ذلك إلى ربه، فأوحى الله تعالى إليه، فمسح ذنب الفيل، فخرج خنزيران فأكلا ذلك^(١).

٣- قال تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ

لِتَرْوُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ إبراهيم: ٤٦ ، هو نمرود الذي حاجَّ إبراهيم في ربه، قال: لا أنتهي حتى أنظر إلى السماء، فأمر بفرخي نسر فزبياً حتى سمنوا واستعلجا، ثم أمر بتابوت فثحت، ثم جعل في وسطه خشبة، وجعل على رأس الخشبة لحماً شديداً حمرة، ثم جوعهما وربط أرجلها بأوتار إلى قوائم التابوت. ودخل هو وصاحب له في التابوت وأغلق بابها، ثم أرسلهما، فجعلا يريدان اللحم، فصعدا في السماء ما شاء الله، ثم قال لصاحبه: افتح وانظر ماذا ترى؟ ففتح، فقال: أرى الأرض كأنها الدخان، فقال له: أغلق، ثم صعد ما شاء الله، ثم قال: افتح فانظر، ففتح، فقال: ما أرى إلا السماء، وما نزداد منها إلا بعداً، قال: فصوب خشبتك، فصوبها، فانقضت النسور تريد اللحم، فسمعت الجبال هدتها، فكادت تزول عن مراتبها هذا قول علي بن أبي طالب عليه السلام. وقال عكرمة: كان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب، فرمى بسهم فعاد إليه ملطخاً بالدم، فقال: كُفَيْتَ إله السماء، وذلك من دم سمكة في بحر معلق في الهواء، فلما هاله الارتفاع، قال لصاحبه: صوب الخشبة، فصوبها، فانحطت النسور، فظنت الجبال أنه أمر نزل من السماء فزالت عن مواضعها^(٢).

٤- قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الأنبياء: ٦٩ ، أخذت الملائكة

بضبعي^(٣) إبراهيم فأجلسوه على الأرض، فإذا عين من ماء عذب، وورد أحمر، ونرجس، قال كعب وهب: فما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه، وأقام في ذلك الموضع سبعة

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٣٧٤/٢.

(٢) المرجع نفسه ٥١٩/٢.

(٣) الضبع: وسط العضد بلحمه.

أيام، وقال غيرهما: أربعين أو خمسين يوماً، فنزل جبريل بقميص من الجنة وطنفسة^(١) من الجنة، فألبسه القميص، وأجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه. وإن أزر أتى نمرود فقال: أئذن لي أن أخرج عظام إبراهيم فأدفنها، فانطلق نمرود ومعه الناس، فأمر بالحائط فنُقب، فإذا إبراهيم في روضة يهتّر وثيابه تتدى، وعليه القميص وتحت الطنفسة والمك إلى جنبه، فناداه نمرود: يا إبراهيم إن إلهك الذي بلغت قدرته هذا لكبير، هل تستطيع أن تخرج؟ قال: نعم، فقام إبراهيم يمشي حتى خرج، فقال: من الذي رأيت معك؟ قال: ملك أرسله إليّ ربّي ليؤنسني، فقال نمرود: إني مقربٌ لإلهك قرباناً لما رأيت من قدرته، فقال: إذن لا يقبل الله منك ما كنت على دينك، فقال: يا إبراهيم، لا أستطيع ترك ملكي، ولكن سوف أذبح له، فذبح القران وكفّ عن إبراهيم^(٢).

٥- قال تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ النمل: ٣٥، قال بن عباس: إنما أرسلت الهدية لتعلم أنه إن كان نبياً لم يرد الدنيا، وإن كان ملكاً فسيرضى بالحمل، وأنها بعثت ثلاث لبنات من ذهب في كل لينة مائة رطل وياقوتة حمراء طولها شبر مثقوبة، وثلاثين وصيفاً وثلاثين وصيفة، وألبستهم لباساً واحداً حتى لا يعرف الذكر من الأنثى، ثم كتبت إليه: إني قد بعثت إليك بهدية فاقبلها، وبعثت إليك بياقوتة طولها شبر، فأدخل فيها خيطاً واختم على طرفي الخيط بخاتمك، وقد بعثت إليك ثلاثين وصيفاً وثلاثين وصيفة، فميز بين الجواري والغلمان فجاء أمير الشياطين فأخبره بما بعثت إليه، فقال له: انطلق فافرش على طريق القوم من باب مجلسي ثمانية أميال في ثمانية أميال لبناً من الذهب فانطلق، فبعث الشياطين، فقطعوا اللبن من الجبال وطلوه بالذهب وفرشوه، ونصبوا في الطريق أساطين الياقوت الأحمر، فلما جاء الرسل، قال بعضهم لبعض: كيف تدخلون على هذا الرجل بثلاث لبنات، وعنده ما رأيتم؟! فقال رئيسهم: إنما نحن رسل، فدخلوا عليه، فوضعوا اللبن بين يديه، فقال: أتمدونني بمال؟ ثم دعا ذرةً فربط فيها خيطاً وأدخلها في ثقب الياقوتة حتى خرجت من طرفها الآخر، ثم جمع بين طرفي الخيط فختم عليه ودفعها إليهم، ثم ميز بين الغلمان والجواري هذا كله مروى عن بن عباس^(٣).

(١) الطنفسة: التمرقة فوق الرجل، وقيل: البساط الذي له خمل رقيق.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٢٠١/٣.

(٣) المرجع السابق ٣/٣٦١.

٦- قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾ الأحزاب: ٣٨، المعنى: أن سنة الله عز وجل في التوسعة على محمد فيما فرض له، كسنته في الأنبياء الماضين. قال بن السائب: هكذا سنة الله في الأنبياء، كداود، فإنه كان له مائة امرأة، وسليمان كان له سبعمائة امرأة وثلاثمائة سريّة^(١).

٧- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ ص: ٣٤، اختلف العلماء في كيفية ذهاب خاتم سليمان على قولين: أحدهما: أنه كان جالساً على شاطئ البحر، فوقع منه في البحر، قاله علي رضي الله عنه. والثاني: أن شيطاناً أخذه، وفي كيفية ذلك أربعة أقوال: أحدها: أنه دخل ذات يوم الحمام ووضع الخاتم تحت فراشه، فجاء الشيطان فأخذه وألقاه في البحر، وجعل الشيطان يقول: أنا نبي الله، قاله سعيد بن المسيّب^(٢). والثاني: أن سليمان قال للشيطان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أُخْبِرْكَ، فأعطاه إياه فنبذه في البحر فذهب مُلْكُ سليمان وقعد الشيطان على كرسيه، قاله مجاهد. والثالث: أنه دخل الحمام ووضع خاتمه عند أوثق نسائه في نفسه، فأتاها الشيطان فتمثل لها في صورة سليمان وأخذ الخاتم منها، فلما خرج سليمان طلبه منها فقالت: قد دفعته إليك، فهرب سليمان وجاء الشيطان، فجلس على ملكه. قاله سعيد بن جبیر. والرابع: أنه دخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه، فألقاه الشيطان في البحر فذهب مُلْكُ سليمان وألقي على الشيطان شِبْهُهُ قاله قتادة^(٣).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٤٦٩/٣.

(٢) هو سعيد بن المسيب ابن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم بن يقظة، الإمام، العلم، أبو محمد القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، ولد: لسنتين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنه-. وقيل: لأربع مضين منها، بالمدينة. رأى عمر، وسمع عثمان، وعلياً، وزيد بن ثابت، وأبا موسى، وسعداً، وعائشة، وأبا هريرة، وابن عباس، وأم سلمة، وخلقا سواهم، وكان له من بيت المال بضعة وثلاثون ألفاً عطاؤه وكان يدعى إليها فيأبى مات سنة أربع وتسعين. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢٤/٥.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ٥٧٤/٣.

المطلب الرابع

المقارنة بين تفسير الإمامين في الإسرائيليات

ذكر الإمامان في تفسيريهما الآيات التي فيها أخبار من قبلنا ونقلنا نقولات إسرائيلية بعضها لا غبار عليه وبعضها لا يليق بذكرها في مقام الأنبياء.

وإذا كان أهل التأريخ قد نقلوا من الأخبار عن السابقين من الصحيح والفاقد فقد دخل كل ذلك في التفسير وهو ما ذكر منه الإمامان في تفسيريهما.

وقد نقل الإمام بن الجوزي من أخبار أهل الكتاب كثيراً من الأخبار ومنها الصحيح والسقيم وكان أكثر مقارنة بما نقله الإمام بن جزي، فقد كان الإمام بن جزي أكثر احتياطاً وأقل نقلاً من الإمام بن الجوزي وأكثر بياناً وتوضيحاً.

وما ينبغي التحذير منه ما كان قادحاً في مقام النبوة والحط من شأنهم مما ورد في الإسرائيليات وضمنه الذي ذكره الإمامان في قصة نبي الله داود عليه السلام أو نبي الله يوسف عليه السلام أو غيرهم، وقد نبّهنا على ضعفه وبعض الأخبار لن ينبها عليه بل نسب الإمام بن الجوزي الأقوال دون بيان وردّ على هذه الأخبار وكذلك ذكر الإمام بن جزي من هذه الأخبار.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهٖ﴾ يوسف: ٢٤

أكثر الناس الكلام في هذه الآية حتى ألفوا فيها التأليف، فمنهم مفرط ومفرط، وذلك أن منهم من جعل همّ المرأة وهمّ يوسف من حيث الفعل الذي أرادته، وذكروا في ذلك روايات من جلوسه بين رجليها، وحله التكة وغير ذلك، مما لا ينبغي أن يقال به لضعف نقله، ولنزاهة الأنبياء عن مثله، ومنهم من جعل أنها همت به لتضربه على امتناعه وهمّ بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها وهو بعيد، يرده قوله: لولا أن رأى برهان ربه، ومنهم من جعل همها به من حيث مرادها وهمه بها ليدفعها، وهذا أيضاً بعيد، لاختلاف سياق الكلام، والصواب إن شاء الله: إنها همت به من حيث مرادها وهمّ بها كذلك، لكنه لم يعزم على ذلك، ولم يبلغ إلى ما ذكر من حل التكة وغيرها بل كان همه خطرة خطرت على قلبه لم يطعها ولم يتابعها، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لما رأى برهان ربه، ولا يقدر هذا في عصمة الأنبياء لأن الهمّ بالذنب ليس بذنب

ولا نقص عليه في ذلك، فإنه من همّ بذنب ثم تركه كتبت له حسنة^(١).

وقال بن الجوزي: الهم بالشيء في كلام العرب: حديث المرء نفسه بمواقفته ما لم يواقع. فأما هم أزيخا، فقال المفسرون: دعتة إلى نفسها واستلقت له. واختلفوا في همه بها على خمسة أقوال:

أحدها: أنه كان من جنس همها، ولولا أن الله تعالى عصمه لفعل، وهو قول عامة المفسرين المتقدمين، واختاره من المتأخرين جماعة منهم ابن جرير. والقول الثاني: أنها همت به أن يفترشها، وهم بها، أي: تمنّاها أن تكون له زوجة، روي عن ابن عباس.

والقول الثالث: أن في الكلام تقدّما وتأخيرا، تقديره: ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها فلما رأى البرهان، لم يقع منه الهم والقول الرابع: أنه هم أن يضربها ويدفعها عن نفسه، فكان البرهان الذي رآه من ربه أن الله أوقع في نفسه أنه إن ضربها كان ضربه إياها حجة عليه، لأنها تقول: راودني فمنعته فضرّني.

والقول الخامس: أنه هم بالفرار منها، وهو قول مردول، أفتراه أراد الفرار منها، فلما رأى البرهان أقام عندها؟!^(٢).

وقال بن عطية: لا شك أن هم زليخا كان في أن يواقعها يوسف، واختلف في «هم» يوسف عليه السلام، فقال الطبري: قالت فرقة: كان مثل «همها»، روت هذه الفرقة إلى أن جلس بين رجلي زليخا وأخذ في حل ثيابه ونحو هذا، وهي قد استلقت له قاله ابن عباس وجماعة من السلف.

وقالت فرقة في همه إنما كان بخطر القلب التي لا يقدر البشر عن التحفظ منها، ونزع عند ذلك ولم يتجاوزهم، فلا يبعد هذا على مثله عليه السلام، وفي الحديث: «إن من هم بسيئة ولم يعملها فله عشر حسنات»

وقالت فرقة: كان «هم» يوسف بضربها ونحو ذلك. وهذا ضعيف البتة، والذي أقول في هذه الآية: إن كون يوسف نبيا في وقت هذه النازلة لم يصح ولا تظاهرت به

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/ ٣٨٤.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٢/ ٤٢٧.

رواية، وإذا كان ذلك فهو مؤمن قد أوتي حكما وعلما ويجوز عليه الهم الذي هو إرادة الشيء دون مواقفته، وأن يستصحب خاطر الرديء على ما في ذلك من الخطيئة وإن فرضناه نبيا في ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندي إلا الهم الذي هو خاطر، ولا يصح عليه شيء مما ذكر لأن العصمة مع النبوة^(١).

قال الشوكاني: والمعنى: أنه هم بمخالطتها كما همت بمخالطته، ومال كل واحد منهما إلى الآخر بمقتضى الطبيعة البشرية والجملة الخلقية، ولم يكن من يوسف عليه السلام القصد إلى ذلك اختيارا كما يفيد ما تقدم من استعاذته بالله، وهمت زليخا بالمعصية وكانت مصرة، وهم يوسف ولم يوقع ما هم به، فبين الهمين فرق، فهذا إنما هو حديث نفس من غير عزم، وقيل: هم بها أي هم بضر بها، وقيل: هم بها بمعنى تمنى أن يتزوجها. وقد ذهب جمهور المفسرين من السلف والخلف إلى ما قدمنا من حمل اللفظ على معناه اللغوي^(٢).

قال البغوي: والهم هو المقاربة من الشيء من غير دخول فيه، فهمها: عزمها على المعصية والزنا، وأما همه: فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: جلس منها مجلس الخاتن. وعن مجاهد قال: حل سراويله وجعل يعالج ثيابه. وهذا قول أكثر المتقدمين مثل سعيد بن جبير والحسن، والقول ما قال متقدمو هذه الأمة، وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الأنبياء من غير علم.

وقيل: لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عليه السلام عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه إلى نفسها هم بها ثم إن الله تعالى تدارك عبده ونبيه بالبرهان الذي ذكره وزعم بعض المتأخرين: أن هذا لا يليق بحال الأنبياء عليهم السلام، وقال: تم الكلام عند قوله: ولقد همت به، ثم ابتداء الخبر عن يوسف عليه السلام فقال: وهم بها لولا أن رأى برهان ربه، على التقديم والتأخير، أي: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، ولكنه رأى البرهان فلم يهم، وأنكره النحاة.

وقيل: همت بيوسف أن يفتريها، وهم بها يوسف أي: تمنى أن تكون له زوجة. وهذا التأويل وأمثاله غير مرضية لمخالفتها أقاويل القدماء من العلماء الذين أخذ عنهم الدين

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ٣/ ٢٣٣.

(٢) فتح القدير للشوكاني ٣/ ٢١.

والعلم. وقال بعضهم: إن القدر الذي فعله يوسف عليه السلام كان من الصغائر، والصغائر تجوز على الأنبياء عليهم السلام، وقال بعض أهل الحقائق: الهم همان، هم ثابت وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضى، مثل هم امرأة العزيز، والعبد مأخوذ به، وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم، مثل هم يوسف عليه السلام، والعبد غير مؤاخذ به ما لم يتكلم أو يعمل^(١).

ومن خلال ما تكلم فيه المفسرون تبين لنا في تحديد معنى الهم في كلام المتقدمين أنه الهم بالمعصية التي أَرادتها امرأة العزيز وقالوا عن الهم الذي من يوسف خاطر دون عزم وهذا مما لا يؤاخذ عليه أو أنه قبل النبوة. وقال المتأخرون أن هذا الكلام لا يليق بمقام النبوة وأن الهم من يوسف عليه السلام هم الضرب والمدافعة أو الهروب أو تمنى أن تكون زوجة له.

ولكن ما لا يليق ذكره من التوصيف في الهم الذي تكلم فيه من حل الملابس أو الجلوس معها.

قال تعالى ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾ ص: ٢١ - ٢٣

قال الإمام بن جزري: ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه داود عليه السلام: روي أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبتة، وكانت لهم عادة في ذلك لا ينكرونها، وقد جاء عن الأنصار في أول الإسلام شيء من ذلك، فاتفق أن وقعت عين داود على امرأة رجل فأعجبتة، فسأله النزول عنها ففعل، وتزوجها داود عليه السلام فولد له منها سليمان عليه السلام، وكان لداود تسع وتسعون امرأة، فبعث الله إليه ملائكة مثالا لقصته، فقال أحدهما إن هذا أخي له تسع وتسعون نجمة إشارة إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلا تلك المرأة الواحدة، فقال أكفلنيها إشارة إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته فأجابه داود عليه السلام

(١) معالم التنزيل للبغوي ٢ / ٤٨٤.

بقوله: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، فقامت الحجة عليه بذلك، فتبسم الملكان عند ذلك وذهبا ولم يرهما، فشعر داود أن ذلك عتاب من الله له على ما وقع فيه^(١).

وقد ذكر الإمام بن جزى هذه الإسرائيليات التي دست في الأنبياء مما لا يليق بهم لأمر:

الأول: أن الأنبياء هم أرفع مقاما وأعلى شأنًا من يتطلعوا إلى نساء الآخرين.

الثاني: أن القول بأن نبي الله داود عليه السلام كان له تسع وتسون امرأة من

الإسرائيليات أيضا، فالله أعلم بصحته.

الثالث: أشار المؤلف رحمه الله إلى الأنصار حينما استقبلوا إخوانهم المهاجرين وقول

أحد الأنصار للمهاجري ذلك ولكن هذ إيثارا في هذا الطرف الحرج حيث أن المهاجري لا

أهل له ولا دار، وقد نزل غريبا مطاردا وقد سجل المهاجري موقفا مشرفا آخر حينما قال

له: بارك الله لك في أهلك ومالك دلني على السوق وهذه الحادثة التي حصلت لم يسجل

غيرها فكيف بنى عليها حكما؟.

وذكر الإمام بن الجوزي: قصة زوجة أوريا حينما نظر إليها داود عليه السلام وهي

تغتسل فأعجب بها وسأل عنها وقدم زوجها للقتال حتى قتل فتزوجها وانجبت له سليمان

عليه السلام ثم قال: وهذا لا يصح من طريق النقل، ولا يجوز من حيث المعنى، لأن

الأنبياء منزهون عنه. وقد اختلف المحققون في ذنبه الذي عوتب عليه على أربعة أقوال:

أحدها: أنه لما هويها، قال لزوجها: تحول لي عنها، فعوتب على ذلك. وقد روى سعيد بن

جبير عن بن عباس قال: ما زاد داود على أن قال لصاحب المرأة: أكفنيها وتحول لي

عنها ونحو ذلك روي عن بن مسعود، وقيل: أنه بعث إلى أوريا فأقدمه من غزاته، فأدناه

وأكرمه جدا، إلى أن قال له يوما: أنزل لي عن امرأتك وانظر أي امرأة شئت في بني

إسرائيل أزوجكها، أو أي أمة شئت أبتاعها لك، فقال: لا أريد بامرأتي بديلا فلما لم يجبه

إلى ما سأل، أمره أن يرجع إلى غزاته. والثاني: أنه تمنى تلك المرأة حلالا، وحدث نفسه

بذلك، فاتفق غزو أوريا من غير أن يسعى في سبب قتله ولا في تعريضه للهلاك، فلما

بلغه قتله، لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده، ثم تزوج امرأته، فعوتب على ذلك.

وذنوب الأنبياء عليهم السلام وإن صغرت، فهي عظيمة عند الله عز وجل. والثالث: أنه

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٢/٢٠٥.

لما وقع بصره عليها، أشبع النظر إليها حتى علقت بقلبه. والرابع: أن أوريا كان قد خطب تلك المرأة، فخطبها داود مع علمه بأن أوريا قد خطبها، فتزوجها، فاغتم أوريا، وعاتب الله تعالى داود إذ لم يتركها لخطبها الأول فأما ما روي أنه نظر إلى المرأة فهويها وقدم زوجها للقتل، فإنه وجه لا يجوز على الأنبياء، لأن الأنبياء لا يأتون المعاصي مع العلم بها^(١).

قال بن كثير: قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه^(٢). وهو أحسن من تكلم في معنى هذه الآية بهذه العبارة باعتبار أن الخبر إسرائيليّ وأن المخبر عنه نبي ولا يتكلم فيه إلا بما يليق بمقام النبوة فيكون التوقف عنده من أمثل الأمور.

قال البغوي: واختلف العلماء بأخبار الأنبياء عليهم السلام في سببه، فقال قوم: كان سبب ذلك أن داود عليه السلام تمنى يوماً من الأيام منزلة آباءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وسأل ربه أن يمتحنه كما امتحنهم ويعطيه من الفضل مثل ما أعطاهم.

دخل داود محرابه وأغلق بابه، وجعل يصلي ويقرأ الزبور، فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان قد تمثّل في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن. وقيل: كان جناحها لها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجلين فأعجبه حسنها، فمد يده ليأخذها ويربها بني إسرائيل فينظروا إلى قدرة الله، فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد إليها ليأخذها فتحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فبيعت من يصيدها، فأبصر امرأة في بستان على شط بركة لها تغتسل. وقيل: رآها تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من أجمل النساء خلقاً، فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنهما، فزاده ذلك إعجاباً بها فسأل عنها، فقيل هي تشايح بنت شايح امرأة أوريا بن حنانا، وزوجها في غزاة بالبقاء مع أيوب بن سوريا بن أخت داود. وذكر بعضهم أنه أحب أن يقتل أوريا ويتزوج امرأته، فكان ذنبه هذا القدر^(٣).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٣/ ٥٦٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٦٠.

(٣) معالم التنزيل للبغوي ٤/ ٥٨.

وما ذكره البغوي من أبعد ما يقال عقلاً وشرعاً وهذا من الكلام الباطل الذي لا يليق بمقام الأنبياء وقد نزههم الله عن فعل القبيح وعن فعل الحرام فكيف يقال عن نبي الله عليه السلام أنه نظر إلى امرأة لا تحل له وأنه تعلق بها وأبعد من ذلك كله التخلص من زوجها وقتله في المعركة ليتزوجها وكل هذا كلام باطل لا يليق بمقام اعتقاده.

قال الإمام بن جزى: وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول فيها قديماً وحديثاً حتى قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: من حدّث بما يقول هؤلاء القصاص في أمر داود عليه السلام جلدته حدّين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله^(١).

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٢ / ٢٠٥.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:
وأنا أكتب خاتمة بحثي هذا مستذكراً نعمة الله عليّ وقد أمدني بفضله حتى بلغت
آخره، لم يسلم من أحداث ما تعيشه بلدي اليمن من أحداث مؤلمة ودامية، أثرت على
سيره، عشت معه قرابة ثلاث سنوات قضيت فيه أياماً وليالي، أعدّ طهوري لكل جلسة،
وأدعو الله أن يسدّني فيما أقرأ وأكتب.

لقد عشت مع الإمامين في تفسيريهما، ووقفت مع ما كتباه في دراستي، واستفدت
منهما في الدروس والخطب، واستعنت بهما في تدريسي لمادة التفسير في جامعة الإيمان
وجامعة القرآن وصار الكتابان ملازمان لي حيثما كنت.

ومن خلال ما عشت مع هذين السفرين في هذه الفترة العلمية والدراسية أسجل أهم

النتائج والتوصيات:

أولاً النتائج:

- ١- تفسير الإمام بن جزري يمثل المستوى الأول للمتعلّم باعتبار أن الإمام بن جزري جعل تفسيره مبسّط المعنى مختصراً.
- ٢- تفسير الإمام بن الجوزي يمثل المستوى الثاني لمن أراد أن يتوسع في التفسير ويتفهّم المعاني وتعدد الأقوال.
- ٣- دور الإمامين في بيان معاني القرآن وتعدد مناهجهم وأساليبهم في بيان وإيضاح المعنى، وحاجة المسلم لهذه التفسيرين.
- ٤- قراءة حياة الإمامين والعيش معهم وما خلدوا من مآثر في حياتهم وكتبهم تمثل رافداً قوياً للداعية المسلم في منهجه للدعوة ومقارعة الباطل.
- ٥- المحنة التي بليت بها الأمة - محنة الشيعة - ليست مصيبة اليوم بل هي مصيبة عانت منها الأمة من الصدر الأول وقتل وعذب فيها كثير من أئمة المسلمين ومنهم الإمام بن الجوزي وغيره.
- ٦- اعتماد الإمامين التفسير بالمأثور لبيان معاني القرآن، وهو المرجع الأول ويظل فهم السلف وما كتبوه حجّة على من بعدهم.
- ٧- بيان الإمامين لدور اللغة والفقه وأصول الفقه المهم في بيان معاني القرآن ومهمة

تعلم المسلم لذلك حتى يفهم معاني القرآن ويدرك خطاب الله له.

٨- بيان الإمامين لقصص القرآن وأثرها في تدبر معاني القرآن وما تحييه من دروس

للدعاة وما تؤثر في جذب السامع وانتباهه.

٩- وقوف الإمامين مع خطاب القرآن للأمة في الجانب السلوكي والتربوي وحاجة الأمة

له في ميدان التربية.

١٠- بعض ما كتبه الإمامان يظل التفسير جهداً بشرياً لا يخلو المفسر من نقص أو

خطأ والكمال لله وحده، قال الله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

أَخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢

التوصيات:

١- يوصي الباحث بضرورة القراءة للتفاسير ومهمتها في قراءة القرآن الكريم، وفهم معانيه.

٢- يوصي الباحث بمزيد من الدراسات والبحوث المتعلقة بتفسير الإمامين بن جزي وابن الجوزي في العقيدة والعبادة وكافة علوم القرآن وكذلك في الجانب السلوكي.

٣- يوصي الباحث بقراءة حياة السلف وحياة المفسرين ومناهجهم لتسهيل فهم واستيعاب التفاسير وما كتبه من معاني القرآن، والاستفادة منه في التربية والتعليم.

الفهارس العامة

- **فهرس الآيات القرآنية**
- **فهرس الأحاديث النبوية والآثار**
- **فهرس الأبيات الشعرية**
- **فهرس الأعلام**
- **المصادر والمراجع**
- **فهرس الموضوعات**

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الفاتحة		
١٢٢	٢	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
١٢٢	٧	﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾
١٣٠	٤	﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾
١٣٥	٦	﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾
سورة البقرة		
٢٨٣	٢	﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾
١٣٤	٥	﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾
١٣٧	٧	﴿ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً ﴾
١٣٠	٩	﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾
٣٠٨	١١	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾
١٢٤	١٥	﴿ اللَّهُ يَسْتَهزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾
٢٧٨	١٥	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾
٢١٤	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾
٣٢٤	٣٦	﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾
-١٠٧ ١٢٠	٣٧	﴿ فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾
١٣٥	٣٨	﴿ فَأَمَّا يَا تَابِعْتِكُم مِّنِي هُدًى ﴾
٢٨٩	٤٥	﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٢١	٤٨	﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ ﴾
١٨٣	٤٨	﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾
١٣٤	٥٨	﴿ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾
١٨٩	٩٣	﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾
-٢٤٩	١٠٦	﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلَهَا ۗ ﴾
٢٦٢	١١٥	﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ۗ ﴾
١٨٣	١٢٢	﴿ يَبْنَئِ إِسْرَءِيلُ أَذْكَرُوا بِعِمَّتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾
٣٢٠	١٣٦	﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾
١٠٧	١٤٣	﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾
١٦١	١٤٣	﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ﴾
٢٦٢	١٤٤	﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ ﴾
١٦١	١٥٢	﴿ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾
٢٧٦	١٥٢	﴿ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾
٢٨٦	١٥٢	﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾
٢٧٣	١٥٥	﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾
٢٧٧	١٥٥	﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾
٢٧٨	١٥٧	﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾
١٨٤	١٦١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٢٠١	١٦٣	﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾
٢٧٣	١٦٣	﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾
٢٧٣	١٦٥	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾
٢٩٠	١٦٥	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾
١٠٩	١٧٩	﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
٢٣٣	١٨٤	﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾
٢٥٤	١٨٥	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾
٢٣٣	١٨٧	﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾
١٨٠	١٨٧	﴿ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾
٢٧٥	١٨٩	﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾
١٦٢	١٩٦	﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾
٢٨٩	١٩٧	﴿ وَتَكَرَّرُوا فِيهِ خَيْرَ الْزَّادِ النَّقْوَى ﴾
٢٨٩	٢١٤	﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ ﴾
٢٥٧	٢١٧	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾
١٣٢	٢٢٢	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾
٢٣٢	٢٢٣	﴿ نِسَاءُكُمْ حَرَّتُمْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتَكُمْ أَنِّي شِئْتُمْ ﴾
١٣٨	٢٢٤	﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٢٣٣	٢٢٥	﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾
٢٣٦	٢٢٥	﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبِكُمْ ﴾
٢٥٨	٢٢٩	﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حَدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا أَفْذَتَ بِهِ ﴾
٢٣١	٢٣٤	﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾
٢٦٠	٢٤٠	﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ ﴾
١٨٢	٢٥٥	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾
٢٢٠	٢٥٥	﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾
٢٥٢	٢٦٩	﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾
١٦٩	٢٨٦	﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾
سورة آل عمران		
-١٨٠ ١٩٢	٧	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾
٢٦٠	٢٠	﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾
١٨٣	٢٨	﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتًا ﴾
٣٢٨	٣٧	﴿ وَكَفَلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنْى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾
١٣٥	٧٣	﴿ قُلْ إِنْ أَلْهَدَى اللَّهُ هُدَى اللَّهِ ﴾
٢٣١	٩٧	﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مِنْ أَسْطَافِ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٢٦٠	١٠٢	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾
١٩٣	١٠٦	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾
-٢٨٠ ٢٩٠	١٢٢	﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾
٢٨٦	١٤٤	﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾
٢٧٨	١٤٦	﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾
٢٧٣	١٥٩	﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾
٢٨٠	١٥٩	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾
١٤٥	١٦١	﴿وَمَنْ يَعْلَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾
٢٨٩	١٩١	﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾
١٦٢	١٩٩	﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾
سورة النساء		
٢٨٣	١	﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾
٢٦٠	٦	﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ ءَمْوَالَهُمْ﴾
٢٥٨	٢٠	﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾
٢٣٨	٢٣	﴿حَرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٧٠	٢٩	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾
١٤٧	٣١	﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾
٢٥٨	٣٣	﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۗ ﴾
٢٤٠	٣٥	﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾
١٥٣	٣٦	﴿ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ﴾
١٢٢	٦٩	﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾
١٦٩	٨٣	﴿ وَتُورِدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أَوْلِيَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ ﴾
١١٨	٩٢	﴿ فَإِنْ كَانِ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٌ ﴾
١٣٣	٩٤	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾
٣٠٩	٩٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُهُمُ الظَّالِمِينَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا ﴾
٢٩١	١٠٤	﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ ﴾
١٤١	١٠٥	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ ﴾
١٧١	١١٥	﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴾
١٨٢	١١٥	﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٢٩٠	١٢٥	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾
١٣٤	١٣٥	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾
١٩٥	١٣٥	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة المائدة		
٢٢	٦٤	﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾
١٩٨	١	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾
-١١٨ ١٢٥	١	﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾
-١١٨ ١٢٥	٣	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ ﴾
١٣٤	٨	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾
١٣٢	٨٩	﴿ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾
١٣٨	٨٩	﴿ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾
١٦١	٢٨	﴿ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾
١٦٣	٣٢	﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾
٢٧٥	٢٧	﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾
٢٨٠	٢٣	﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
٢٣٤	٤٥	﴿ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾
٢٣٦	٣٣	﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي فَسَادٍ أَن يُقَتَّلُوا ﴾
١٨١	٩٥	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا ﴾
١٨٢	٨٩	﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَدْتُمُ ﴾
١٨٩	١٠٦	﴿ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُو عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٣١٨	٤٨	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ﴾
٢٤٣	٦	﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾
٢٦١	١٠٥	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾
سورة الأنعام		
٢٠١	١٢	﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنْتُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾
١٦١	١٩	﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ أَنْ لَتُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾
١٨٤	٣٨	﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾
١٣١	٥٧	﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلِينَ ﴾
١٤٧	٥٩	﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾
١٣٠	٧٣	﴿ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾
٣٢٦	٧٤	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِزْ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾
١٢٠	٨٢	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾
١٠٣	١٠٣	﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾
١٨١	١٠٨	﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدَاوًا بَغِيرَ عِلْمٍ ﴾
٢٤١	١١٨	﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِشَايئِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾
٢٦١	١٢١	﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾
١٩٣	١٤٦	﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾
٢١٢	١٤٨	﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾
١٨٠	١٥٢	﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَدِّقْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
٢١١	١٦٢	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الأعراف		
١٩٤	٨	﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾
١٨١	١٢	﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾
-١٢٠	٢٣	﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾
١٢٣	٢٣	﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾
١٩٤	٣٢	﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾
١٨٤	٣٨	﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا ﴾
٢٢٣	٤٠	﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾
٢١٩	٥٣	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ ﴾
٢٧٣	٥٦	﴿ وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾
٢٢٣	١٤٣	﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ ﴾
١٣٤	١٦١	﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾
١٥٣	١٧٥	﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ ﴾
١٣٧	١٨٠	﴿ وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾
٢١٨	١٨٠	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾
٢٢١	١٨٠	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾
٢٣٤	٢٠٤	﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الأنفال		
١٩٤	٢	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ ﴾
٢٧٥	٢٩	﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾
١٥٥	٣٥	﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً ﴾
١٢٤	٣٧	﴿ وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ ﴾
٢٤٢	٤١	﴿ وَعَلِمُوا أَنَّمَا عَلِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْفَرَسَى وَالْيَتَمَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾
١٤٥	٦٠	﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾
سورة التوبة		
٢٧٥	٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾
-٢٥٧	٥	﴿ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾
١٢٥	٣٥	﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ ﴾
٢٥٧	٣٦	﴿ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾
٢٧٠	١١٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾
٨٨	١٢٩	﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾
سورة يونس		
١٢١	٣	﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾
١٨٦	٣٨	﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَا قُلُوبَنَا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مِنَ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٢٢	٤٩	﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْزِمُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾
١٢١	٦٣	﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
١٢١	-٦٣ ٦٤	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾
١٣٨	٨٨	﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ﴾
سورة هود		
٢١٠	٣	﴿ وَإِنِ اسْتَفْعَرُوا رَبَّنَا ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ يُعْنِكُمْ مَنَّاعًا حَسَنًا ﴾
١٣٧	٢٠	﴿ يُضْعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾
٣٢٤	٤٩	﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾
١٩٤	٧٧	﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾
١٣٧	٨٣	﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾
٣٢٤	١٠١	﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾
سورة يوسف		
١٣٨	٤	﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَايَتْهُم لِي سَجْدِينَ ﴾
٢١٩	٦	﴿ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾
٣٢٥	٢١	﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَخْذَهُ وَالدَّا ﴾
٣٢٥	٢٣	﴿ وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ، وَعَلَّقَتِ الْأُبُوبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٣٣	٢٣	﴿ وَقَالَتْ هَيْبَ لَكَ ﴾
١٣٣	٣٠	﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾
١٣١	٣١	﴿ وَأَعَدَّتْ لَهْنًا مُتَّكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾
	٣٩	﴿ يَصْحَجِي السَّجْنَءَ أَزْيَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾
-١١٠ ١٢٢	٤١	﴿ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ﴾
١٩١	٤٦	﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾
١٥٥	٩٨	﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾
٢١٩	١٠٠	﴿ وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾
سورة الرعد		
١٣٥	٧	﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾
١٣٧	٨	﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ﴾
١٣٧	٢٢	﴿ وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾
٢٥١	٣٩	﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ^ط وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾
سورة إبراهيم		
١٩٣	٢٦	﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾
٢٧٩	٣٤	﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾
٣٢٩	٤٦	﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٣٣	٥٠	﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطْرِانٍ وَتَعَشَىٰ وَجُوهُهُمْ النَّارُ ﴾
سورة الحجر		
١٣٩	٢	﴿ رَبِّمَا يَؤُدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾
١٣١	١٥	﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾
١٦٣	١٦	﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾
٢٨١	-٤٩ ٥٠	﴿ نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْعَفْوَورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾
١٢٤	-٩٢ ٩٣	﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾
سورة النحل		
١٣٥	١٦	﴿ وَبِالتَّجْمِيمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾
-١٤١	٤٤	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
١٣٨	٥٥	﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ ^٥ فَتَمَتَّعُوا ^٦ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾
١٣٢	٦٢	﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴾
١٤١	٦٤	﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾
٢٥١	١٠١	﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾
٢٣٧	١٠٦	﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾
٢٥٨	١٢٧	﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾
٢٧٥	١٢٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾
سورة الإسراء		
	١١	﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٢١٢	٢٢	﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخَذُولًا ﴾
١٤٥	٣٣	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾
١٨١	٣٤	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾
٢٨١	٥٧	﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾
١٩٥	٧٠	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾
سورة الكهف		
٢٣٨	-٢٣ ٢٤	﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾
٣١٦	٢٢	﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كُتُبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُتُبُهُمْ ﴾
-١٠٧ ١٠٨	٦٠	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾
سورة مريم		
١٩٤	٤	﴿ وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾
٢٧٥	٧٢	﴿ ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾
١٣٥	٧٦	﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾
سورة طه		
٢٢	٥	﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾
١٩٠	١٠٧	﴿ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾
٣٢٥	١١	﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عِزْمًا ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٩١	١٠٠	﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴾
سورة الأنبياء		
	-١٦	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنِ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هَوًا لَا تَخَذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾
٣٢٩	٦٩	﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾
٣٢٥	٧٩	﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۗ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ ﴾
٣٠٧	٩٨	﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴾
٣٠٧	١٠١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾
سورة الحج		
٢١٠	٧٧	﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾
سورة المؤمنون		
٢٧٠	٢	﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾
سورة النور		
-٢٣٤	٢	﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۗ ﴾
٢٣٢	٦	﴿ وَالَّذِينَ يَزُمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ ﴾
٣٠٦	٢٢	﴿ وَلَا يَأْتِلْ أُولَٰؤُا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ ﴾
٢٧٣	٣١	﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة القصص		
١٩٤	٨	﴿ فَالْقَطْعَةُ ءَأَلٌ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾
-٢٢١	٨٨	﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾
سورة العنكبوت		
١٨٤	٢٥	﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾
-٢١٢	٦٥	﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾
سورة الروم		
١٢١	٥٤	﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾
سورة لقمان		
١٢٠	١٣	﴿ يَبْنِي لَاتُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾
١٣٧	٣٤	﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾
سورة السجدة		
١٦٤	٢١	﴿ وَلَنُدِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ﴾
سورة الأحزاب		
٣١٠	٥	﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾
٢٥٨	٦	﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾
١٦٣	٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٣١٠	٢٣	﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾
٣٠٦	٣٦	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾
٣٣١	٣٨	﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾
١٨١	٥٠	﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٣٠٥	٥١	﴿ذَلِكَ أَذَى أَنْ تَقْرَأَ عَيْتُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ﴾
٣٢٢	٦٩	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾
سورة سبأ		
-١٢١ ١٨٢	٢٣	﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾
سورة فاطر		
٢٧٥	٢٨	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾
١٦١	٣٢	﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾
٢١٢	٤٠	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَهُمُ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ﴾
٢٠٣	٤١	﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة يس		
١١٤	١٢	﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا ﴾
١٢١	٦٨	﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾
٢٠٢	٨١	﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾
٢٠٢	٨٢	﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾
سورة الزمر		
٢٧٨	١٠	﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾
٢٦٧	٢١	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾
٢٧١	٢٣	﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾
١٤٨	٦٧	﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾
سورة غافر		
٢١٣	٦٠	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾
سورة فصلت		
-١٥٣	٣٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾
١٧٣	٥٣	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الشورى		
٢١٨-	١١	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
١٩١	٢٠	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ^ط وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾
سورة الزخرف		
١٨٦	٣	﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾
سورة الدخان		
١٥٤	١٠	﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ ﴾
١٣٨	٢٩	﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾
سورة الجاثية		
٢٩١	١٤	﴿ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾
٢٧٥	١٩	﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
١٣٦	٢١	﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾
٢٥١	٢٩	﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
سورة محمد		
١٣٨	٤	﴿ فَإِذَا لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضْرَبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمُ فَشَدُّوا الوَتَاقَ ﴾
١٦٩-	٢٤	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ قُلُوبٌ أَقْفَالُهَا ﴾
١٩٣		
سورة الفتح		

الصفحة	رقمها	الآية
٢٢١	١٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾
٢٨٦	٢٠	﴿ وَبِهَدْيِكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾
٣٠٧	٢٧	﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾
سورة الحجرات		
١٤٥	١٣	﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ ﴾
١٤٧	١٢	﴿ إِنَّكَ بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّمَ ﴾
٢٣٤	٩	﴿ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْنِيُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾
١٨١	١٢	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَوْا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّكَ بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّمَ ﴾
سورة ق		
٢٠٢	١٥	﴿ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾
سورة الذاريات		
٢٠٦	٣-١	﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴿١﴾ فَالْحَمَلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴾
سورة الطور		
٣١٧	٦	﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾
سورة النجم		
٣١٠	١٩	﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنُوءَ النَّالِثَةِ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾
سورة الرحمن		
٢١٠	٢٩	﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٢٤	٣٩	﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴾
سورة الواقعة		
١٣٥	١	﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾
سورة الحديد		
١٢٤	١٣	﴿ أَرْجِعُوا وِرَاءَكُمْ فَالتَمِسُوا نُورًا ﴾
١٩١	٢٠	﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ﴾
٣٠٥	٢٩	﴿ لِتَلَّيَعَمَّ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾
سورة الطلاق		
٢٧٥	٣-٢	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾
٢٧٥	٤	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾
٢٧٥	٥	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾
٢٨٠	٣	﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ ﴾
سورة المجادلة		
١١٨	٣	﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾
سورة الحشر		
٢١٨	٢٣	﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ ﴾
سورة الجمعة		
٢٣٩	٩	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾
سورة المنافقون		
١٩٥	٤	﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴿٤﴾ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة التغابن		
٢٦١	١٦	﴿ فَأَنْقُضُوا لِلَّهِ مَا أَصْطَفَعْتُمْ ﴾
سورة القلم		
٢٢٦	٤٢	﴿ يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾
١٣٧	٣٥	﴿ أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجُرْمِينِ ﴾
سورة المعارج		
١٢٠	١٩	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾
١٢٠	-٢٠ ٢١	﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرْجُ رِجًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾
سورة نوح		
١٢٢	٤	﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾
٢٩١	١٣	﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾
سورة المزمل		
١٣٧	١١	﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ ﴾
سورة القيامة		
-١١٧	١٧	﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴾
١١٨	٢٣	﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾
سورة عبس		
٣٠٥	٢-١	﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ ﴾
٢٠٤	٢٤	﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴾
١٦٧	٣١	﴿ وَفَكَهَتْ وَأَبَا ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
سورة التكوير		
٣١٧	٦	﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾
١٣٥	١	﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾
سورة الانفطار		
١٣٥	١	﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴾
سورة الانشقاق		
١٣٥	١	﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ ﴾
سورة البروج		
١٥٥	٣	﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾
سورة البينة		
٢٧٣	٥	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾
٢٨١	٥	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

الصفحة	طرف الحديث
١٤٧	اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر
١٤٧	احترسوا من الناس بسوء الظن
١٤٧	إذا ظننتم فلا تحقّقوا
٢٧٤	أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله
٢٧٦	ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم
١٤١	ألا إنني أوتيت الكتاب ومثله معه
١٢٧	إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا منه ما تيسر
٢٩٠	إن الله يتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالخير
١٥٤	إن أول أشراف الساعة الدخان
٢٥٥	إن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا
١٨٢	أن رسول الله ﷺ يستأذن في الشفاعة فيقال له : اشفع تشفع
٢٢١	إن لله تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة
١٠٩	إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل ، فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا
٣٢٢	إن موسى كان رجلا حيبا ستيرا لا يرى من جلده شيء
١٢٧	إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأبي ذلك قرأتهم فقد أصبتم ، ولا تماروا فيه
٢٨٣	أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشريكه
٢٧٧	أنا جليس من ذكرني
٢٧٧	أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني

الصفحة	طرف الحديث
١٢٠	إنما ذلك كما قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾
١٤٨	أول من يكسى من أهل النار يوم القيامة إبليس، يكسى حلة من النار
٢٧٦	أي الأعمال أفضل؟ قال: ذكر الله
	أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك
١٧٠	بِمَ تحكم؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله
٢٧٤	التحدث بالنعمة شكر
١٤٦	ثمرتها كالقلال وورقها كأذان الفيلة
٣١٧	حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج
١٧٠	ذكرت قول الله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء: ٢٩
٢٨٣	الرياء الشرك الأصغر
٢٦٨	سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة
٥	سموا- وفي رواية تسموا - بإسمي ولا تكونوا بكنيتي
٢٣٤	قتال المسلم كفر
٣٠٩	قرأ في الصلاة المكتوبة، فقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم
٥	قلت يا رسول الله إن ولد لي ولد أسميه باسمك واكنيه بكنيتك قال نعم
١٤٦	كل جسد ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب
٢٦٠	كلامي لا ينسخ كلام الله وكلام الله ينسخ كلامي
٢٥٥	كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها
١٤٥	لا ألفين أحكم يجيء يوم القيامة على رقبتك بغير
٣١٩	لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم
٢٦٠	لا وصية لوارث

الصفحة	طرف الحديث
١٤٥	لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان
٢٧٠	لا يكتب للعبد في صلاته إلا ما عقل منها
٢٨٢	لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى
١٦٩	اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
٢٧٦	لو ضرب المجاهد بسيفه في الكفار حتى ينقطع سيفه
٢٨٢	لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا
٢٩٠	ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله
١٧١	ما كان رسول الله ﷺ يفسر من آيات الله إلا آيات معدودات علمه جبريل إياهن
٣٠٦	مرحبا بمن عاتبني فيه ربي، ويبسط له رداءه
١٤٧	مفتاح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله، لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله
١٤٥	من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله
١١٤	من سره أن يبسط الله في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه
١٧١	من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ
١٧١	من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار
٢٤٧	من قال لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة
٢٥٥	نسخت البارحة
٢٢٥	يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى
٢١٨	يقول في ركوعه: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي يتأول القرآن
٢٢٦	ينادي مناد يوم القيامة: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد

فهرس الأعلام

الرقم	اسم العلم	الصفحة
١	ابن الجلاء أبي عبد الله أحمد بن يحيى	١٢١
٢	أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن، أبو عبد الرحمن النسائي	٩
٣	بن محمد بن السري البغدادي، أبو إسحاق	١٢٣
٤	تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، أبو العباس	٣٦
٥	الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد	١٢٣
٦	دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس	٥
٧	محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي	٤٦
٨	أبو زكريا يحيى بن زياد الأسدي الكوفي	٤٨
٩	سعيد بن جبیر بن هشام الوالبي الكوفي، أبو محمد	١٢٣
١٠	سليم بن عيسى بن سليم بن عامر الحنفي، أبو عيسى	١٢٣
١١	سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السجستاني، أبو داود	٩
١٢	شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، أبو عبد الله بن قيم الجوزية	٣٦
١٣	الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد	١٦٠
١٤	عبد الرحمن بن عمرو بن يحمى أبو عمرو الأوزاعي	٣٤
١٥	عبد السلام بن سعيد بن حبيب التتوخي، ابو سعيد الملقب بسحنون	١٠
١٦	عبد السلام بن عبد الوهاب بن أبي صالح الجيلي البغدادي	٧٣
١٧	عبد الله بن يونس بن أحمد بن عبيد الله البغدادي الأزجي الوزير	٧٣
١٨	عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي، المكي، أبو خالد	١٦٣
٢٠	عطاء بن أبي مسلم	١٢٤

١٢٣	عطية بن قيس أبو يحيى الكلابي	٢١
٣٧	عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء	٢٢
٨	عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي أبو بشر، الملقب سيبويه	٢٣
١٠٥	الفخر بن تيمية محمد بن أبي القسم بن تيمية الحراني، أبو عبد الله	٢٤
٩	مالك بن انس بن مالك الحميري الاصبحي المدني، أبو عبد الله	٢٥
١٢٣	مجاهد بن جبر المكي الأسود، أبو الحجاج	٢٦
٩	محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري	٢٧
٣٥	محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله العربي المعافري الأندلسي	٢٩
٩	محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي، ابو عيسى	٣٠
٩	مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري	٣١
١٢٣	معمر بن المثنى التيمي	٣٢
٧٣	مؤيد الدين أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن القصاب	٣٣
١١٤	ميمون بن قيس الأعمى، أبا بصير	٣٤
٨	هو أبو رويم نافع بن بي نعيم الأصبهاني	٣٥
٨	ورش عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو القبطي	٣٦
١٣٢	الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقي مولى بني أمية	٣٧
٣٤	يحيى بن يحيى بن كثير الليثي الأندلسي القرطبي	٣٨
٣٥	يوسف بن عبد الله بن محمد الأندلسي، القرطبي، المالكي، أبو عمر	٣٩
١٦٣	مقاتل بن حيان بن دوال دور أبو بسطام النبطي	٤٠
٤٥	عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي الأندلسي	٤١
١٨٦	أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي	٤٢

٤٣	محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري	٤٣
١٤٣	محمد بن عبد الله بن البيروتي ولقبه مكحول، أبو عبد الرحمن	٤٤
١٤٢	محمد بن إدريس بن عثمان ابو عبد الله القرشي المكي الغزي	٤٥
٢٤٤	سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي	٤٦
٢٥٢	أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي	٤٧
٢٥٢	أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري	٤٨
٢٧٢	أنس بن مالك بن النظر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي النجاري	٤٩
٢٩٤	كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري الخزرجي السلمي	٥٠
٢٠٦	محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي	٥١
٢٠٨	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود	٥٢
٢١٥	أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي	٥٣
٢١٥	عبد الحق بن أبي بكر أبو محمد بن غالب بن عطية المحاربي	٥٤
٢١٦	محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني	٥٥
٧٠	محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي	٥٦
٧٢	أبو جعفر هارون ابن المهدي محمد ابن المنصور	٥٧
٧٢	شيبان بن فروخ أبو محمد الحبطي	٥٨
٨٣	أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي	٥٩
٨٧	نور الدين محمود بن محمود بن زكي التركي	٦٠
٨٧	صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب	٦١
١٠٠	العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله	٦٢
٤٨	أبو العباس محمد بن الحسن بن قتيبة اللخمي	٦٣
١٠٩	أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي	٦٤
٣٠٠	أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري	٦٥
٣٠٠	عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي	٦٦
٣٠٣	أبو عبد الرحمن عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب	٦٧

٣٠٦	عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم القرشي العامري	٦٨
٣٠٦	مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف	٦٩
٣٠٦	زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب	٧٠
٣٠٩	عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين	٧١
٣٠٩	عياش بن عمرو بن المغيرة بن عبدالله بن عمر	٧٢
١١٠	أنس بن النظر بن ضمضم	٧٣
٣١٦	عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي	٧٤
٣٢٠	كعب بن ماته الحميري، اليماني،	٧٥
٣٢١	عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل	٧٦
٣٢٥	أبو القاسم عبد الرَّحْمَن بن عبد الله بن أحمد الخنعمي	٧٧
٣٣١	سعيد بن المسيب ابن حزن بن أبي وهب	٧٨
٤٥	أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان	٧٩
١١٤	كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني	٨٠
١٣٢	سليم بن عيسى بن سليم بن عامر الحنفي	٨١
١٤٢	محمد بن إدريس بن عثمان بن شائع بن السائب	٨٢
١٤٢	أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن عبد السلام	٨٣
١٤٢	أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين	٨٤
١٥٦	جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام	٨٥
١٦٠	قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي	٨٦
١٦١	عطاء بن أبي رباح أسلم القرشي مولاهم	٨٧
١٦٢	النجاشي ملك الحبشة واسمه: أصحمة،	٨٨
١٦٤	مسروق بن الأجدع بن مالك الوادعي	٨٩
١٦٤	أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري	٩٠
٣٥	يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر	٩١
٤٤	أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري	٩٢

٤٢	أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية	٩٣
٤٣	محمود بن عمر بن محمد الزمخشري	٩٤
٤٤	أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي	٩٥

المصادر والمراجع

١. الإبانة عن معاني القراءات أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
٢. ابن جزري ومنهجه في التفسير لعلي محمد الزبير، دار القلم دمشق، ط/١: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٣. اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ، تحقيق: الجزء ١: حققه د جمال الدين الشيال، أستاذ التاريخ الإسلامي وعميد كلية الآداب - جامعة الإسكندرية، الجزء ٢، ٣: حققه د محمد حلمي محمد أحمد، أستاذ التاريخ الإسلامي - كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط/١.
٤. الإتيقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٥. الإحاطة في أخبار غرناطة لمحمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١: ١٤٢٤هـ.
٦. أحكام القرآن لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، ت: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ١٤٠٥هـ.
٧. أحكام القرآن لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط/١: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٨. الأحكام في أصول القرآن لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي.
٩. اختلاف المفسرين أسبابه وضوابطه لأحمد محمد الشرقاوي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر.
١٠. الأخلاق في الإسلام، موقع وزارة الاوقاف السعودية.
١١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٢. أركان الإيمان جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، ط/٤: ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
١٣. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري التلمساني، تحقيق: مصطفى السقا (المدرس بجامعة فؤاد الأول) - إبراهيم الإبياري (المدرس بالمدارس الأميرية) - عبد العظيم شلبي (المدرس بالمدارس الأميرية)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، ط: ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م.
١٤. أسباب النزول للواحد لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، ط/٢: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
١٥. الاستقصى لأخبار دول المغرب الأقصى لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، تحقيق: جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء .
١٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط/١: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

١٧. أسد الغابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري عز الدين بن الأثير، دار الفكر بيروت، ط: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
١٨. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، مكتبة السنة، ط/٤.
١٩. الاعتقاد أبو الحسين ابن أبي يعلى ، محمد بن محمد، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس الخضراء، ط/١: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٢٠. الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي دار العلم للملايين، ط/١٥: أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
٢١. أعيان العصر وأعيان النصر لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عثمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد قدم له: مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط/١: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
٢٢. إنباء الغمر بأبناء العمر لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: د حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ط/١: ١٣٨٩ هـ، ١٩٦٩ م.
٢٣. الانتصار للقرآن لمحمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن ، القاضي أبو بكر الباقلائي المالكي، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح - عمّان، دار ابن حزم - بيروت، ط/١: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٢٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/١: ١٤١٨ هـ.
٢٥. أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء لقاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي، تحقيق: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، ط: ٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ .

٢٦. بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي،
ت: د. محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت.
٢٧. البداية والنهاية لعماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي
الدمشقي، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث
والدراسات بدار هجر، هجر للطباعة والنشر - الجيزة، ط/١: ١٤١٧ هـ -
١٩٩٧ م.
٢٨. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي بن محمد بن عبد
الله الشوكاني اليمني، دار المعرفة - بيروت.
٢٩. البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي،
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي
الحلبي وشركائه، ط/١: ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
٣٠. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد
بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون
الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
٣١. تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي،
تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط/٤: ١٤٠٧
هـ - ١٩٨٧ م.
٣٢. تاريخ ابن الوردي لعمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو
حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي، دار الكتب العلمية - لبنان /
بيروت، ط/١: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٣٣. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن
أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، المكتبة التوفيقية.
٣٤. تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري، دار التراث - بيروت، ط:
١٣٨٧ هـ.

٣٥. تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) لأبي الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة - بيروت / لبنان، ط: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٣٦. التتار بين الانتشار والانكسار لعلي محمد محمد الصلّابي، الأندلس الجديدة، مصر، ط/١: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٣٧. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس، ط/١: ١٩٨٤ هـ.
٣٨. تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك لإبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطرسوسي، نجم الدين الحنفي، تحقيق: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي.
٣٩. تذكرة الحفاظ لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٤٠. الترغيب والترهيب لقوام السنة لإسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة، تحقيق: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث - القاهرة، ط/١: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٤١. التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ليحيى بن سلام بن أبي ثعلبة البصري ثم الإفريقي القيرواني، قدمت له وحقته: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ط: ١٩٧٩ م.
٤٢. التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: ١٤٠٥ هـ.
٤٣. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/٢: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٤٤. تفسير القرآن بالسنة لمحمد المسند.
٤٥. التفسير والمفسرون الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة.
٤٦. تقريب الوصول إلي علم الأصول لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزى الكلبى الغرناطى، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/١: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٤٧. التوضيح الأبهى لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوى، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم البخاري، مكتبة أضواء السلف، ط/١: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
٤٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط/١: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٤٩. الجامع الصحيح لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حسب ترقيم فتح الباري، دار الشعب - القاهرة، ط/١: ١٤٠٧ - ١٩٨٧.
٥٠. الجامع الكبير (سنن الترمذي) لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: ١٩٩٨ م.
٥١. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط/٢: ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
٥٢. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط/٢: ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

٥٣. جواهر القرآن لابي حامد محمد بن محمد الغزالي، ت : د. محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم - بيروت، ط/١: ١٩٨٥.
٥٤. الحديث في علوم القرآن والحديث لحسن محمد أيوب، دار السلام - الاسكندرية، ط/٢: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٥٥. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر ، ط/١: ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
٥٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، السعادة - بجوار محافظة مصر، ط/١: ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م.
٥٧. الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط/١: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.
٥٨. دراسات في علوم القرآن الكريم لفهد بن عبد الرحمن الرومي ط/١٢: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٥٩. دراسات في علوم القرآن لمحمد بكر اسماعيل، دار المنار، ط/٢: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.
٦٠. درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط/١: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٦١. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، ط/٢: ٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

٦٢. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
٦٣. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط/٢: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٦٤. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد لمحمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط/١: ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م.
٦٥. ذيل طبقات الحفاظ للذهبي لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية.
٦٦. ذيل طبقات الحنابلة لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان - الرياض، ط/١: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
٦٧. ذيل مرآة الزمان لقطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط/١: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
٦٨. رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) لمحمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة، أكاديمية المملكة المغربية - الرباط، ط: ١٤١٧ هـ.
٦٩. ربحانة الكتاب ونجعة المنتاب لمحمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط/١: ١٩٨٠ م.

٧٠. زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط/١: ١٤٢٢ هـ.
٧١. زبدة الحلب في تاريخ حلب لعمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/١: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٧٢. السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، المحقق: إحسان عباس، دار الثقافة، ط/١: ١٩٦٥.
٧٣. السلوك لمعرفة دول الملوك لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، ط/١: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٧٤. سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.
٧٥. سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي . بيروت.
٧٦. سنن الدارقطني لعلي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة - بيروت، ط: ١٣٨٦ - ١٩٦٦.
٧٧. سنن النسائي لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط/٢: ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
٧٨. سنوات الحنابلة لعلي بن محمد باخيل آل بابطين، ط: ١٤٢٥ هـ.
٧٩. سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق : مجموعة محققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.

٨٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح حقه: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت ط/١: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٨١. شرح العقيدة الطحاوية ١٠٦ لصدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: أحمد شاکر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط/١: ١٤١٨ هـ.
٨٢. الشرح اليسير على مقدمة اصول التفسير لمهران ماهر عثمان.
٨٣. الشرح اليسير على مقدمة اصول التفسير لمهران ماهر عثمان.
٨٤. شرح كتاب (مقدمة في اصول التفسير) لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية، شرح: الشيخ محمد بن عمر بن سالم بازمول، ط: ١٤٢٤هـ.
٨٥. شرح مختصر الروضة لسليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط/١: ١٤٠٧-١٩٨٧.
٨٦. شرح مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط/١: ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م.
٨٧. شرح مقدمة التفسير لصالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ .
٨٨. شرح مقدمة التفسير محمد بن صالح بن محمد العثيمين، إعداد وتقديم: الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، دار الوطن، الرياض، ط/١: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٨٩. شعب الإيمان لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حقه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي،

- صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط/١: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٩٠. صحيح ابن حبان لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/٢: ١٤١٤ - ١٩٩٣.
٩١. صحيح ابن خزيمة لمحمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط/٢: ١٣٩٠ - ١٩٧٠.
٩٢. صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٩٣. طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلوة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ط: ١٤١٣ هـ.
٩٤. العبر في خبر من غبر لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي، حققه وضبطه على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٩٥. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني، موقع الوراق.
٩٦. علوم القرآن عند ابن عبد البر لمحمد بن عبد الله بن جابر القحطاني.
٩٧. عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، تحقيق: إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/١: ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.
٩٨. غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١ هـ ج. برجستراسر.

٩٩. فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط/١: ١٤١٤ هـ.
١٠٠. فصول في اصول التفسير لمساعد بن سليمان الطيار، تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان رئيس قسم الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بالرياض، دار ابن الجوزي.
١٠١. الفصول في مصطلح حديث الرسول للشيخ حافظ ثناء الله الزاهدي رئيس الجامعة الإسلامية بمدينة صادق آباد - باكستان.
١٠٢. في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الاسماء والكنى والانساب للأمير الحافظ ابن ماكولا دار الكتاب الاسلامي الفارق الحديثة للطباعة والنشر.
١٠٣. القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط/٨: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٠٤. قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط لراغب السرجاني مؤسسة اقرأ
١٠٥. قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن لمرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي، تحقيق: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم - الكويت، ط: ١٤٠٠.
١٠٦. القواعد الحسان لتفسير القرآن لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي مكتبة الرشد، الرياض، ط: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
١٠٧. القوانين الفقهية لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبى الغرناطى.
١٠٨. القول المبين في قواعد الترجيح بين المفسرين لفهد بن عبد الله الحزمي.

١٠٩. الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط/١: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
١١٠. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط/١: ١٤٠٩.
١١١. الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ط/١: ١٩٦٣.
١١٢. اللآلئ السنية في مبادئ العلوم الشرعية للدكتور / بدر عبد الحميد هميسه .
١١٣. لحظ الألاحظ بذيل طبقات الحفاظ أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد ابن فهد الهاشمي المكي، دار الكتب العلمية ، ط/١: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
١١٤. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر - بيروت، ط/٣: ١٤١٤ هـ.
١١٥. مآثر الإنافة في معالم الخلافة لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت - الكويت، ط/٢: ١٩٨٥.
١١٦. مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/يناير ٢٠٠٠ م.
١١٧. مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط/٣: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
١١٨. مجموع الفتاوى لأحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، ط: ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

١١٩. مجموع مؤلفات الشيخ محمد مال الله.
١٢٠. المحبر لمحمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي، تحقيق: إيلازة ليختن شتيتير الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.
١٢١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/٢: ١٤٢٢ هـ.
١٢٢. المحيط في اللغة للصاحب لأبي القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت / لبنان، ط/١: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
١٢٣. مختار الصحاح لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط/٥: ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
١٢٤. مختصر تاريخ الديبشي، موقع يعسوب.
١٢٥. مختصر تفسير البغوي لعبد الله بن أحمد بن علي الزيد، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض، ط/١: ١٤١٦ هـ.
١٢٦. المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة، المطبعة الحسينية المصرية.
١٢٧. المدخل إلى مناهج المفسرين د. حسب الرسول العباس محمد.
١٢٨. مدخل في علوم القراءات للسيد رزق الطويل، المكتبة الفيصلية، ط: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
١٢٩. مدخل لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور لمحمد بن إبراهيم الحمد.
١٣٠. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لأبي محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، وضع

حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/١: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

١٣١. مستدرك الحاكم المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١: ١٤١١ - ١٩٩٠.

١٣٢. المسلسلات المختصرة المقدمة أمام المجالس المبتكرة لصالح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلي بن عبد الله الدمشقي العلائي، دراسة وتحقيق: أحمد أيوب محمد الفياض، الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط/١: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٣٣. مسند أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب - بيروت، ط/١: ١٤١٩ هـ. ١٩٩٨ م.

١٣٤. مسند الشهاب لمحمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: ١٤٠٧ - ١٩٨٦.

١٣٥. مصنف ابن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط/١: ١٤٠٩.

١٣٦. مصنف عبد الرزاق لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط/٢: ١٤٠٣.

١٣٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/١: ١٤٢٠ هـ.

١٣٨. معالم في السلوك وتزكية النفوس لعبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، دار الوطن، ط/١: ١٤١٤ هـ.

١٣٩. المعجم الأوسط سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.
١٤٠. معرفة السنن والآثار لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٤١. المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: ١٤١٢هـ.
١٤٢. مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق: عبد السلام هارون، ط: ١: دار النشر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
١٤٣. المقدمات الأساسية في علوم القرآن لعبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي، مركز البحوث الإسلامية ليدز بريطانيا، ط/١: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٤٤. مقدمة بن خلدون.
١٤٥. مقدمة في أصول التفسير لنتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط: ١٤٩٠هـ / ١٩٨٠م.
١٤٦. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد للإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد الرياض - السعودية، ط/١: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٤٧. مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم للزرقاني، مطبعة عيسى البابي وشركاه، ط/٣.
١٤٨. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٤٩. الموسوعة القرآنية، خصائص السور لجعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت، ط/١: ١٤٢١هـ.

١٥٠. الموضوعات لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط/١: ج ١، ٢: ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

١٥١. الموطأ لمالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط/١: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٥٢. الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقرئ، تحقيق: زهير الشاويش، محمد كنعان، المكتبة الإسلامية - بيروت، ط: ١٤٠٤ هـ.

١٥٣. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط/١: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٥٤. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، تحقيق: د عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١: ١٤٠٦ هـ.

١٥٥. نحو منهج أمثل لتفسير القرآن للدكتور أحمد بن محمد الشرقاوي.

١٥٦. نزول القرآن الكريم وتاريخه وما يتعلق به للدكتور محمد عمر حويه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

١٥٧. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني تحقيق: د. إحسان عباس دار صابر-بيروت- لبنان ص. ب ١٠ ط/١: ١٩٠٠.

١٥٨. نواسخ القرآن لجمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق : محمد أشرف علي المليباري، وأصله رسالة ماجستير - الجامعة الإسلامية - الدراسات العليا - التفسير - ١٤٠١ هـ .
١٥٩. الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٦٠. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم لسليمان بن صالح القرعاوي.
١٦١. الوفيات (معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين) لأبي العباس أحمد بن حسن بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط/٤: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
١٦٢. وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط/١: ١٩٠٠ م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	
الفصل الاول.....	
المبحث الأول: التعريف بالإمام بن جزى.....	٣
المطلب الأول: نسبه ومولده ونشأته	٤
نسبه.....	٤
تاريخ أسرة بن جزى الكلبي.....	٥
مولده ونشأته.....	٦
المطلب الثاني: طلبه للعلم وشيوخه وتلامذته.....	٨
طلبه للعلم.....	٨
شيوخه.....	١٠
تلامذته من خلال صورتين.....	١٤
الأولى: تعليم أبناءه.....	١٤
الثانية: تعليم غير أبناءه.....	١٧
المطلب الثالث: مكانته العلمية ومذهبه العقدي و الفقهي.....	٢٠
مكانته العلمية.....	٢٠
مذهبه العقدي.....	٢٢
مذهبه الفقهي.....	٢٣
المطلب الرابع: وفاته، وثناء العلماء عليه، وآثاره العلمية.....	٢٤
وفاته.....	٢٤
ثناء العلماء عليه	٢٥
آثاره العلمية.....	٢٦

٢٨	المبحث الثاني: التعريف بعصر الإمام بن جزي.....
٢٩	المطلب الأول: الحالة السياسية لعصر الإمام بن جزي الكلبي.....
٢٩	أولاً: دولة الأندلس.....
٢٩	ثانياً: مملكة غرناطة.....
٣٤	المطلب الثاني: الحالة الدينية والعلمية لعصر الإمام بن جزي.....
٣٤	أولاً: الحالة الدينية.....
٣٥	ثانياً: الحالة العلمية.....
٣٦	العلوم التطبيقية والنظرية.....
٣٧	المطلب الثالث: الحالة الاجتماعية لعصر الإمام بن جزي الكلبي.....
٣٨	حركة المجتمع.....
٣٩	المبحث الثالث: التعريف بتفسير الإمام بن جزي الكلبي.....
٤٠	المطلب الأول: التعريف بالكتاب (التسهيل لعلوم التنزيل) وقيمه العلمية.....
٤٢	المطلب الثاني: مصادر الإمام بن جزي الكلبي في التفسير.....
٤٢	أولاً: في التفسير.....
٤٥	ثانياً: في القراءات.....
٤٦	ثالثاً: في الحديث.....
٤٦	رابعاً: في الأخبار.....
٤٧	خامساً: في الفقه.....
٤٧	سادساً: مصادره في اللغة.....
٤٩	المبحث الثالث: منهجية الإمام بن جزي في التسهيل.....
٤٩	أولاً: المنهجية العامة.....
٥٠	ثانياً: المنهجية التفصيلية.....
٥٣	ثالثاً: القراءة في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل.....
٥٥	الفصل الثاني: ترجمة الإمام بن الجوزي.....
٥٦	المبحث الأول: التعريف بالإمام بن الجوزي.....

٥٧	المطلب الأول: نسبه ومولده ونشأته
٥٧	نسبه
٥٧	مولده
٥٨	نشأته
٥٩	المطلب الثاني: طلبه للعلم وشيوخه و تلامذته
٥٩	طلبه للعلم
٥٩	شيوخه
٦٣	تلامذته
٦٨	المطلب الثالث: مكانته العلمية ومذهبه العقدي والفقهية
٦٨	مكانته العلمية
٦٨	تدريسه
٦٩	وعظه ودعوته
٧١	الفتيا
٧١	نصحه للخليفة
٧٢	شعره
٧٣	أيام المحنة
٧٥	مذهبه العقدي والفقهية
٧٦	المطلب الرابع: وفاته، وثناء العلماء عليه، وآثاره العلمية
٧٦	وفاته
٧٧	ثناء العلماء عليه
٧٩	آثاره العلمية
٨١	المبحث الثاني: التعريف بعصر الإمام بن الجوزي
٨٢	المطلب الأول: الحالة السياسية لعصر الإمام بن الجوزي
٨٧	أهم الأحداث التي وقعت في حياة الإمام بن الجوزي
٨٩	المطلب الثاني: الحالة الدينية والعلمية لعصر الإمام بن الجوزي

٩٢ بعض العلماء الذين عاصروا الإمام بن الجوزي
٩٢ من الوزراء
٩٣ من العلماء
٩٨ المطلب الثالث: الحالة الاجتماعية لعصر الإمام بن الجوزي
١٠١ المبحث الثالث: التعريف بتفسير الإمام بن الجوزي
١٠٢ المطلب الأول: التعريف بالكتاب (زاد المسير) وقيمه العلمية
١٠٢ الكتب التي ألفها ابن الجوزي في علم التفسير
١٠٢ سبب تأليف بن الجوزي كتاب زاد المسير
١٠٣ مميزات كتاب زاد المسير
١٠٦ المطلب الثاني: مصادره في التفسير
١٠٦ مصادره في القراءات
١٠٦ مصادره في أسباب النزول
١٠٦ مصادره النحوية واللغوية
١٠٧ مصادره الفقهية
١٠٨ المطلب الثالث: منهجية الإمام بن الجوزي في التفسير
١٠٨ منهجه في القراءات
١٠٨ تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة
١٠٩ أسباب النزول
١٠٩ الأحكام الفقهية
١٠١ اللغة والنحو
١١١ منهجه في الإسرائيليات
١١٢ ترجيحه بعض الآراء على بعض
١١٣ الباب الثاني: التفسير بالمأثور والرأي عند الإمامين بن جزي وبن الجوزي
١١٤ الفصل الأول: التفسير بالمأثور
١١٤ معنى التفسير بالمأثور

١١٦	المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن
١١٧	المطلب الأول: معنى القرآن وأهمية تفسيره ومراتبه
١١٧	معنى القرآن
١١٨	أهمية تفسير القرآن بالقرآن
١١٩	مراتب تفسير القرآن بالقرآن
١٢٠	المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن عند الإمامين
١٢٠	تفسير الإمام بن جزري
١٢٢	تفسير الإمام بن الجوزي
١٢٦	المطلب الثالث: تفسير القرآن بالقراءات عند الإمامين
١٢٦	تمهيد
١٢٧	فوائد علم القراءات
١٢٩	تفسير الإمام بن جزري
١٣١	تفسير الإمام بن الجوزي
١٣٤	المطلب الرابع: تفسير القرآن بالأشباه والنظائر عند الإمامين
١٣٤	تمهيد
١٣٥	فوائد الأشباه والنظائر
١٣٦	تفسير الإمام بن جزري
١٣٩	تفسير الإمام بن الجوزي
١٤١	المبحث الثاني: تفسير القرآن بالسنة
١٤٢	المطلب الأول: معنى السنة وأهميتها في التفسير
١٤٢	معنى السنة
١٤٣	أهمية السنة في التفسير
١٤٤	لفتات
١٤٥	المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة عند الإمامين
١٤٥	تفسير الإمام بن جزري

١٤٧	تفسير الإمام بن الجوزي.....
١٥٠	المبحث الثالث: تفسير القرآن بقول الصحابي.....
١٥١	المطلب الأول: تعريف الصحابي وأهمية تفسير الصحابة.....
١٥١	تعريف الصحابي.....
١٥١	أهمية تفسير الصحابة.....
١٥٣	المطلب الثاني: تفسير القرآن بقول الصحابي عند الإمامين.....
١٥٣	تفسير الإمام بن جزى.....
١٥٥	تفسير الإمام بن الجوزي.....
١٥٨	المبحث الرابع: تفسير القرآن بقول التابعي.....
١٥٩	المطلب الأول: تعريف التابعي وأهمية تفسيره ومراتبه.....
١٥٩	تعريف التابعي وأهمية تفسيره.....
١٦٠	مراتب تفسير التابعي.....
١٦١	المطلب الثاني: تفسير القرآن بقول التابعي عند الإمامين.....
١٦١	تفسير الإمام بن جزى.....
١٦٣	تفسير الإمام بن الجوزي.....
١٦٥	الفصل الثاني: التفسير بالرأي.....
١٦٦	المبحث الأول: تعريفه - حكمه - مباحثه.....
١٦٧	المطلب الأول: تعريف التفسير بالرأي.....
١٦٨	المطلب الثاني: حكم التفسير بالرأي.....
١٦٨	أولاً: أدلة المانعين.....
١٦٩	ثانياً: أدلة المجيزين.....
١٧٢	رأي الباحث.....
١٧٣	المطلب الثالث: مباحث في التفسير بالرأي.....
١٧٣	معالم.....
١٧٥	منهج المفسرين بالرأي.....

١٧٦علاقة التفسير بالرأي مع التفسير بالمأثور
١٧٧المبحث الثاني: تفسير القرآن بأصول الفقه
١٧٨المطلب الأول: تعريف أصول الفقه
١٧٩المطلب الثاني: تفسير الإمامين في أصول الفقه
١٧٩تفسير الإمام بن جزري
١٨٢تفسير الإمام بن الجوزي
١٨٥المبحث الرابع: تفسير القرآن باللغة
١٨٦تمهيد
١٨٨المطلب الأول: تفسير الإمام بن جزري في اللغة
١٩٢المطلب الثاني: تفسير الإمام بن الجوزي في اللغة
١٩٦الباب الثالث: الدراسة التطبيقية
١٩٧الفصل الأول: الدراسة التطبيقية عند الإمامين في العقائد
١٩٨تمهيد
٢٠٠المبحث الأول: تفسير الإمامين في الآيات الكونية
٢٠١المطلب الأول: تفسير الإمام بن جزري في الآيات الكونية
٢٠٣المطلب الثاني: تفسير الإمام بن الجوزي في الآيات الكونية
٢٠٥المطلب الثالث: المقارنة بين تفسير الإمامين في الآيات الكونية
٢٠٩المبحث الثاني: تفسير الإمامين في آيات الإيمان
٢١٠المطلب الأول: تفسير الإمام بن جزري في آيات الإيمان
٢١٢المطلب الثاني: تفسير الإمام بن الجوزي في آيات الإيمان
٢١٤المطلب الثالث: المقارنة بين تفسير الإمامين في آيات الإيمان
٢١٧المبحث الثالث: تفسير الإمامين في الأسماء والصفات
٢١٨المطلب الأول: أهميته ومنهج السلف فيه
٢٢٠المطلب الثاني: تفسير الإمام بن جزري في الأسماء والصفات

٢٢١	المطلب الثالث: تفسير الإمام بن الجوزي في الأسماء والصفات.....
٢٢٤	المطلب الرابع: المقارنة بين تفسير الإمامين في الأسماء والصفات.....
٢٢٨	الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية عند الإمامين في العبادات.....
٢٢٩	المبحث الأول: المسائل الفقهية.....
٢٣٠	المطلب الأول: تفسير الإمام بن جزي في المسائل الفقهية.....
٢٣٦	المطلب الثاني: تفسير الإمام بن الجوزي في المسائل الفقهية.....
٢٤٣	المطلب الثالث: المقارنة بين تفسير الإمامين في المسائل الفقهية.....
٢٤٨	المبحث الثاني: النسخ والمنسوخ.....
٢٤٩	المطلب الأول: تعريف النسخ ومشروعيته وضوابطه.....
٢٤٩	النسخ والبداء.....
٢٥٠	تعريف النسخ.....
٢٥١	مشروعيته.....
٢٥٢	ضوابطه.....
٢٥٣	فوائده.....
٢٥٤	أنواعه.....
٢٥٤	المنسوخ من القرآن.....
٢٥٥	معرفة النسخ والمنسوخ.....
٢٥٦	المطلب الثاني: تفسير الإمام بن جزي في النسخ والمنسوخ.....
٢٥٩	المطلب الثالث: تفسير الإمام بن الجوزي في النسخ والمنسوخ.....
٢٦٣	المطلب الرابع: المقارنة بين تفسير الإمامين في النسخ والمنسوخ.....
٢٦٦	الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية عند الإمامين في السلوك.....
٢٦٧	مقدمة.....
٢٦٩	المبحث الأول: تفسير الإمام بن جزي في السلوك.....
٢٧٠	المطلب الأول: السلوك في تفسير الإمام بن جزي.....

٢٧٣	المطلب الثاني: مقامات التصوف عند الإمام بن جزى
٢٨٤	المبحث الثاني: تفسير الإمام بن الجوزى في السلوك
٢٨٥	المطلب الأول: السلوك في تفسير الإمام بن الجوزى
٢٨٨	المطلب الثاني: مقامات التصوف عند الإمام بن الجوزى
٢٩٣	المطلب الثالث: المقارنة بين تفسير الإمامين في السلوك
٢٩٧	الفصل الرابع: القصص
٢٩٨	المبحث الأول: أسباب النزول
٢٩٩	المطلب الأول: أهمية أسباب النزول وصيغها وفوائدها
٢٩٩	تعريفه
٢٩٩	أهميته
٣٠١	معرفة أسباب النزول
٣٠٢	صيغ التعبير عن سبب النزول
٣٠٢	فوائد معرفة أسباب النزول
٣٠٥	المطلب الثاني: تفسير الإمام بن جزى في أسباب النزول
٣٠٨	المطلب الثالث: تفسير الإمام بن الجوزى في أسباب النزول
٣١١	المطلب الرابع: المقارنة بين تفسير الإمامين في أسباب النزول
٣١٤	المبحث الثاني: الإسرائيليات
٣١٥	المطلب الأول: تعريفها وحكمها ودخولها التفسير
٣١٥	تعريفها
٣١٧	حكم الإسرائيليات
٣١٩	رواية الإسرائيليات ودخولها التفسير
٣٢٠	الرواية عند الصحابة
٣٢١	رواية التابعين
٣٢٢	تنبيهات
٣٢٤	المطلب الثاني: تفسير الإمام بن جزى في الإسرائيليات

٣٢٨المطلب الثالث: تفسير الإمام بن الجوزي في الإسرائيليات
٣٣٢المطلب الرابع: المقارنة بين تفسير الإمامين في الإسرائيليات
٣٣٩الخاتمة
٣٣٩أولاً: أهم النتائج
٣٤٠ثانياً: أهم التوصيات
٣٤١الفهارس العامة
٣٤٢فهرس الآيات القرآنية
٣٦٦فهرس الأحاديث النبوية والآثار
٣٧٠فهرس الأعمال
٣٧٥المصادر والمراجع
٣٩١فهرس الموضوعات